الإمام العلامة

برهان الدين البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ

ومنهجه في التفسير

تأليف

الدكتور أكرم عبد الوهاب الموصلي

مدير دار النور للعلوم الشرعية والإسناد بالموصل



الإمام العلامة برهان الدين البقاعي
ومنهجه في التفسير
تأليف : الدكتور أكرم عبد الوهاب الموصلي
الطبعة الأولى : 1435هـ - 2014م

قياس القطع : 17 × 24
الرقم المعياري الدولي : ISBN : 978-9957-23-205-4
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2011/2/594)



هاتف: 4646199 6 (00962)
فاكس: 4646188 6 (00962)
جوال: 799038058 (00962)
ص.ب: 183479 عمّان 11118 الأردن
البريد الإلكتروني: info@daralfath.com
الموقع على الشبكة الإلكترونية: www.daralfath.com

الإمام العلامة

برهان الدين البقاعي

٨٠٩ - ٨٨٥ هـ

ومنهجه في التفسير

تأليف

الدكتور أكرم عبد الوهاب الموصلي

مدير دار النور للعلوم الشرعية والإسناد بالموصل



دار الفتح

للدراسات والنشر



أصل هذا الكتاب رسالة جامعية نال بها المؤلف درجة (الماجستير) في العلوم الإسلامية، من كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، بإشراف الدكتور عبد الستار حامد الدباغ.

المقــدمــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على خير خلقه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن اهتدى بهديه.

وبعد،

فإن القرآن الكريم كتاب الله الخالد، ودستور هذه الأمة وعنوان رفعتها، به فتح الله قلوب السلف للهداية فوصلوا إلى حيث دانت لهم العروش، وطأطأت لهم الرؤوس، وكانوا مِنَ الذروة الاجتماعية بين الأمم بمكان.

فلا عجب إذن ـ والقرآن الكريم هذا حاله ـ أن يعكف على تفسيره وشرحه وخدمته والاعتناء به من كل عصر أفذاذه، وفي كل قطر أشرافه، ويتوج كل مفسر وشارح تفسيره له وشرحه لألفاظه بمقصد يرمي إليه، وهدف يضع تفسيره من أجله، يختلف في رأيه عن الهدف الذي وضعه غيره.

فالإمام الرازي وضع «تفسيره» في الرد على الفلاسفة والملحدين، وقمع شبه المشبِّهين والضالين، ثم بعد هذا «بإثبات وجود الله ومعالجة موضوعات النبوة والقضاء والقدر والمعاد»[1].

---

(١) الرازي مفسراً، د. محسن عبد الحميد.

والزمخشري وضع «تفسيره» لتجلية أسرار القرآن الكريم من حيث الوجهة البلاغية، والقرطبي تكلم عن أمور الفقه وتبسَّطَ في عرض مسائله، وهكذا..

ومفسرنا البقاعي وضع «تفسيره» لإثبات أنّ القرآن الكريم كتلة واحدة وحلقة مفرغة، قد اتصل طرفاه والتأم بحراه، لا وقف تاماً فيه، كما سيتضح فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وهنا سؤال يطرح نفسه: لماذا اخترت البقاعي لهذه الدراسة دون غيره، ورجال الأمة كثر، وثروة الأمة ضخمة ممتدة الأطراف، وخصوصاً فيما يخدم القرآن العظيم ويستجلي أسراره؟

والجواب على هذا من جوانب:

١ـ لأهمية هذا «التفسير»؛ باعتباره خطوة جديدة من نوعها بالنسبة إلى القرآن الكريم ككل، حيث قام المفسر بإظهار الوحدة العضوية للقرآن الكريم.

٢ـ ولأن هذا العمل وبهذه الطريقة فيه معنى الرد على المستشرقين أعداء الأمة والدين في ادعائهم أن القرآن الكريم شتيت من الآيات، ولفيف من الجمل والعبارات، لا يجمعها جامع ولا يربطها رابط، متناثرة هنا وهناك، وإن أردنا أن نجمع بينها فبتعمل وتحكّم، فنزل هذا «التفسير» كالصاعقة تبعثر أقوالهم وتدحض مكايدهم.

٣ـ ولأن «تفسير البقاعي» ـ على أهميته ـ لم يزل في طور الإهمال بعد، وإن طبع، بدليل أنَّ أكثر الناس لا تعرفه، ومن عرفه فإنما هم خصوص الخصوص، فأردت بدراستي هذه إماطة اللثام عنه لعلِّي أكون سبباً للنظر في أمره، والانكباب عليه، واستخلاص بعض آرائه المهمة في التفسير، وعلوم القرآن.

هذا: وقد وجدت لدى كتابتي في هذا الموضوع ـ ولأول وهلة ـ صعوبةً شديدةً، ذلك أن البقاعي قد طمره الحسّاد، ورد عليه الأقران، وشنّع عليه كثير من العلماء؛ بسبب

مسائل يطرق أطرافها هذا البحث ـ إن شاء الله ـ مما أدى إلى خفوت صيت «تفسير»، وكيف لا تكون الصعوبة شديدة، خصوصاً وأنّ كثيراً من الذين ترجموه رجموه بالقدح، ووجهوا إليه الانتقاص، بحيث صوروا للقارئ أنَّ البقاعي رجل هامل الذكر، خامل الفكر، لا يستحق أن يؤبه به، ولا ينظر إلى «تفسيره»، وأنه ليس من العلماء، بل ولا يرقى إلى جملة طلاب العلم، وهكذا من مسائل الطعن ومثالب الانتقاص؟!

وإن كان لكل جواد كبوة ـ كما يقال ـ فلا ينبغي أن تكون كبوة جوادنا هذا في جوانب من آرائه غامطةً له حقه، مذهبةً له فضله وإحسانه.

أقول: هذا، ولعل الله جل جلاله، أن يردَّ الحق لصاحبه، فيظهر هذا التفسير الجليل، معتنى به اعتناء يليقُ وتفسيرَ القرآن الكريم.

وقد جعلت رسالتي هذه في بابين اثنين، ومقدمة وتمهيد وخاتمة.

ـ تناولت في المقدمة أهمية البحث والسبب الداعي إلى الكتابة فيه بالذات، والمشقة التي حصلت لي فيه، ثم عرجت على ذكر منهجي في كتابتي لهذه الرسالة.

ـ وتناولت في التمهيـد عصر البقاعي مجملاً من النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية، ومدى تأثير هذه الأمور على شخصية البقاعي، وذلك لأن كل إنسان ـ كما يقال ـ نسيج عصره وخلاصة بيئته.

ـ فأما الباب الأول: فقد خصصته لدراسة حياة البقاعي وآثاره وقد انطوى على ثلاثة فصول:

ـ الفصل الأول: تحدثت فيه عن كل ما يخص نشأة البقاعي من حيث مولده واسمه ولقبه وملامح شخصيته، ووظائفه التي تقلدها، ورحلاته وأسفاره، ووصيته ووفاته.

ـ الفصل الثاني: جعلته منصباً على بيان ثقافته، ومصادرها من شيوخه الذين تأثر بهم وتلامذته الذين أثر فيهم، ومكانته بين العلماء.

ـ **والفصل الثالث:** كان استعراضاً عاماً لبيان آثاره العلمية المطبوع منها والمخطوط.

ـ **وأما الباب الثاني:** من هذه الرسالة فقد عقدته لدراسة مصنفه في التفسير، فجاء في أربعة فصول:

ـ **الفصل الأول منه:** جعلته مدخلاً إلى «تفسيره» وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: اسم «التفسير» ونسبته للبقاعي، والباعث على تأليفه، وتاريخ ابتداء كتابته والانتهاء منها.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن كيفية تناوله السور، وكيفية تناوله الآيات.

ـ **وأما الفصل الثاني منه:** فقد بينت فيه أهم مصادر البقاعي، فجاء في تمهيد وثمانية مباحث:

المبحث الأول: أهم مصادره من المأثور: كتب السنة، وأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الثاني: أهم مصادره من التفسير.

المبحث الثالث: أهم مصادره من كتب علوم القرآن.

المبحث الرابع: أهم مصادره من كتب الأصول.

المبحث الخامس: أهم مصادره من كتب التوحيد.

المبحث السادس: أهم مصادره من كتب الفقه.

المبحث السابع: أهم مصادره من كتب اللغة والنحو والبلاغة.

المبحث الثامن: أهم مصادره من كتب التاريخ.

وقد أغفلت جوانب ضئيلةً من مصادره لعدم دخولها ضمن التفسير دخولاً أولياً وأساسياً، ورغبة في عدم الإطالة في الرسالة.

ـ **وأما الفصل الثالث:** فقد خصصته لبيان منهج البقاعي في «تفسيره»، وقد انطوى هذا الفصل على سبعة مباحث:

المبحث الأول منه: جعلته مخصصاً لما اعتمده البقاعي في «تفسيره»، من التفسير بالمأثور، تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة وبأقوال التابعين.

المبحث الثاني منه: أوضحت فيه مدى اعتماده على اللغة والنحو والصرف.

المبحث الثالث: كان موضحاً لكشف الأسرار البلاغية التي أعارها البقاعي أهمية في «تفسيره».

المبحث الرابع: جعلته لبيان عناية البقاعي في «تفسيره» بأسباب النزول وزمانه ومكانه.

المبحث الخامس: كان مسلطاً على إيضاح اهتمام البقاعي بأمور القراءات.

المبحث السادس: جعلته موضحاً لما وضع فيه البقاعي من أجله «تفسيره»، وقصد إليه، وذلك هو التناسب بين الآيات والسور في القرآن كله: الآية بعضها ببعض والسورة كذلك، والآية مع آية آخرى، والسورة مع سورة أخرى؛ بحيث أصبح القرآن الكريم كتلةً واحدةً، اخترت إطلاق اصطلاح (**الوحدة العضوية**) عليه بدل (**الوحدة الموضوعية**)، ثم أوضحت الطرق التي بها تنكشف المناسبة لمريدها.

المبحث السابع: كان في إيضاح ما قام به البقاعي من نقله عن التوراة والإنجيل، وبيان حكم ذلك، ثم أتبعت هذه المباحث بذكر أمور هي ليست منهجاً للبقاعي في «تفسيره»؛ وإنما يذكرها في بعض الأحيان عرضاً عارضاً، كتعرضه لمسائل من التوحيد ومسائل من علم أصول الفقه، وبعض أمور الفقه والتصوف والمنطق وغير ذلك.

- **أما الفصل الرابع**: فقد اخترت له عنوانا: (تفسير البقاعي في الميزان) وجرى هذا في مبحثين:

المبحث الأول: أوضحت فيه أثر البقاعي في «تفسيره»، وبينت فيه ردود البقاعي وترجيحاته وآراءه الخاصة به وتحقيقاته.

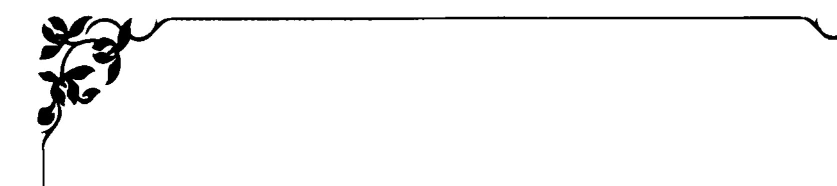
المبحث الثاني: جعلته لبيان المآخذ الموجهة إلى «تفسيره»، فهو نقد لبعض جوانب كان الأولى أن يخلو عنها هذا «التفسير» الجليل.

وأما الخاتمة: فهي مجمل لأهم ما توصلت إليه في رسالتي هذه؛ مع بيان ما أراه مهماً لمن أراد إكمال ما ابتدأت به، لأن الإنسان عرضة الزلل والخطأ، والذي فاتني أكثر من الذي ذكرته، ورجائي بالله كبير، وحسبي الله ونعم الوكيل.

إن تـجـدْ عيبـاً فسـد الخـللا   قد جلَّ من لا عيبَ فيه وعلا

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

* * *




الباب الأول
حياة البقاعي وآثاره العلمية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: عصر البقاعي في ثلاثة مباحث.

الفصل الأول: حياته في مبحثين.

الفصل الثاني: ثقافته في ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث: آثاره العلمية في مبحثين.






تـمهيـد

عصر البقاعي

لدراسة أية شخصية من الشخصيات لا بد أن نتعرف ـ ولو بشكل عام ـ على ملامح عصر تلك الشخصية من النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية، ذلك لأن الإنسان صورة عصره ومرآة بيئته، وتتجلى هذه البيئة وتتضح في المباحث الآتية:

المبحث الأول

الحالـة السياسية

إن دولة المماليك الجركسية، والمسماة بدولة المماليك الثانية يمتد حكمها ما بين عام (٧٨٤)هـ، وعام (٩٢٣)هـ[١]، فيكون البقاعي المولود عام (٨٠٩)هـ، والمتوفى عام (٨٨٥)هـ[٢]، قد عاصر جزءاً طويلاً من حكم دولة المماليك، وعاش في ظلالها عمراً مقداره ست وسبعون سنة، وهو بهذا يكون قد عاصر فترة احتضنت ستة عشر سلطاناً من سلاطين دولة المماليك الجراكسة، ابتداءً بالملك الناصر (فرج بن برقوق) وانتهاء بالملك الأشرف (أبي النصر قايتباي) والمسلطن عام (٨٧٢)هـ والمتوفى عام (٩٠١)هـ، وقد شهدت مصر طيلة هذه الفترة ـ إلا قليلاً ـ قلقاً سياسياً شديداً، أدى إلى انفجار فتن داخلية وحروب خارجية جسيمة أرهقت البلاد وأهلكت العباد بسبب الحصول على السلطنة التي لم تدم لمعظم سلاطين هذه الفترة ما بين الشهر والسنة، حيث ينتهي الأمر بخلع السلطان إما بمؤامرة لصغر سنه، وإما بتدبير مكيدة ممن حوله تجبره على التنازل عن السلطنة؛ مما أدى إلى اضطراب الأحوال وتفاقم الفتن.

وخير من يحدثنا عن هذه الفترة هو العلامة (المفتي زيني دحلان)[٣] فيقول:

---

(١) عصر السلاطين المماليك: محمود رزق سليم.

(٢) نظم العقيان: السيوطي: معجم المفسرين: عادل نويهض.

(٣) هو أحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي، فقيه مؤرخ مشارك في أنواع العلوم، مفتي الشافعية بمكة، ولد بمكة عام (١٢٣١)هـ، وتوفي عام (١٣٠٤) بالمدينة في المحرم، له عدة مؤلفات. ينظر: معجم المؤلفين: كحالة (١: ٢٢٩).

(اعلم أن سلاطين مصر بعد السلطان برقوق كثرت بينهم الفتن لأجل طلب السلطنة واستمر الحال إلى سنة (٨٢٥)هـ فتسلطن الملك الأشرف (سيف الدين أبو النصر برسباي) فجهز جيشاً لقتال أهل قبرص[١].

وممن تعرض لهذه الفترة بالتفصيل أيضاً: العلامة ابن إياس الحنفي[٢] في «تاريخه» الحافل المشهور بـ«بدائع الزهور ووقائع الدهور»، نلخص منه أهم سلاطين هذه الفترة الذين دامت سلطنتهم، وشهدت البلاد على أيديهم الهدوء والأمن والتقدم، منهم:

١ـ الناصر فرج بن برقوق حكم من سنة (٨٠٨)هـ ـ (٨١٥)، وعرف عنه أنه من أعاظم السلاطين لشجاعته وبطولته في القتال وامتلاء عصره بكثير من العلماء[٣].

٢ـ المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي، استمر حكمه من سنة (٨١٥)هـ ـ (٨٢٤)هـ وذكر عنه من الشجاعة والكرم ومحبة العلم. وحصل في سلطنته عدد من الثورات الشامية المتكررة[٤].

٣ـ الملك الأشرف برسباي: دام حكمه من سنة (٨٢٥)هـ ـ (٨٤١) وقد اشتهر عصره بغزو قبرص، وكان منه ذلك ثلاث مرات.

المرة الأولى: سنة ٨٢٦هـ انتصر فيها وقتل وغنم من الأسرى ألفاً وستمئة نفس.

المرة الثانية: سنة ٨٢٨هـ قتل فيها المسلمون من الإفرنج خلال شهرين خمسة آلاف نسمة، ولم يقتل فيها من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفراً.

---

(١) الفتوحات الإسلامية: دحلان.

(٢) محمد بن أحمد بن إياس: مؤرخ ولد بالقاهرة وتوفي نحو سنة (٩٣٠)هـ له مؤلفات عدة. ينظر: معجم المؤلفين (٨: ٢٣٦).

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور: محمد بن إياس الحنفي.

(٤) المصدر السابق (٢: ٢-١٠).

المرة الثالثة: سنة ٨٢٩هـ قتل فيها من الإفرنج ستة آلاف، وحمل ملك قبرص إلى مصر[١] لكنه أصيب بعد هذا بخلط في عقله، واضطربت أحكامه، وشذت أوامره[٢].

٤ـ الظاهر جقمق العلائي: دام حكمه من سنة (٨٤٢)هـ ـ (٨٥٧)، وكان محباً للعلم كريماً معظماً للعلماء، وقد حدثت في عصره معارك شديدة مع (قرقماس الشعباني) وكذلك (نائب الشام) وعدد من العبيد، حيث تجمعوا وسلطنوا عليهم واحداً منهم، فانتصر عليهم (جقمق) وساقهم إلى أسواق الروم فباعهم[٣].

٥ـ الأشرف إينال العلائي: ولي الحكم عام (٨٥٧)هـ وقد ساد الهدوء على عهده، وقلت الثورات الداخلية، ولكنه ثار عليه المماليك (الجلبان) عدة مرات وذلك عام (٨٥٩)هـ.

من أعماله: أرسل حملة لتأديب المغيرين على أملاكه الشمالية فنجح، وأنشأ عمارةً بحريةً لتأديب الفرنجة المغيرين على قبرص وسواها، وقد عرف بالكرم وهدوء النفس، مرض عام (٨٦٥)هـ وتنازل عن ملكه لابنه أحمد[٤].

٦ـ الظاهر خشقدم الناصري: دام حكمه من سنة (٨٦٥)هـ إلى (٨٧٢)هـ.

من أعماله: أرسل حملة من العسكر إلى قبرص لتقرير الملك لصاحبها ودفع المتغلبين، ففعلوا ونجحوا وعادوا سالمين، مرض آخر أيامه أربعين يوماً ومات[٥].

٧ـ الأشرف أبو النصر قايتباي: دام حكمه من عام (٨٧٢)هـ إلى (٩٠١)هـ حارب

---

(١) الفتوحات الإسلامية: دحلان (٢: ١٠٢-١٠٥).

(٢) بدائع الزهور: ابن اياس (٢: ١٥-٢٣).

(٣) المصدر السابق (٢: ٢٤-٣٧).

(٤) المصدر السابق (٢: ٣٩-٥٢).

(٥) المصدر السابق (٢: ٧٠-٨٤).

في شمال الشام والبلاد الحلبية (سوار التركماني) بهجومه على أملاكها، وكذلك فعل مع (حسن الطويل) ملك العراقيين حينما أغار على أملاك الدولة في الشام، وواجه العثمانيين أكثر من مرة في حروب خارجية وانتصر عليهم، وبطش بالإفرنجة على الشواطئ(١).

يتضح مما مضى أنَّ الحياة السياسية التي عايشها البقاعي كانت في قلق سياسي، إذ كل هؤلاء السلاطين الذين توالوا على حكم مملكة واحدة، وغيرهم ممن تولى السلطنة لفترة تتراوح بين الشهر والسنة، أنهك البلاد وأصابها بالوهن بسبب ما وقع من قتل وعزل، وخلع وسجن، وفتن وإِحَن، وحروب ونزاعات.

ولا ريب في أنَّ كل هذا له الأثر الكبير في نفوس أهل العصر ولاسيما علماؤهم، وقد نال البقاعي من ذلك شيء كثير بسبب صراحته في الحق وعدم مداهنته للسلاطين، واعتراضه عليهم لمخالفتهم للشرع، فأصابه منهم بالغ الأذى، فالظاهر جقمق منعه من إقراء الحديث بالقلعة وأدخله حبس أولي الجرائم(٢).

❊ ❊ ❊

(١) بدائع الزهور (٢: ٩٠-٣٠٣). وينظر أيضاً: عصر سلاطين المماليك (١: ٤٦-٥٣).

(٢) الضوء اللامع: السخاوي (١: ١٠٢).

المبحث الثاني
الحالة الاجتماعية

كما أنَّ لتقلبات الأحوال السياسية أثراً على سلوك الناس ونفسياتهم، كذلك فإن للأحوال الاجتماعية أثراً كبيراً على نفوس الناس وأمزجتهم وأخلاقهم، فمن أسوأ الأحوال الاجتماعية الأمراض والأوباء، حيث عاصرت هذه الفترة التي عايشها البقاعي أمراض كثيرة مستشرية أوغلت في البغي وأمعنت في الشر، وإليها مرد ما تعانيه الأمة من آلام شداد، وما يعوق خطاها إلى الأمام من عقبات صعاب، وأشد هذه الأمراض كما يبدو الطاعون المسمى (بالكوليرا) حالياً، وكان يظهر بين كل أربع أو خمس سنوات فقد ابتدأ عام ٨٠٧هـ وكان شديداً في الأعوام التالية:

(٨١٣) و(٨١٩) و(٨٢١) و(٨٣٣) وكانوا يتساقطون في الطرق جماعات جماعات و(٨٤١) و(٨٤٩) و(٨٥٣) و(٨٦٤) وهلك بهذا الداء آلاف من الناس لا يحصون حتى قيل: كان يموت كل يوم نحو عشرة آلاف إنسان[١].

فالأمراض إذن من أخطر أعداء الإنسانية، ويمكنها أن تعبث في الناس بالفتك ما وسعها إن لم تعالج بالوعي والوقاية، وتؤثر كثيراً على أحوال الناس الاجتماعية، وكذلك القحط وغلاء الأسعار الذي حدث أكثر من مرة[٢]. وله التأثير الكبير على نفوس الناس وأخلاقهم.

---

(١) عصر سلاطين المماليك (٢: ٣١٨-٣٢٠).

(٢) بدائع الزهور (٢: ٣١، ١١٨).

المبحث الثالث
الحالة العلمية

الناظر في الحالة العلمية في عصر البقاعي يجد أنها قد بلغت حداً كبيراً من النضوج والازدهار، وأنها لم تتأثر بسبب عدم استقرار الحالة السياسية، بل كانت على العكس من ذلك، حيث أدت إلى تنشيط الحركة العلمية وازدهارها، ويتضح هذا النضوج والازدهار فيما يقوم به الأمراء والسلاطين من التوجهات الشرعية الطيبة المتمثلة في بناء المدارس، وفي تشجيع العلماء على التأليف والتصنيف وعلى احترامهم وإعطائهم مكانتهم اللائقة بهم.

وهذه جملة نماذج للتدليل على ذلك:

١ـ تواضع السلاطين للعلماء وتكريمهم:

فمثلاً: السلطان برقوق، لما أنشأ مسجده وظف فيه شيوخاً يتولون التدريس، وكان من بينهم الشيخ (علاء الدين السيرامي)[١] مدرس الحنفية وشيخ الصوفية، وقد بالغ (برقوق) في احترام هذا الشيخ وتكريمه، حتى إنه كان يفرش له السجادة بيده[٢].

وأيضاً: لما كملت عمارة جامع السلطان (المؤيد شيخ المحمودي) واجتمع الطلبة للدرس، خرج إليهم (شمس الدين الديري)[٣] من خلوته، وأمامه ابن السلطان المؤيد

(١) هو علاء الدين بن أحمد بن محمد بن أحمد السيرامي، توفي سنة (٧٩٠)هـ. ينظر: شذرات الذهب: ابن العماد (٦: ٣١٣).

(٢) عصر سلاطين المماليك (٣: ٢٣-٢٤).

(٣) محمد بن أبي بكر بن خضر المتوفى سنة (٨٦٢)هـ بالناصرة، له مختصر الترغيب والترهيب. ينظر: الضوء اللامع (٧: ١٦٧).

وهو (المقر الصارمي إبراهيم) حاملاً سجادة الشيخ حتى فرشها له في المحراب[١].

بل نجدهم يذهبون في احترامهم للعلماء إلى أبعد من ذلك:

فمثلاً: نجد الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[٢] حضر مرة عند السلطان «لاجين» فقام إليه السلطان وقبل يده، فلم يزد على قوله: «أرجوها لك بين يدي الله»[٣].

وهكذا يفعل السلطان (قايتباي) حينما أخبره عبد القادر الرماح ـ أحد أخصائه ـ أن الشيخ عبد القادر الدشطوطي من عباد الله الصالحين، وأنه يأتي أحياناً إلى جامع في مكان عند القرافة تحت جبل المقطم، فطلب منه السلطان مراقبته ليخبره بقدومه فيحظى بلقياه، فعمد الرماح إلى شبيه به، وحصل ما حصل من تقبيل السلطان (قايتباي) لرجلي شبيه (الدشطوطي)، وهو يقول له: (يا سيدي أحمل حملتي مع ابن عثمان)، وكان بينه وبين العثمانيين نزاع وذلك في عام (٨٩٤)هـ في المحرم[٤].

٢ـ الأمراء يتلقون العلم عند العلماء:

قال السخاوي: (وكان للأمراء في أواخر ذاك القرن اعتناء بالعلماء، فكان لكل أمير عالم بالحديث... ثم ذكر أنَّ العراقي زين الدين عبد الرحيم[٥] كان أميره إما (أيتمش) صاحب المدرسة التي بباب الوزير، أو (يشبك الناصري الكبير)[٦].

---

(١) بدائع الزهور (٢: ٧).

(٢) هو محمد بن علي بن وهب أبو الفتح تقي الدين، حافظ زاهد توفي سنة (٧٠٢)هـ. ينظر: طبقات الشافعية: السبكي (٦: ٢).

(٣) عصر سلاطين المماليك (٣: ٢٣).

(٤) بدائع الزهور (٢: ٢٥٦).

(٥) هو عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن أبو الفضل الكردي المتوفى سنة (٨٠٦)هـ له مؤلفات عديدة، ومحاسن مشهودة. ينظر: الضوء اللامع (٤: ١٧٠-١٧٨)، معجم المؤلفين (٥: ٢٠٤).

(٦) الضوء اللامع (٤: ١٧٧).

٣ـ الأمراء يشجعون العلماء على التصنيف:

فمثلاً: إن محمداً القوصي الطبيب ألف (للغوري) بإشارة منه كتاب «كمال الفرحة»[١].

وإنّ عماد الدين موسى بن محمد اليوسفي المصري المتوفى سنة (٧٥٩)هـ ألف للسلطان (جقمق) كتابه «كشف الكروب في معرفة الحروب»[٢].

وإن قاضي القضاة مُحب الدين بن الشحنة المتوفى سنة (٨١٥)هـ ألف كتاب «روض المناظر» إجابةً لرغبة الأمير عماد الدين محمد نائب السلطان بقلعة حلب[٣] وأنَّ ابن أبي حجلة المغربي[٤] قال في مقدمة ديوانه «ديوان الصبابة»: (إنه احتفظ به بعد تأليفه حتى برز له مرسوم شريف من الملك الناصر حسن يطلبه فقدمه إليه)[٥].

بل أوضح دليل وآكده على التقدم العلمي الشرعي في هذا العصر، وعلى اهتمام أمراء هذا العصر وسلاطينه بالجوانب الشرعية، هو ما عرف عنهم من كثرة بنائهم للمدارس الإسلامية، وإيقاف الخزائن فيها، بل وإنشاء الخانقاه (التكايا) ومحال الذكر والعبادة.

فمن ذلك مثلاً ـ وهو قليل من كثير ـ:

المدرسة الظاهرية القديمة التي بناها الظاهر بيبرس سنة (٦٢٢)هـ ورتّب فيها لتدريس الشافعي والحنفي والحديث وإقراء القراءات، ووقف بها خزائن كتب.

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان (٣: ٢٥٤)، عصر سلاطين المماليك (٣: ٨٢).

(٢) عصر سلاطين المماليك (٣: ٨٢).

(٣) المصدر السابق (٣: ٨٣).

(٤) وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى التلمساني توفي سنة (٧٧٦)هـ. ينظر: شذرات الذهب (٦: ٢٤٠-٢٤١).

(٥) عصر سلاطين المماليك (٣: ٢٨).

والمدرسة المنصورية، أنشأها هي والبيمارستان (المستشفى) الملك المنصور قلاوون ورتب فيها دروس فقه في المذاهب الأربعة، ودرس تفسير، ودرس حديث، ودرس طب.

والمدرسة الناصرية، بناها الملك (كتبغا)، وأتـمها الناصر محمد بن قلاوون سنـة (٧٠٣)هـ.

والخانقاه البيبرسية بناها الأمير ركن الدين بيبرس سنة (٧٠٩)هـ وخانقاه (قوصون) بالقرافة سنة (٧٠٣)هـ وخانقاه شيخو، ومدرسة السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، والمدرسة الظاهرية سنة (٧٨٨)هـ والمدرسة المؤيدية سنة (٨٢٣)هـ[١].

ومن الخزانات ودور الكتب، خزانة الكتب بجامع المؤيد، دخل إليها المؤيد عام (٨١٩)[٢]، وخزانـة المدرسة الـمحمودية التي بناها الأستادار جمال الدين محمود عام (٧٩٧)هـ[٣].

وكان من ثمرات هذا التشجيع للعلماء، وهذا التكريم لهم، أن برز في هذا العصر على الخصوص، جلة من العلماء الأعلام، بخل الزمان بمثلهم أو كاد، ومن كبار هؤلاء العلماء: الحافظ العراقي المتوفى سنة (٨٠٦)هـ[٤]، وولي الدين ابن خلدون[٥]، والمقريزي[٦]، ونادرة

---

(١) المختار من حسن المحاضرة للسيوطي: محمد محمود صبيح (٢٠٤-٢٠٨).

(٢) عصر سلاطين المماليك (٣: ٦٨).

(٣) المصدر السابق (٣: ٦٨).

(٤) مضت الإشارة إليه قبل قليل فليراجع، ولينظر أيضاً: طرح التثريب: حلب (١: ٢-٦)، البدر الطالع: الشوكاني (١: ٣٥٤).

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي، ولي الدين أبو زيد توفي سنة (٨٠٨)هـ وله عدة مؤلفات منها (تاريخ ابن خلدون). ينظر: معجم المؤلفين (٥: ١٨٩). نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون: محمود الملاح: مطبعة أسعد (١٣٧٦).

(٦) هو أحمد بن علي المصري المولد والدار والوفاة، له مؤلفات كثيرة، توفي سنة (٨٤٥)هـ. ينظر المنهل الصافي (١: ٣٩٤-٤٠٤).

الزمان الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني[١]، والعلامة جلال الدين السيوطي[٢]، وغير هؤلاء كثير كثير.

وقبل هؤلاء برز عالمان جليلان هما: الإمام النووي[٣]، وابن دقيق العيد[٤] فكل هذه الأمور من تغيرات الأحوال السياسية، ووجود الفتن والمنازعات وحدوث القحط والأمراض، له تأثير سلبيّ على نفسيات أهل العصر، بل وعلى سلوكياتهم الاجتماعية.

وكذلك الاتجاه الشرعي العام من قبل السلاطين والأمراء، واهتمامهم بالمساجد والمدارس والعلماء والكتب، له التأثير الإيجابي الفعال في بروز علماء أعلام صبغوا عصرهم بصبغة العلم، وهم كثرة كاثرة.

فالآثار السلبية إذن ـ من هيجان وانفعال، وردود فعل نفسية ـ وحدة ظاهرة، والتي وجد منها الشيء الكثير لدى (البقاعي)، بل والتي ظهرت آثارها حتى على عناوين كتبه بله مضامينها مثل:

«تنبيه الغبيّ»، «تدمير المعارض»، «تدمير الأركان»، «السيف المسنون»، «محق الزيف»، «أشلاء الباز القارض». فكل هذا دليل على تأثره المفرط بأحوال عصره، وكذلك الحال في معاصريه من أمثاله الذين بدت عليهم هاتيك الانفعالات، فالسخاوي[٥] في «الضوء اللامع» أقام ثورةً عارمةً عنيفةً على بعض معاصريه، والسيوطي[٦] في كتابه

---

(١) توفي سنة (٨٥٢)هـ وستأتي ترجمته في باب شيوخ البقاعي. وينظر: شذرات الذهب (٧: ٢٧٠-٢٧٣).

(٢) وهو العلامة الشيخ عبد الرحمن، توفي سنة (٩١١)هـ. ينظر: شذرات الذهب (٧: ٢٧٠).

(٣) وهو يحيى بن شرف المتوفى سنة (٦٧٧)هـ وينظر: طبقات الشافعية: السبكي (٥: ١٦٥٠).

(٤) سلفت ترجمته، وينظر: الإلمام.

(٥) هو الحافظ محمد بن عبد الرحمن، توفي سنة (٩٠٢)هـ. ينظر: نظم العقيان: السيوطي (١٥٢).

(٦) هو جلال الدين عبد الرحمن، توفي سنة (٩١١)هـ وقد سلفت ترجمته. وينظر: النور السافر: العديد روس (٥٤)، الكواكب السائرة: الغزي: (١: ٢٢٦).

«الكاوي لتاريخ السخاوي»[١]. وكتب أخرى صنفها في الرد والنقد، كلها تدل على ما نحن بصدده.

يقول الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف في معرض كلامه عن السيوطي والسخاوي: «وأصبح في عصره معسكران، معسكر يقوده السخاوي، ومن قواده وجنوده: ابن الهركي برهان الدين المتوفى سنة (٩٢٢)هـ وابن العليف أحمد بن حسين المكي تلميذ الجوهري المتوفى سنة (٩٢٦)هـ والشمس الجوجري، وأحمد بن محمد القسطلاني المتوفى سنة (٩٢٣)، وشمس الدين الباني وغيرهم.

والمعسكر الآخر يقوده السيوطي، ومن أنصاره: الفخر الديمي، وأمين الدين الأقصرائي، وزين الدين قاسم الحنفي، وسراج الدين العبادي.. وقد ألف أيضاً كتباً مثل: «الجواب الزكي عن قمامة ابن الكركي»، و«القول المجمل في الرد المهمل»، وغير ذلك من ردوده على السخاوي وابن الكركي والبقاعي والجوجري والباني»[٢].

والحصكفي[٣] أيضاً شنَّ حملةً على البقاعي بكتاب أسماه «ترياق الأفاعي في الرد على البقاعي»[٤].

فكل هذه الأمور، هي أثر واضح من تقلبات الأحوال ومجريات الأمور المضطربة في هذا العصر.

* * *

---

(١) وقد سماه الشوكاني (الكاوي لدماغ السخاوي). ينظر: تدريب الرواي (١: ١٨). وللاطلاع على أسماء كتبهم يراجع: كشف الظنون: حاجي خليفة (٢: ١٣٨٢، ١٣٥٦)، إيضاح المكنون: إسماعيل باشا (١: ٢٨٤).

(٢) تدريب الراوي: المقدمة (١: ٢-٢٩).

(٣) هو محمد بن جمعة: كان حياً سنة (٨٧٤)هـ. ينظر: معجم المؤلفين (٩: ١٥٩).

(٤) إيضاح المكنون (١: ٢٨٤).




الفصل الأول
حياة البقاعي في مبحثين

المبحث الأول: سيرته: وتتناول:

- اسمه ولقبه
- ولادته
- ثقافته
- رحلاته
- وظائفه
- وفاته

المبحث الثاني: ملامح شخصية






المبحث الأول

سيرته

اسمه ولقبه:

هو الشيخ برهان الدين أبو الحسن (إبراهيم) بن عمر بن حسن الرباط ـ بضم الراء بعدها موحدة خفيفة ـ بن علي بن أبي بكير الخرباوي البقاعي الشافعي[١].

والخرباوي: نسبة إلى قرية (خربة روحا) من عمل البقاع[٢].

والبقاعي نسبة إلى البقاع في سوريا[٣] وتسمى «ببقاع كلب» قرب دمشق الشام[٤] به قبر سيدنا إلياس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وسميت بقاع كلب: نسبة إلى كلب بن وبرة لنزول ولده بها، وهو الذي يعرف بـ(بقاع العزيز) الآن: وهي قرية عامرة ولد فيها مفسرنا[٥].

هذا: وقد أجمعت المصادر على ما ذكرناه من اسمه واسم أبيه وجده ومحل ولادته. أما جدّ أبيه فمعظم المترجمين ذكروا أنَّ اسمه (علي بن أبي بكر) كالسخاوي صاحب «الضوء

---

(١) الضوء اللامع (١: ١٠١)، النكت الوفية بما في شرح الألفية (١: ٩)، نظم العقيان (٢٤)، بدائع الزهور (٢: ١٩٧).

(٢) الضوء اللامع (١: ١٠١)، شذرات الذهب (٧: ٣٤٠).

(٣) الأعلام: الزركلي (١: ٥٠).

(٤) الجبال والأمكنة والمياه: الزمخشري (١٣٨١: ١٨).

(٥) تاج العروس: مرتضى الزبيدي (٥: ٣٨٠).

اللامع»، والسيوطي صاحب «نظم العقيان»، وابن إياس في «بدائع الزهور»، إلا أن صاحب «شذرات الذهب» ذكر أن اسم جد أبيه هو علي بن محمد السليمي[١].

ولادتـه:

وقد ذكر البقاعي رحمه الله ولادته بقوله: (في ليلة الأحد سنة إحدى وعشرين وثمانمئة أوقع ناس من قريتنا «خربة روحا» من البقاع، يقال لهم بنو مزاحم، بأقاربي بني حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر، وأخويه محمد سويد وعلي أخوهما لأبيهما، وضُرِبْتُ أنا بالسيف ثلاث ضربات أحدها في رأسي فجرحتني، وكنت إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة)[٢].

فبناء على هذا: تكون سنة ولادته هي (٨٠٩)هـ لأنه وقع بهم ما وقع سنة (٨٢١)هـ وعمره آنذاك (١٢) سنة.

ويبدو أنّ البقاعي قبل هذه الحادثة قد تلقى علومه الأولى على يدي والده قبل وفاته، فحفظ القرآن الكريم، والفقه وعلومه منذ نعومة أظافره، ويؤيد ذلك قوله في إثر الحادثة التي ضُرِب فيها بالسيف واضطّرت جده لأبيه أن يرحل من بلده مصطحباً معه حفيده البقاعي: (واستمر بنا نتنقل من قرى وادي التيم والعرقوب وغيرها إلى أن أراد الله تعالى بإقبال السعادتين الدنوية والأخروية، فنقلني جدي لأبي علي بن محمد السليمي إلى دمشق فجوّدت القرآن وجددت حفظه، وأفردت القراءات وجمعتها على بعض المشايخ، ثم على الشمس ابن الجزري لما قدم إلى دمشق سنة سبع وعشرين وثمانمئة، واشتغلت بالنحو والفقه وغيرهما من العلوم)[٣].

---

(١) شذرات الذهب (٧: ٣٤٠). والذي يظهر من الاختلاف سالف الذكر أحد أمرين: إما أن نقل صاحب الشذرات قد وقع فيه لبس، وإما أن (أبا بكر) هو كنية لمحمد السليمي هذا اشتهر بها وليست اسماً له، والذي استدعى هذا التوجيه هو أنَّ البقاعي نفسه في نكته ذكر أنَّ جد أبيه هو أبو بكر وكذلك ابن العماد نفسه في غير هذا الموضع والله أعلم.

(٢) شذرات الذهب (٧: ٣٣٩).

(٣) المصدر السابق (٧: ٣٤٠).

ثم شرع صاحبنا يستزيد من العلم والمعرفة عن طريق الرحلة حتى غدت حياته حياة حافلة بهما ولاسيما في سنوات الغزو والجهاد التي (استمرت أكثر من ثلاثين سنة ولعلها زادت على مئة وقعة كان فيها ما قاربت القتلى فيها ألفاً)[١].

ولا جدال في أن البقاعي قد أفاد كثيراً من سنوات الغزو والجهاد من ناحيتين: أولاهما إفادته من ناحية الجندية حيث أكسبته الشجاعة، ومن ثم اتسمت مواقفه بعد ذلك بالجرأة والبطولة، والناحية الثانية فقد زادته علماً إلى علمه وفتحت مواهبه، حيث كان ولا شك معه في هذه الغزوات العديد من العلماء فتلقى عنهم وتلقوا عنه.

أسرته:

أما أسرته فإنا لا نعلم عنها شيئاً تفصيلياً، سوى أنه كان له زوجة طلقها وله منها ولد رضيع[٢] ولكن هل امتد عمر هذا الطفل بعده أو أنه فقده في حياته، وهل لديه غيره أو لا؟ كل هذا لا نعلمهُ ولعل إسهامه البالغ في المعارك، وركوبه البحر في عدة غزوات، ومرابطته غير مرة، والبلاد تموج بالفتن وتنتهبها الانقسامات دعا كل المراجع التي أرخت له أن تُعْرِض عن تفاصيل أسرته اشتغالاً بالأهم عن المهم.

رحلاته في طلب العلم:

كانت الرحلة في طلب العلم ديدن العلماء، وكم من كتب وأسفارٍ قد ألف العلماء في فضل الرحلة، ومن أولئك العلماء الخطيب البغدادي[٣] حيث صنف كتاباً سماه «الرحلة في طلب الحديث» روى فيه الأخبار الكثار فيمن رحل لأجل العلم.

---

(١) شذرات الذهب (٧: ٣٤٠).

(٢) توشيح الديباج: بدر الدين القرافي.

(٣) هو أحمد بن علي، محدث مؤرخ أصولي من تصانيفه تاريخ بغداد، توفي سنة (٤٦٣)هـ. وينظر: طبقات الشافعية: السبكي (٣: ١٢)، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام: ياسين العمري (٢٤٥).

فذكر مثلاً سنده إلى زكريا بن عدي قال: «رأيت ابن المبارك[١] في النوم، فقلت ما فعل الله بك قال: غفر الله لي برحلتي في الحديث»[٢] وذكر سنده إلى الشعبي[٣] قال: «لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره، رأيت أن سفره لا يضيع»[٤] وسنده إلى سعيد بن المسيب[٥] أنه كان يقول «كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد»[٦].

فلا غرو إذن ولا غرابة، أن يطوف البقاعي في البلاد، راحلاً للأخذ عن العلماء والتلقي عنهم، كيف وقد غصت حياته بالأسفار وتعددت رحلاته.

فهو: قد نشأ في قرية (خربا روجا) من أعمال البقاع[٧] ثم تحول إلى دمشق أثر حادثة سلف ذكرها[٨] وبعدها فارق دمشق ودخل إلى بيت المقدس[٩] ثم دخل القاهرة ثم فارقها ثم عاد إليها[١٠] وبعدها سافر إلى حلب صحبة شيخه العلامة ابن حجر العسقلاني وأخذ

(١) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولاهم تابعي جليل، توفي سنة (١٨١)هـ. ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: النووي: القسم الأول (٢٨٥-٢٨٧).

(٢) الرحلة في طلب الحديث: الخطيب البغدادي (٤٧).

(٣) هو أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي من التابعين توفي سنة (١٠٣)هـ. ينظر: تهذيب التهذيب: العسقلاني (٥: ٦٥)، حلية الأولياء: أبو نعيم (٤: ٣١٠).

(٤) الرحلة في طلب الحديث: البغدادي (٤٩).

(٥) هو ابن حزن بن أبي وهب توفي سنة (٩٤)هـ. ينظر : طبقات ابن سعد (٥: ٨٨)، فقه سعيد بن المسيب: هاشم جميل

(٦) الرحلة في طلب الحديث (٥٨).

(٧) الضوء اللامع: السخاوي (١: ١٠٢).

(٨) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٩) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(١٠) المصدر السابق (١: ١٠٢).

في هذه الرحلة عن شيوخ الراوية بها[١] ثم عاود ترحاله إلى دمياط فالسكندرية وغيرها[٢]، وقصد الحج فحج وأقام بمكة يسيراً،[٣] ثم زار الطائف والمدينة المنورة،[٤] وركب البحر أيضاً في عدة غزوات ورابط غير مرة[٥].

وكان من جملة مرابطته وجهاده، أن خرج إلى غزوة قبرص وردوس من البحر ولم يتيسر لهم الفتح سوى قلعة ألميش، وألف كتاباً عام (٨٤٤)هـ أسماه «الإسفار عن أشردة الأسفار»[٦] ثم انتقل إلى الشام ونزل بالمدرسة الغزالية بعد أن حدث عليه ما حدث من تكفيره، وإراقة دمه،[٧] وقد صدر أمر بنفيه إلى الهند بأمر من الظاهر (جقمق)، بسبب تعرض البقاعي له[٨].

ومما لا شك فيه، أنه قد اتصل في هذه الرحلات بأعلام هذه البلاد وعلمائها وأخذ عنهم وأخذوا عنه وأفاد تجربة وقدرة على المناقشة والجدل، وقد تجلى ذلك في كتاباته وردوده وانتقاداته على خصومه وحاسديه، وما بلغ من المجد العلمي ما بلغ إلا بسبب هذه الرحلات الجمة التي لم تتهيأ لسواه.

وظائفه:

لقد تقلد البقاعي جملة من الوظائف كالاستفتاء والنظارة وتدريس القراءات ومشيخة القراء. يقول السخاوي:

---

(١) الضوء اللامع: السخاوي (١: ١٠٢).

(٢) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٣) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٤) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٥) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٦) معجم المصنفين: صديق كمال (٤: ٢٧٨).

(٧) بدائع الزهور: ابن إياس (٢: ١٤٦).

(٨) المصدر السابق (٢: ٣٠).

«ودخل بيت المقدس ثم القاهرة للاستفتاء على أهلها وهو في غاية من البؤس والقلة والعُري[١] وعين في حياة الظاهر جقمق لقراءة الحديث بالقلعة»[٢]، وأخذ النظارة على جامع الفكاهين وعلى خان أريداني[٣]، وأخذ تدريس القراءات بالمؤيدية عقب أمين الدين ابن موسى[٤]. ولما توجه إلى دمشق أنزله متصرفها بالمدرسة الغزالية وأعطاه مشيخة القرّاء بتربة أم صالح،[٥] ورغب عما كان باسمه كالميعاد بجامع الظاهر والمسجد الذي يعلوه سكنه،[٦] ثم شاقق المباشر لوقف الميعاد الذي باسمه في جامع الظاهر، ليثبت له ما أفتيت بزيادته له في معلوم الوظيفة[٧]. ورام أخذ دكان من وقف آخر ليحوزها إلى وظيفته فكفه عن ذلك قاضي الحنفية[٨].

وصيته ووفاته ومرثيته:

أما وصيته فإنه أوصى قبل موته بكل ما كان بخطه من تصنيفه وغيره لابن قريبة المحلي، وسافر إلى الشام فأخذها[٩].

وأما وفاته: فإنه توفي ليلة السبت، ثامن عشر رجب، سنة خمس وثمانين وثمانمئة بعد أن تفتت كبده من مكابدة الشرائد ومناهدة العظائم[١٠]، وصُلي عليه من الغد بالجامع

(١) الضوء اللامع (١: ١٠١).

(٢) المصدر السابق (١: ١٠٢). ينظر: معجم المصنفين (٤: ٢٨٢).

(٣) الضوء اللامع (١: ١٠٣).

(٤) المصدر السابق (١: ١٠٣).

(٥) المصدر السابق (١: ١٠٦).

(٦) المصدر السابق (١: ١٠٦).

(٧) المصدر السابق (١: ١٠٩).

(٨) المصدر السابق (١: ١٠٩).

(٩) المصدر السابق (١: ١٠٧).

(١٠) وسوف يتضح فيما يأتي ما حصل له مع حاسديه ومناوئيه، وما وقع عليه حين كفّر ابن الفارض وابن عربي، وحين تكلم على الغزالي راداً عليه بعض عباراته.

الأموي، ودفن بالحمرية خارج دمشق من جهة قبر عاتكة[١] وقد ذكر مثل هذا ابن إياس[٢].

وأما مرثيته، فإنه قد رثى نفسه في حياته لموته فقال:

نعم إنني عما قريب لميتٌ ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

كأنك بي أنعى إليك وعندها ... ترى خبراً صمت له الأذنان

فلا حسد يبقى لديك ولا قِلى ... فينطق في مدحي بأي معان

وتنظر أوصافي فتعلم أنها ... علت عن مدان في أعز مكان

ويمسي رجال قد تهدم ركنهم ... فمدمعهم لي دائم الهملان

فكم من عزيز لي يذل جماحه ... ويطمع فيه ذو شقاً وهوان

فيا رب من تفجأ بهول يوده ... ولو كنت موجوداً لديه دعاني

ويا رب شخص قد دهته مصيبة ... لها القلب أمسى دائم الخفقان

---

(١) الضوء اللامع (١: ١٠٧)، بدائع الزهور (٢: ١٩٧)، البدر الطالع (١: ٢١).

(٢) بدائع الزهور (٢: ١٩٧). لكنه ذكر في حوادث (٨٧٥)هـ أنه كادت العوام أن تقتله، وحصل له من الأمراء ما لا خير فيه، فهرب واختفى حتى توجه إلى مكة فمات هناك (٢: ١٢١). وهذا غير صحيح، والصواب أنه توفي بدمشق عام (٨٨٥)هـ باتفاق الناقلين لسنة وفاته، ومنهم أيضاً ابن إياس نفسه، إذ أخبر بمجيء الأخبار من دمشق عام (٨٨٥)هـ بوفاته، وأيضاً: فإن ذهابه إلى مكة هذا كان عام (٨٧٥)هـ. ودعوى القول بموته في هذه السنة باطلة لشواهد مؤلفاته الكثيرة، والتي عليها بلاغاته، وقد قرئت عليه بعد تاريخ (٨٧٥)هـ بعدة سنوات، ومن ذلك كتابه «النكت الوفية بما في شرح الألفية» فإنها كتبت سنة (٨٨٠)هـ وقرئت على البقاعي وعليها بلاغاته.

ملاحظة: نقل الكتاني في فهرس الفهارس (٢: ٦١٩) عن كشف الظنون أنّ البقاعي قد توفي سنة (٨٧٠)هـ وهذا خطأ، لأنّ صاحب الكشف قد ذكر أنه توفي سنة (٨٨٥)هـ. ينظر: كشف الظنون (٢: ١١٧٥).

فيطلب من يجلو صداها فلا يرى ... ولو كنت جلته يدي ولساني
وكم ظالم نالته مني غضاضة ... لنصرة مظلوم ضعيف جنان
وكم خطة سامت ذويها معرّة ... أعيدت بضربٍ من يدي وطعان
فإن يَرْثِني من كنت أجمع شمله ... لتشتيت شملي فالوفاء رثاني[١]

❊ ❊ ❊

(١) الضوء اللامع (١ : ١٠٧)، البدر الطالع (١ : ٢١).

المبحث الثاني
ملامح شخصيته

يتصف كل شخص بحكم تكوينه البشري ومعايشته البيئية بأمور إيجابية بارزة في شخصيته يتميز بها بين قومه، يمدحه عليها بعض الناس ويثنون عليه فيها، ويحسده عليها أناس آخرون، وكذلك يتصف بأمور سلبية بارزة في شخصيته تظهر من تصرفاته واختلاطه بالناس، بحيث تفتح عليه باب النقد والتجريح.

والبقاعي في هذا، حاله حال الناس، اتسم بأمور إيجابية أثنى عليه فيها المحبون، وحسده عليها بعض نظرائه، كما اتسم بأمور سلبية أدت به إلى النقد.

فمن ملامح شخصيته الإيجابية:

ـ شجاعته وجرأته فيما يراه حقاً:

لو تصفحنا حياة البقاعي لوجدنا له صفحات جديرة بالتقدير، قد امتلأت شجاعة وجرأة ومنافحة عما يراه هو حقاً، بحيث كانت هذه الجرأة سبباً في انعكاس الأمر عليه، والنيل منه، والإيقاع به. من سجن أو نفي، أو حكم بكفر، أو عزل عن وظيفة، أو غير ذلك.

فمن جملة ذلك: تعرضه للسلاطين في مخالفاتهم مع عدم مداهنته إياهم حتى ترتب عليه بالغ الأذى منهم.

فالظاهر جقمق منعه من إقراء الحديث بالقلعة، وأدخله حبس أولى الجرائم[١].

(١) الضوء اللامع (١: ١٠٢).

يقول ابن إياس: «ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثمانمئة، وفيها تغير خاطر السلطان على الشيخ برهان الدين البقاعي، وقد وقف شخص وشكاه للسلطان فأمر بسجنه بالمقشرة، وأخرج عنه وظيفته في قراءة الحديث ثم نفاه إلى الهند حتى شفع فيه بعض الأمراء»[١].

وكذلك الأشرف إينال: سجنه بسبب قوله أن الأشرف إينال موافق للظاهر ـ أي جقمق ـ في الانسلاخ من شرائع الدين في الباطن، مع أن هذا ـ أي الأشرف إينال ـ لم يكن عنده ما عند الظاهر من الصبر على إظهار ما يبطن من التمسك بالشرع وإظهار تعظيمه إقامة لناموسه[٢].

ومن جرأته أيضاً، صراحته في إظهار ما يعتقده، بحيث استثارت هذه الصراحة حفائظ أهل عصره وألّبتهم عليه، حتى وصل الأمر به إلى أنّ اتهم بالكفر وأبيح دمه. فمثلاً:

«في سنة سبع وسبعين وثمانمئة، وقع بين البرهان البقاعي وقاضي الجماعة أبي عبد الله القلجاني المغربي[٣] المالكي بحث في بعض المسائل، فوقع من البرهان البقاعي في ذلك المجلس جواب ضبطه عليه قاضي الجماعة وصرح بكفره وأشهد عليه، فأراد أن تقام عليه الدعوى عند قاضي القضاة المالكي، فلما علم كاتب السر ـ ابن مزهر ـ[٤] بذلك، طلب البقاعي عنده، وحكم بعض القضاة بحقن دمه. ولو لا كاتب السر ما حصل للبقاعي خير»[٥].

---

(١) بدائع الزهور (٢: ٣٠).

(٢) الضوء اللامع (١: ١٠٢).

(٣) هو محمد بن عمر المتوفى سنة (٨٩٠)هـ. ينظر: الضوء اللامع (٨: ٢٥٧، ٢٥٨).

(٤) واسمه محمد ويلقب بكمال الدين كاتب السر وأخوه بدر الدين كان حياً إلى سنة (٨٩٤)هـ. ينظر: بدائع الزهور (٢: ٣٦٤، ٣٧١).

(٥) بدائع الزهور (٢: ١٤٦).

وقد أشار الشوكاني لأسباب تعرض قاضي الجماعة للبقاعي وتكفيره بقوله: (وقد كان بلغ جماعة من أهل العلم في التعرض له بكل ما يكبره إلى حد التكفير، حتى رتبوا عليه دعوى عند القاضي المالكي أنه قال: إن بعض المغاربة سأله أن يفصل في «تفسيره» بين كلام الله وبين تفسيره بقوله «أي» ـ وهي أي التفسيرية المعروفة ـ أو نحوها، دفعاً لما لعله يتوهم. وقد كان رام المالكي الحكم بكفره وإراقة دمه بهذه المقالة حتى ترامى المترجم له على القاضي الزيني ابن مزهر وحكم بإسلامه)[١].

ومن آثار شجاعته:

كثرة غزوه ومرابطته وجهاده، واستمراره بالوقائع والحروب أكثر من ثلاثين سنة، فهو قد ركب البحر في عدة غزوات ورابط غير مرة[٢].

ويخبرنا ابن العماد فيما يتحدث به البقاعي عن نفسه فيقول: (وكان ما أراد الله تعالى، من التنقل في البلاد، والفوز بالغزو والحج، أدام الله نعمه أمين. ومن ثمرات ذلك أيضاً، الإراحة من الحروب والوقائع التي أعقبتها هذه الواقعة، فإنها استمرت أكثر من ثلاثين سنة، ولعلها زادت على مئة وقعة، كان فيها ما قارب القتلى فيه ألفاً)[٣].

ومن ملامح شخصيته أيضاً: نباهته وذكاؤه، وقد تجسدت هذه الصفة ظاهرة خير ظهور، وتميزت أجلى تميز، لمن تتبع أثر «تفسيره»، ونظر إلى فطنته في كيفية ربط الآية اللاحقة بالسابقة، وإظهار هذا الرابط يحتاج إلى إعمال في الفكر دقيق، ونظر في سياق نظم الأي عميق، بحيث يتم المقصود من أن كتاب الله تعالى سبيكة واحدة، يأخذ بعضه بعنق بعض، وسيكون لنا كلام طويل في هذا عند ذكر منهج المفسر في «تفسيره» إن شاء الله تعالى.

---

(١) بدائع الزهور (٢: ١٤٦).

(٢) الضوء اللامع (١: ١٠٢)، معجم المصنفين (٤: ٢٨٢) نقلاً عن النور الساطع للقسطلاني.

(٣) شذرات الذهب (٧: ٣٤٠).

ـ **ومن ملامح شخصيته أيضاً**: أنه يكظم غيظه، ويعفو عن المسيء إليه، ثم إنه يؤثر الرحمة على الانتقام، وتتبدى مثل هذه المسائل في أبيات شعره إذ يقول:

ما بـال قلبك قد زادت قـساوتـه فمـا تراك بأدنى الغيـظ منتقمـا

فاكظمه عفواً وأحسن راحماً أبـداً فرحمة الله مخصوص بها الرحمـا[١]

وقال أيضاً:

إن رُمـتَ عيشـاً صـافيـاً أزمـانـا فاعمل بهاذي الخمس تعظم شـانا

اصفحْ تَجنّبْ دارِ واصبرْ واكتم الـ ـشحناء قد أوصى بهـا عثمـانـا[٢]

هذه هي أهم ملامح شخصيتـه الإيجابيـة كمـا يقول عنه ابن العماد الـحنبلي في «شذراته»[٣].

وأما ملامح شخصيته السلبية:

فإنها تبدو ولا شك فيما يظهر على كتبه من ردود، وما يدور فيها من نقد، فهو قد تولى حملة تكفير عارمة لابن الفارض[٤] وابن العربي[٥] وصنف في هذا المجال كتباً عديدة،

---

(١) الضوء اللامع (١: ١١١).

(٢) المصدر السابق (١: ١١١).

(٣) شذرات الذهب (٧: ٣٤٠).

(٤) وهو أبو حفص عمر بن الفارض توفي سنة (٦٢٢)هـ.ينظر: شرح ديوان ابن الفارض: البوريني والنابلسي: ديباجة الديوان (١: ٣-١٩)، ابن الفارض والحب الإلهي: محمد مصطفى حلمي

(٥) محمد بن علي المعروف بـ«محيي الدين» المتوفى سنة (٦٣٨)هـ. ينظر: ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق: ابن عربي: المقدمة.

ابن عربي بين القادح والمادح: أكرم عبد الوهاب، الإمداد شرح منظومة الإسناد: أكرم عبد الوهاب، تحفة السفرة إلى حضرة البررة: ابن عربي: المقدمة (١٠-١٥).

ورد على حجة الإسلام أبي حامد الغزالي[١] في قوله «ليس في الإمكان أبدع مما كان» ورد على القاضي ناصر الدين محمد بن محمد الزفتاوي أحد النواب بالديار المصرية والمتوفى سنة (٨٧٦)هـ في شهر جمادي الأولى وصنف فيه جزءاً سماه «أشلاء الباز على ابن الخباز»[٢]، ثم رجع عن هذا واعتذر عن خطئه وقرأ عليه وترجمه في جملة شيوخه[٣].

والذي يبدو لي أن هذه الصرامة الشديدة في تصرفات البقاعي والتي تتضح جلية في كتبه وآثاره قد حفزها فيه أمران:

الأول: أنه لاقى من الإحن والمحن منذ صغره ولما يناهز سنه الثانية عشرة سنة، فقد قُتل أبوه واثنان من أعمامه، وضرب هو بالسيف ثلاث ضربات إحداها أوقعت جراحة في رأسه، حتى استدعت هذه الإحن جده لأبيه أن يرحل من بلده ليضم إلى هذه الكربة آلام الغربة، والبقاعي معه، متنقلاً في قرى وادي التيم والعرقوب وغيرهما[٤] كما مر.

الأمر الثاني: أن البقاعي عايش فترة أمراض وقحط وفقر، وكما هو معروف إن هذه الأمور لها مالها من دخل كبير في التأثير على نفسيات الناس وشخصياتهم، ولو تصفحنا حياته في نفسه وجدنا أنه «لما دخل بيت المقدس ثم القاهرة للاستفتاء على أهلها، كان في غاية البؤس والقلة والعري»[٥].

ولو نظرنا إلى حياته في داره لوجدنا أنه قد حصل له مع زوجته نزاع أدى ذلك إلى طلاقها، وله منها ولد، فهو يعالج في إبقاء الولد لديه وتحت رعايته وقد «التمس من محمد

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المولود بطوس والمتوفى سنة (٥٠٥)هـ. ينظر: طبقات الشافعية: السبكي (٤: ١٠١-١٨٢). وينظر: طبقات الشافعية: الحسيني (٦٩).

(٢) إنباء المصر في أبناء العصر: الجوهري الصيرفي (٣٤٩).

(٣) المصدر السابق (٣٤٩).

(٤) شذرات الذهب (٧: ٣٤٠).

(٥) الضوء اللامع (١: ١٠١).

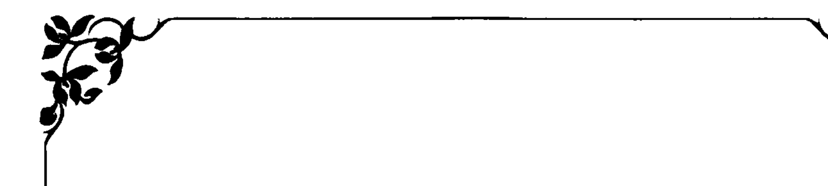
السنباطي القاضي الحكم بصحة التزام مطلقته أنه متى تحركت لطلب ولدها المرضع منه أو التمست نظره كان عليها خمسمئة دينار ونحو ذلك، فصمم على الامتناع»[١].

وأيضاً: فإن انتشار الطاعون في عهده مرات كثيرة هلك فيه كثير من الناس، وتناوب السلاطين على السلطة وما يحدثه هذا من فتن ونزاعات له تأثير في شخصية الناس وسلوكهم ومنهم البقاعي.

هذا: ولعل بعض هذه المذكورات عن البقاعي من الأوصاف السلبية قد تكون من دواعي الحسد وجراحات الأقران. وتصانيفه العديدة والتي من أجلّها المناسبات القرآنية ربما أدت إلى أن يدبّ داء الحسد في قلوب بعض معاصريه، فأوقعوا فيه وتكلموا عليه ونسبوا إليه ما هو منه براء، كيف وقد أباح بعضهم دمه وراموا تكفيره، ولا يكون التكفير مقبولاً إلا بوجود نص صريح يقتضي ذلك.



(١) توشيح الديباج: القرافي.



الفصل الثاني
ثقافة البقاعي

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شيوخه الذين أفاد منهم وتأثر بهم

المبحث الثاني: تلامذته الذين أخذوا عنه وأثر فيهم

المبحث الثالث: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه






تـمهيـد

علمنا مما سلف، أن البقاعي عاش في عصر امتلأ بالعلماء، وازدحم بأرباب العلم والمعرفة، ذلك لما درج عليه أمراء ذلك العصر وسلاطينه من محبة العلم وتكريم العلماء، وتهيئة الوسائل اللازمة للتقدم العلمي، من بناء للمساجد والمدارس، وإنشاء للمكاتب. وحقيق بمن زامن هذا العصر، وثنى الرُّكَب قدام أمثال هؤلاء العلماء الأفذاذ، أن ينال من علومهم، وينهل من معارفهم، ويكون له في العلم دراية. ويجمع من تلكم الفنون التي أتقنوها.

يقول السيوطي عنه: بأنه «العلامة المحدث الحافظ»، وأنه «برع ومهر في الفنون»[١]، والسيوطي من معاصريه، والمعاصر أخبر بحال معاصره، أضف إلى ذلك أن بينهما منازعات وردوداً، ولم يدفع السيوطي إلى مثل هذه التصريحات، إلا رد الحق إلى أهله.

وابن إياس الحنفي يقول فيه: «كان عالماً فاضلاً محدثاً ماهراً في الحديث»[٢]، مع أن ابن إياس لا يخلو من غضاضة على البقاعي بسبب ابن الفارض كما يشعر كلامه فيه[٣].
والشوكاني[٤] يصفه بقوله «وإنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف»[٥].

---

(١) نظم العقيان: السيوطي (٢٤).

(٢) بدائع الزهور: ابن إياس (٢: ١٩٧).

(٣) فمما قال فيه: ليس من مساويه سوى حطه على الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه. بدائع الزهور (٢: ١٩٧).

(٤) محمد بن علي المتوفى سنة (١٢٥٠)هـ ترجم نفسه ترجمة حافلة في كتابه البدر الطالع. ينظر: البدر الطالع (٢: ٢١٤).

(٥) المصدر السابق (١: ٢٠).

أجل، شهد له بعلومه ومعارفه أقرانه وعلماء عصره، بله كتبه ومصنفاته.

ومن قد أجال الطرف في طـي كتْبـه ... ليعرف مقدار البقـاعي ومـا الفـضلُ

رأى وابلاً لا ينتهي الـدهـر هطلـه ... وهتـانـه علـمٌ غـزيـر بـه يعلـو

فهو في التفسير عَلَم عليهم، يشهد له «تفسيره» الذي سنحدق برياضه، ونحوم حول حياضه، ومعلوم: أنه لا يسعد بالقدرة على تفسير كتاب الله جل جلاله إلا من امتلك ناصية العلوم، وحاز ما ينبغي معرفته من منطوق ومفهوم.

يقول الزركشي: «كتاب الله بحر عميق، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلّا من تبحر في العلوم، وعامل الله بتقواه في السر والعلانية»[١].

وقد أوضح السيوطي مجمل العلوم التي يحتاج إليها المفسر والآلات التي ينبغي أن تتوفر فيه وهي: اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والبلاغة والمعاني والبيان والبديع، وعلم القرآن وعلم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وعلم الموهبة ـ وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ـ ثم قال: فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه[٢].

وذكر الألوسي جملة من الآلات التي يحتاج إليها المفسر أيضاً[٣].

وليس هذا فحسب، بل إنه كان مبرزاً في مجال الأدب شعره ونثره، وله في ذلك مؤلفات.

---

(١) البرهان في علوم القرآن: الزركشي: (٢: ١٥٣).

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (٢: ١٨٠)، التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي (١: ٢٦٥-٢٦٨)، مناهل العرفان: الزرقاني (٢: ٥١٩)، مفتاح السعادة: طاش كبرى زاده (٢: ٩٢).

(٣) تفسير الألوسي (١: ٥).

وبعد هذا العرض السريع لثقافة البقاعي، يجدر بنا أن نتكلم عن شيوخه الذين تأثر بهم وطلابه الذين أثر فيهم لتتجلى هذه الثقافة واضحة.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

شيوخه

علمنا أن البقاعي كان كثير التطواف لطلب العلوم، ولأجل هذا فإنه قد تعددت شيوخه وأساتذته، وليس هذا محل ذكرهم بالتفصيل، لأن البقاعي نفسه قد تكفل ببيانهم مستوعباً لهم في كتابين:

أحدهما: «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران»، ويقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات.

والثاني: «عنوان العنوان» مختصر للكتاب الأول. ولكن يكفي هنا أن نعرج على ذكر بعض شيوخه:

١ـ شيخ الإسلام قاضي القضاة الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي: ولد في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمئة (٧٧٣)هـ، ونشأ يتيماً في كنف أحد أوصيائه، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين عند الصدر السفطي، و«العمدة» و«ألفية ابن العراقي» و«الحاوي الصغير» و«مختصر ابن الحاجب». وبحث في صغره وهو بمكة «العمدة» على الجمال ابن ظهيرة، وقرأ عند الأبشيطي شيئاً من العلم، وبعد بلوغه لازم أحد أوصيائه الشمس ابن القطان في الفقه والعربية والحساب، وقرأ عليه جانباً كبيراً من «الحاوي»، ولم يزل يتنقل ويقرأ على الشيوخ شيخاً فشيخاً في الفقه والعربية والبلاغة والأصول واللغة والأدب والعروض والكتابة والقراءات. ثم حبب إليه الحديث وأقبل عليه بكليته، فعكف على الزين العراقي وتخرج به، وتحول إلى القاهرة وبلاد الشام ومصر

والحجاز وأكثر من المسموع والشيوخ، واجتمع له من الشيوخ والأقران فمن دونهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، وكل واحد من شيوخه من المتبحرين في علمه، وأذن له جلهم أو جميعهم في الإفتاء والتدريس، وتصدى لنشر الحديث، وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفاً وإفتاء، وشهد له أعيان شهوده بالحفظ. وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مئة وخمسين تصنيفاً، وكتابه «فتح الباري» الذي لم يسبق له نظير، دليل على رسوخ قدمه في الحديث. وقد شهد له القدماء من نقاد الحديث بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة، كالعراقي والتقي الفاسي والبرهان الحلبي[١].

ونقل صاحب «الحطة» عن ابن خلدون: أن شرح صحيح البخاري دَيْن على هذه الأمة، قال: ذلك الدين أُدّي بشرح الحافظ ابن حجر، ولذلك لما قيل للعلامة الشوكاني: أما تشرح «الجامع الصحيح» للبخاري كما شرحه الآخرون؟ فقال: لا هجرة بعد الفتح[٢]. وفي «التحفة القادرية»: أن الشيخ القصار كان يقول في «فتح الباري» للحافظ: ما أُلف في ملة الإسلام شرح على جميع المصنفات في علم الحديث مثل هذا الشرح[٣]. وله على «صحيح البخاري» سبعة شروح، وقال: ورأيت مكتوباً على ظهر أول ورقة من أوسط شروحه على «صحيح البخاري» وهو «فتح الباري» بخط القصار[٤]: ولكن قال الكتاني: ولا يخلو هذا من مبالغة[٥] (قلت: ذكر السيوطي قريباً مما ذكره صاحب التحفة القادرية. والله أعلم)[٦].

---

(١) الضوء اللامع (٢: ٣٦-٤٠).

(٢) فهرس الفهارس: الكتاني (١: ٣٢٣).

(٣) المصدر السابق (١: ٣٢٣).

(٤)المصدر السابق (١: ٣٢٣).

(٥)المصدر السابق (١: ٣٢٣).

(٦)المصدر السابق (١: ٣٢٥).

قال الكتاني: «ومن الغرائب التي تتعلق بترجمته ما في ثبت[١] الشهاب أحمد بن قاسم البوني: أن الحافظ انتقل في آخر عمره لمذهب مالك، قال كما رأيت ذلك بخطه في مكة المكرمة، قلت: ولعل رجوعه في مسألة أو مسألتين، والله أعلم»[٢].

قلت: الصحيح أنه شافعي المذهب، وطلابه أعرف بمذهبه من غيرهم، كالسيوطي[٣] والسخاوي[٤]، وكونه يذهب في مسألة أو مسألتين إلى قول إمام آخر لا يقتضي خروجه عن مذهبه وانتقاله إلى غيره، ألا ترى إلى حجة الإسلام الغزالي كيف اختار في المياه قولاً وافق فيه مذهب مالك[٥]، والسيوطي في مسألة دبغ الجلد وطهارة شعره أو صوفه به[٦]، وقد صنف في المسألة هذه رسالة تقع في كراس حينما سئل في شعر السنجاب ونحوه من شعور الميتة، أتطهر بالدباغ تبعاً للجلد أو لا؟ وسألوه عما يقتضيه الدليل والنظر من حيث الاجتهاد، لا عن الأظهر من قولي الشافعي القائل بعدم الطهارة فذهب إلى طهارة تلك الشعور[٧].

توفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة ودفن بالقرافة. وهذه ترجمة يسيرة، وإلّا فمن ترجمه كثير، كيف وقد أفرد الحافظ السخاوي

---

(١) الثبت: هو كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكراً سنده في كل كتاب، ومن اجتمع به من العلماء وأجازوه ذاكراً سندهم العلمي والأحاديث المسلسلة بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ. ينظر: ثبت الكزبري: المقدمة: الفاداني محمد عيسى (٨).

(٢) فهرس الفهارس (١: ٣٢٥).

(٣) نظم العقيان (١: ٤٥).

(٤) الضوء اللامع (٢: ٣٦).

(٥) قال تقي الدين الحصني: وقال مالك رحمه الله في الماء القليل لا ينجس إلا بالتغير كالكثير وهو وجه في مذهبنا، واختاره الروياني، وفي قول قديم: إن الماء الجاري لا ينجس إلا بالتغير، واختاره جماعة منهم الغزالي والبيضاوي: ينظر: كفاية الأخيار: الحصني الشافعي: (١: ٦).

(٦) تحفة الإنجاب بمسألة السنجاب: السيوطي: الحاوي للفتاوي (١: ١٧).

(٧) المصدر السابق (١٧-٣٣).

في مجلد، شهد له الأكابر أنه غاية في بابه، سماه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»[١]!.

٢ـ الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشافعي: مقرئ مجود، محدث حافظ، مؤرخ مفسر، فقيه نحوي، ناظم مشارك في بعض العلوم، ولد بدمشق[٢] في رمضان عام (٧٥٦)هـ، وتفقه بها، وطلب الحديث والقراءات، وعَمَر للقراء مدرسة سماها «دار القرآن»، وأقرأ الناس، وقدم القاهرة مراراً، واتصل بقطلبك استدار ايتمش، ونقم عليه وتهدده، ففر منه، فنزل البحر إلى بلاد الروم، فاتصل بأبي يزيد عثمان، فعظمه. وأخذ أهل البلاد عنه علم القراءات وأكثروا عنه، فلما أسر ابن عثمان اتصل ابن الجزري باللنك فعظمه، وفوض إليه قضاء شيراز، فباشره مدة طويلة، وأخذ عنه أهل تلك البلاد القراءات والحديث، وأقام بينبع ثم بالمدينة ثم بمكة، فحج ورجع إلى العراق، ثم عاد فحج ودخل القاهرة، فعظمه الملك الأشرف وأكرمه، وحج ودخل اليمن تاجراً، فأسمع الحديث عند صاحبها ووصله، ورجع ببضاعة كثيرة، فدخل القاهرة، وأقام بها مدة، ثم سافر عن طريق الشام، ثم عن طريق البصرة إلى أن وصل شيراز، وتوفي بها في الخامس من ربيع الأول عام (٨٣٣)هـ، ودفن بالمدرسة التي بناها.

له مؤلفات كثيرة في القراءات والتجويد والتراجم وأصول الحديث وحاشية على «الإيضاح» في البلاغة[٣].

أخذ عنه البقاعي[٤] القراءات جمعاً للعشرة إلى أثناء سورة البقرة لما قدم إلى دمشق سنة (٨٢٧)هـ[٥].

---

(١) الضوء اللامع (٢: ٤٠)، فهرس الفهارس (١: ٣٢٤).

(٢) الضوء اللامع (٩: ٢٥٥). وينظر أيضاً: معجم المؤلفين (١١: ٢٩١).

(٣) نظم العقيان (٢٤)، الضوء اللامع (١: ١٠٢)، البدر الطالع (١: ١٩، ٢٠).

(٤) البدر الطالع (١: ١٩، ٢٠).

(٥) شذرات الذهب (٧: ٣٤).

٣ـ التقي بن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد الشهبي الدمشقي الشافعي، تقي الدين فقيه مؤرخ مفسر، ولد بدمشق في الرابع عشر من ربيع الأول عام (٧٧٩)هـ وأُخذ عن جماعة كالسراج والبلقيني وابن حجي والغزي، وتصدى للإفتاء والتدريس، وحدث ببلده وبيت المقدس وسمع منه الفضلاء، وحجّ وناب في القضاء بدمشق، وتوفي في العاشر من ذي القعدة عام (٨٥١)هـ ودفن بباب الصغير، من آثاره: «طبقات الفقهاء الشافعية»، «ذيل تاريخ الإسلام للذهبي» «شرح منهاج الطالبين للنووي»، «تفسير القرآن الكريم»، «طبقات النحاة واللغويين»[(١)]. أخذ عنه البقاعي الفقه[(٢)].

٤ـ الشيخ تاج الدين الغرابيلي: محمد بن محمد بن محمد بن مسلم الشافعي، محدث حافظ، مؤرخ مشار في بعض العلوم، ولد بالقاهرة عام (٧٩٦)هـ وانتقل إلى الكرك ثم تحول إلى القدس، ولازم عمر البلخي، وسمع الكثير من الحديث[(٣)]، وقد كان من الكملة فصاحة لسان وجرأة ومعرفة بالأمور، وقياماً مع أصحابه، ومروءة وتودداً، وشرف نفس، وقناعة باليسير، وإظهاراً للغنى مع قلة للشيء، وأنه عرض عليه الكثير من الوظائف الجليلة فامتنع، واكتفى بما كان يحصل له من شيء كان لأبيه، وكان الأكابر يتمنون رؤيته والاجتماع به، لما يبلغهم من جميل أوصافه، فيمتنع إلا أن يكون الكبير من أهل العلم، توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة عام (٨٣٥)هـ[(٤)].

٥ـ الشيخ أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد بن محمد الموفى الشافعي المعروف بابن بهادر: مؤرخ ولد في طرابلس الغرب عام (٨٣٦)هـ وتعلم بالقاهرة وأقام فيها إلى أن توفي عام (٨٧٧)هـ وله جملة من المؤلفات، منها: «فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر»، في

---

(١) نظم العقيان (٩٤)، الضوء اللامع (١١: ٢١-٢٤)، معجم المؤلفين (٣: ٥٧، ٥٨).

(٢) نظم العقيان (٢٤).

(٣) معجم المؤلفين (١١: ٢٩٦).

(٤) الضوء اللامع (٩: ٣٠٧).

مجلدين، رسالة في ترجمة شيخه جلال الدين المحلي، مجموعة في تاريخ التركمان[١]. قرأ عليه البقاعي الفقه والنحو[٢].

٦ـ **الشيخ أبو الفضل محمد بن محمد المشدّالي[٣] المغربي المالكي، الإمام العلامة، نادرة الزمان:** ولد بعد عشرين وثمانمئة (٨٢٠)هـ واشتغل في الفنون على والده ومشايخ بلده، في أنواع العلوم النقلية والعقلية، واتسعت معارفه، وبرز على أقرانه بل وعلى مشايخه، وشاع ذكره وملأ اسمه الأسماع، وصار كلمة إجماع، وكان أعجوبة الزمان، في الحفظ والفهم والذكاء وتوقد الذهن، شرح «جمل الخونجي»، ومات سنة خمس وستين وثمانمئة (٨٦٥)هـ[٤]، وصفه البقاعي بقوله (شيخنا الإمام المحقق)، وذكر أنه السبب الأول في تحريك عنايته لتفسير القرآن الكريم بالتناسب، وكيف يكون ذلك[٥].

٧ـ **شيخ الإسلام قاضي القضاة شمس الدين محمد بن علي بن محمد القاياتي:** علامة الديار المصرية، والمرجع إليه فيها في غالب العلوم النقلية والعقلية، ولد في حدود سنة (٧٨٠)هـ وقيل سنة (٨٥٠)، وتلقّى الحديث وعلومه على العراقي والبلقيني والأنباسي، والتقي الدجوي، والبدر الطنبدي، وأجاز له ابن الملقّن، وأخذ الفقه عن البلقيني والأنباسي، ولازم الشيخ همام الدين الخوارزمي وأخذ عنه الأصلين والنحو والصرف وغالب «الكشاف»، وأخذ النحو أيضاً عن البدر الطنبدي، والفرائض عن الشمس العراقي، ولازم

---

(١) معجم المؤلفين (١١: ٢٩٧).

(٢) الضوء اللامع (١: ١٠٢).

(٣) ذكر البقاعي في التفسير والسيوطي في (نظم العقيان) بالمهملة (المشدالي).. لكن ذكر السخاوي في (الضوء اللامع) أنه: بفتح الميم والمعجمة وتشديد اللام نسبة لقبيلة من زواوة وتبعه على ذلك صاحب (معجم المؤلفين)..

(٤) نظم العقيان: السيوطي (١٦٠)، الضوء اللامع: السخاوي (٩: ١٨٠)، الأعلام: الزركلي (٧: ٢٢٨)، معجم المؤلفين: كحالة (١١: ١٤٤).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي (١: ١٧، ١٨)، الضوء اللامع (٩: ١٨٥).

العز ابن جماعة، وغير من ذكر من شيوخ عصره. ولم يزل يخدم العلوم إلى أن صار إمام عصره فيها، والمقدم على جميع أقرانه، وشرع في شرح «المنهاج» ونكت على «المهمات»، وولي مشيخة سعيد السعداء، ومشيخة البيبرسية، والصلاحية المجاورة للشافعي، وتدريس الشافعية بالأشرفية أول ما فتحت، وبالشيخونية، وتدريس الحديث بالبرقوقية وقضاء القضاة بالديار المصرية. مات رحمه الله تعالى يوم الاثنين الثامن عشر من المحرم سنة (٨٥٠)هـ[١].

٨ـ الشيخ علاء الدين أبو الفتوح علي بن أحمد القلقشندي الشافعي القرشي: ولد بالقاهرة في ذي الحجة سنة (٧٨٨)هـ ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وعدة متون في المذهب، وتفقه بعلماء عصره: كالسراج البلقيني وولده جلال الدين العز بن جماعة، وسراج الدين بن الملقن وغيرهم. وأخذ الحديث عن الزين العراقي والنور الهيثمي، وسمع على جماعة منهم: البرهان الشامي، والعلاء ابن أبي المجد، والجمال الحلاوي. وبرع في الفقه والأصول والعربية والمعاني والبيان والقراءات، وشارك في عدة علوم، وتصدى للإفتاء والتدريس والأشغال. وانتفع به الطلبة، وتفقه به جماعة من الأعيان، وولي تدريس المذهب الشافعين وطُلِب إلى قضاء دمشق فامتنع، ورُشِّح لقضاء القضاة بالديار المصرية غير مرة، وتصدر للتدريس وسنه دون سن العشرين، وولي عدة مدارس، وتوفي أول يوم من سنة (٨٥٦)هـ[٢]. أخذ عنه البقاعي بالقاهرة[٣].

٩ـ العلامة تقي الدين أبو بكر محمد الحصني الشافعي: ولد سنة (٨١٥)هـ واشتغل بالعلوم، فأخذ عن أشياخ عصره، وقرأ «الحاوي الصغير» بحثاً على العلامة البلقيني، وبرع في فنـون المعقولات، وتصدى لإقرائهـا زماناً، وانتفع به خلق، وولى مشيخـة المدرسة الصلاحية بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه.

(١) نظم العقيان (١٥٤)، الضوء اللامع (٨: ٢١٢)، شذرات الذهب (٧: ٢٦٨).

(٢) نظم العقيان (١٣٠)، شذرات الذهب (٧: ٢٨٩).

(٣) نظم العقيان (٩٧).

مات في الثامن من شهر ربيع الأول سنة (٨٨١)هـ[١].

وغير هؤلاء المذكورين من مشايخه كثير، كالعلامة الونائي والبرهان الحلبي والبرهان الواسطي والتدمري، والبدر البوصيري، والعماد بن شرف، والشرف السبكي، والفخر الأسيوطي، والعز بن الفرات[٢].

* * *

(١) نظم العقيان (٩٧).

(٢) الضوء اللامع (١: ١٠٢)، البدر الطالع (١: ١٩، ٢٠)

المبحث الثاني

تلامذته

للبقاعي طلاب كثيرون، أخذوا عنه وتأثروا بعلومه، ولأجل بيان ذلك نعرج على ترجمة جملة من هؤلاء الطلاب الذين أثر فيهم، لأن الطلاب حركة الأستاذ المجسمة، وعلم الشخص وهمته، تتجلى -وكما هو معلوم- في مصنفات الشخص وفي طلابه، وكم من عَلَمٍ أغفله الدهر لولا ما عرف من طلابه وتلاميذه، فمن جملة طلابه:

١- الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحمصي: العلامة الخطيب، البليغ المحدث، المؤرخ القاضي، الحمصي الأصل، الدمشقي الشافعي.

ولد عام (٨٥١)هـ أو (٨٥٣)هـ واعتنى بقراءة الحديث وطلب العلم، وأخذ عن جماعة من الشاميين والمصريين، وفوض إليه القضاء قاضي القضاة شهاب الدين ابن الفرفور، ثم سافر إلى مصر، وفوض إليه القضاء قاضي القضاة زكريا، وكان يخطب مكانه بقلعة الجبل، وكان الغوري يميل إلى خطبته ويختار تقديمه لفصاحته ونداوة صوته، ثم رجع إلى دمشق في شعبان سنة (٩١٤)هـ وخطب بجامعها عن قاضي قضاة الشافعية الولوي، وتوفي يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادي الثانية سنة (٩٣٤)هـ ودفن بباب الفراديس[١].

نقل عنه نجم الدين الغزي من كتابه الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات، ووصفه بأنه تاريخ عجيب[٢].

---

(١) الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة: نجم الدين الغزي (٢: ٩٧).

(٢) المصدر السابق (١: ٥).

قرأ على البقاعي كتابه «النكت الوفية بما في شرح الألفية» وعليه بلاغات كتبها البقاعي، فهو يقول مثلاً آخر كل درس:

«الحمد لله بلغ صاحبه الشيخ شهاب الدين أحمد الحمصي قراءة بحث وتقرير»، أو يقول: «ثم بلغ صاحبه الشيخ شهاب الدين أحمد الحمصي الشافعي قراءة وسمع الجماعة». وينهي مثل هذه البلاغات بقوله: «وكتبه مؤلفه إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي»[١]. وهكذا سائر الكتاب.

٢ـ الشيخ العلامة عبد القادر بن محمد بن عمر الرحلة: مؤرخ دمشق، وأحد محدثيها الأعلام، أبو المفاخر محيي الدين، النعيمي الدمشقي الشافعي، أحد نواب القضاة الشافعية بدمشق المحمية. ولد يوم الجمعة ثاني عشر شوال سنة خمس وأربعين وثمانمئة، ولازم الشيخ إبراهيم الناجي والشيخ العلامة زين الدين عبد الرحمن بن الشيخ الصالح العابد خليل، والشيخ العلامة مفتي المسلمين شمس الدين محمد بن عبد الرزاق الأريحي الأشعري الشافعي، والشيخ العلامة زين الدين خطاب الغزاوي، والشيخ الفقيه العلامة مفلح بن عبد الله الحبشي المصري ثم الدمشقي، ولبس منه خرقة التصوف[٢] وأخذ عن الشيخ العلامة شيخ الإسلام[٣].

ومن أشياخه بدر الدين بن قاضي شهبه الأسدي، والعلامة شهاب الدين أحمد بن قرا، وقرأ على البرهان البقاعي مصنفه المسمى «بالإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان» وأجاز له بما يجوز له وعنه روايته، وشيوخه كثيرة ذكرهم في تواريخه. وألف كتباً كثيرة منها:

---

(١) النكت الوفية: البقاعي: خ.

(٢) المراد بهذه اللفظة: كناية عن الإذن له بالإرشاد فمن بلغ رتبة الإذن ألبسه الشيخ شيئاً من قميص أو غيره ثم أذن له فجرت هكذا فهي حقيقة في الفعل مجاز في الإطلاق.

(٣) لعله المراد زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي المتوفى سنة (٩٢٦)هـ وترجمته مفصلة في مقدمة كتاب: الأعلام والاهتمام بفتاوي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

«الدارس في تواريخ المدارس»، «تذكرة الإخوان في حوادث الزمان»، «القول البين» «المحكم في إهداء القرب إلى النبي ﷺ» توفي سنة (٩٢٧)هـ في يوم الخميس رابع جمادى الأولى ودفن بالحمرية[١].

٣ـ شيخ الإسلام المحقق المدقق العلامة، العمدة الحجة الفهامة، القاضي رضي الدين أبو الفضل محمد بن محمد الغزي الأصل، الدمشقي المولد والمنشأ والوفاة، الشافعي.

ولد في صبيحة اليوم العاشر من ذي القعدة، الحرام سنة (٨٦٢)هـ وتوفي والده وسنه إذ ذاك دون السنتين، وأسند وصايته إلى شيخ الإسلام زين الدين خطاب بن عمر بن مهنا الغزاوي، فرباه أحسن تربية، فلما ترعرع طلب العلم بنفسه مؤثراً طريق التصوف، ولازم الشيخ خطاب مدة حياته وانتفع به، ولازم أيضاً الشيخ محب الدين ابن محمد بن خليل البصروي شيخ الشافعية، وأخذ عنه الفقه والحديث والأصول والعروض، ثم لزم الشيخ برهان الدين الزرعي وأخذ عنه المعقولات والمعاني والبيان والعربية، وتفقه أيضاً على شيخ الشافعية وابن شيخهم البدر ابن قاضي شهبة، والشيخ الأوحد، ولي الله شمس الدين محمد بن حامد الصفدي، والشيخ الأكمل شيخ الإسلام النجم ابن قاضي عجلون، وأخيه شيخ الإسلام تقي الدين أبو بكر، والشيخ الإمام خليل اللدي، وكذلك الشيخ الصالح المقري إبراهيم بن أحمد القدسي، قرأ عليه وهو صغير القرآن العظيم و«المنهاج» حفظاً وحلاً، وأخذ الحديث عن الشيخ الإمام المعمر الأوحد برهان الدين الناجي، والشيخ الصالح العالم زين الدين عبد الرحيم بن الشيخ خليل القابوني، والشيخ المسند[٢] بدر الدين حسن بن شهاب، والإمام الحافظ الناقد الحجة برهان الدين البقاعي.

أخذ عن البقاعي: الحديث وعلومه والعربية، وقرأ عليه الكتب الستة وشرح ألفية

---

(١) الكواكب السائرة (١: ٢٥٠)، شذرات الذهب (٨: ١٣٥).

(٢) والمسند من يبحث في علم الإسناد جملة، ويصل نفسه بأرباب الكتب طالباً لذلك أعلى الأسانيد.

العراقي، المسماة «بالنكت الوفية» للبقاعي، و«نخبة الفكر» و«شرحها» لابن حجر، وغالب مؤلفاته ـ أي البقاعي ـ كالمناسبات وغيرها، وكذلك الشيخ الإمام العلامة حسن بن حسن ابن حسين الفتحي الشوازي رفيق ابن الجزري وصاحب الحافظ بن حجر، قرأ عليه «المسلسل بالأولية»[1]. و«سورة الصف» وغير ذلك، وسمع منه كثيراً من مروياته، والعلامة برهان الدين الباعوني، والعلامة ملا زاده الخطابي صاحب المؤلفات الشهيرة «شرح الشمسية المتوسط» وغيرهما، واجتمع بالشيخ عبد المعطي المكي والشيخ أحمد بن عقبة اليمني، والشيخ العارف بالله محمد المذكور اليمني، وغيرهم، واصطحب مع الشيخ أبي العون الغزي، والشيخ علي بن ميمون المغربي وغيرهما، وتولى القضاء وسنه دون العشرين، وهو في غاية العفة والنزاهة.

وله من المؤلفات: «نظم جمع الجوامع» في الأصول، وألفيّة في التصوف سماها: «الجوهر الفريد في أدب الصوفي والمريد»، وألفيّة في الطب، ومنظومة في علم الخط، وألفية في اللغة نظم فيها فصيح ثعلب، وألفية في علم الهيئة، ونظم رسالة السيد الشريف في علمي المنطق والجدل، ووضع على نظمه شرحاً نفسياً، إلى غير ذلك من المؤلفات. توفي في شوال سنة (٩٣٥)هـ وصلى عليه ولده بالجامع الأموي، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان[2].

٤ـ العلامة شمس الدين محمد بن محمد الدلجي العثماني الشافعي: المولود سنة

---

(١) الحديث المسلسل: هو ما تتابع رجال إسناده على صفة أو حالة، وله أنواع كثيرة. ينظر: الرسالة المستطرفة: محمد بن جعفر الكتاني (٦٩-٧٢)،
مقدمة تحفة الأحوذي: المبار كفوري (٩٥-٩٩).
المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة: محمد عبد الباقي الأيوبي. وهذا أجمع كتاب في المسلسلات، ويليه المواهب الجزيلة بمسلسلات ابن عقيلة المكي: خ. والحديث المسلسل بالأولية: هو أول حديث يرويه عن شيخه إلى نهاية السند: الراحمون يرحمهم الرحمن... إلخ.

(٢) الكواكب السائرة (٢: ٣-٦)، شذرات الذهب (٨: ٢٠٩)، معجم المؤلفين (١١: ١٨٤).

(٨٦٠)هـ تقريباً بدلجة. حفظ القرآن العظيم بها، ثم دخل القاهرة وقرأ «التنبيه» وغيره، ثم رحل إلى دمشق وأقام بها نحو ثلاثين سنة، وأخذ عن البرهان البقاعي، والحافظ برهان الدين الناجي، وقاضي القضاة قطب الدين الخيضري والقاضي ناصر الدين بن زريق الحنبلي، والإمام المحدث شمس الدين السخاوي، له مؤلفات منها: شرح على «الخزرجية»، وشرح على «الأربعين النووية»، وشرح على «الشفاء» للقاضي عياض، وشرح على «المنفرجة». واختصر «المنهاج» و«المقاصد»، وسمى الثاني «مقاصد المقاصد وشرحه»، وأخذ عنه جماعة.

قال الشيخ نجم الدين الغيطي: سمعت عليه كثيراً، وأجاز لنا القرآن العظيم عن رسول الله ﷺ مناماً، عن جبريل عن رب العزة جل جلاله، فإنه رأى رسول الله ﷺ في المنام بمكة وقرأ عليه أوائل سورة النحل. توفي سنة (٩٤٧)هـ[١].

٥ـ وله غير هؤلاء طلاب كثيرون مثل شيخ الإسلام بدر الدين الإربلي الحصكفي[٢] **ومؤرخ دمشق الشيخ العلامة محيي الدين النعيمي**: فإنه قد قرأ عليه «مصنفه» المسمى بالإيذان وأجاز له به وبما يجوز له عنه روايته[٣]، وغير هؤلاء من أقرانه والمعاصرين له مع اعترافهم بعلمه وحفظه وتحديثه[٤].



(١) الكواكب السائرة (٢: ٦، ٧).
(٢) المصدر السابق (١: ١٧٩).
(٣) المصدر السابق (١: ٢٥٠).
(٤) نظم العقيان (٢٤)، الضوء اللامع (١: ١٠٢)، الأشباه والنظائر في النحو: السيوطي (٤: ٢٧٠).

المبحث الثالث
مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه

للوقوف على حقيقة ثقافة البقاعي وامتداد معارفه يتوجه علينا النظر في أقوال العلماء فيه مدحاً وقدحاً، وأسباب ذلك القدح فيه لنكون على وجه من الإحاطة في معرفة ما للبقاعي من شأن. والكلام على هذا في جملة أمور:

أـ مكانته بين العلماء:

قد علمنا بداية هذا الفصل شيئاً يتعلق بثقافة البقاعي، وأنه قد حاز من جملة أقرانه والمتأخرين عنه عبارات أشارت إليه بالتقدم. وأياً ما كانت تلكم العبارات، خاصة بذاته وشخصه، أو بكتبه ومؤلفاته، فهي ثناء في الحقيقة عليه. وقد سلف قول السيوطي عنه «العلّامة المحدث الحافظ»[1].

لكن ما هو العلّامة، وما هو المحدث والحافظ؟، قال في دستور العلماء: «العلّامة بتشديد اللام مبالغة العالم، والتاء للمبالغة، ولا تطلق على الله تعالى، مع أنه تعالى هو الحقيق بالمبالغة في العلم، لتوهم التأنيث»[2].

ومعنى الحافظ: هو من بلغ درجة عظيمة في معرفة علم الحديث رواية ودراية، وكان الرجال الذين يعرفهم أكثر من الذين يجهلهم، وضَبَطَه بعضهم بمن حفظ مئة ألف حديث مسندة.

---

(١) نظم العقيان (٢٤).

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: الأحمد نكري (٢: ٣٧٨).

والحجة: هو الحافظ البالغ في الحفظ والإتقان مبلغاً يكون حجة عند العام والخاص، وضبطه بعضهم بمن حفظ ثلاثمئة ألف حديث مسندة[١].

ووصفه العلام الخيضري محمد بن محمد بن عبد الله المتوفى سنة (٨٩٤)هـ بقوله «صاحبنا الشيخ العلامة المقرئ المحدث النحوي الأصولي الفقيه»[٢] وابن إياس كما سلف بأنه: «كان عالماً فاضلاً محدثاً ماهراً في الحديث»[٣] ووصفه تلميذه الحمصي[٤] بقوله: «الشيخ الإمام العلم العلامة الحافظ الرحلة القدوة، الحبر البحر الفهامة، المحقق المدقق الرحلة، الحافظ الأوحد الأمة، المتقن الضابط، المجاهد المرابط، برهان الدين، لسان المتكلمين، عمدة المفتين، محيي سنة سيد المرسلين»[٥]. ووصفه أيضاً ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ: «بالمحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ، وبأنه كان من أعاجيب الدهر وحسناته»[٦]. ووصفه العلامة المؤرخ نجم الدين الغزي المتوفى سنة (١٠٦١)هـ: «بالإمام العلامة والحافظ الناقد»[٧]. ووصفه علامة اليمن محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠)هـ: «بالإمام الكبير، وأنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول»[٨]، وقال عن تفسيره «وكثيراً ما يشكل علي شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد

---

(١) الناقد الحديث في علوم الحديث: محمد المبارك عبد الله (١٢٣).

(٢) الضوء اللامع (٩: ١٢٠).

(٣) بدائع الزهور (٢: ١٩٧).

(٤) راجع ترجمته في فصل الكلام عن تلاميذه: من هذا الكتاب.

(٥) النكت الوفية بما في شرح الألفية: عنوان الكتاب: مقدمة الكتاب.

(٦) شذرات الذهب: ابن العماد (٧: ٣٣٩-٣٤٠).

(٧) الكواكب السائرة: الغزي (١: ٨، ١١٦) (٢: ٤).

(٨) البدر الطالع (١: ١٩، ٢٠).

ما يفيد في الغالب»[١]. ووصفه طاش كبرى زاده سنة (٩٦٨)هـ: «بالعلامة»[٢]. ومحمد مرتضى الزبيدي «بالإمام المفسر»[٣]، وقال عنه المؤرخ المصري محمود رزق سليم: «إنه شعلة متقدة، وقد كان مفكراً وناقداً وعالماً وفقيهاً وأديباً وشاعراً»[٤]. وغير هؤلاء الذين أثنوا عليه وعلى مؤلفاته كثير. ذكرت المتقدمين في العلم المطلعين على حياته، ممن عاصروه أو أخذوا عنه أو تأخرت مواليدهم عن وفاته.

لكن هذا الذي ذكرته من هذا الثناء عليه والتمجيد له لا يعني أنه ليس هناك من يقدح فيه ويحط من قدره، بل قد ينتقصه من يجد ثغرة في حياته يتخذها ذريعة للانتقاص، وحتى لو سلم الإنسان منها وأثمرت أشجار معارفه: انتقصه الناس، لأنه ـ كما هو معروف ـ ليس يُرمى إلا من به ثمر.

وأيضاً: الشخص إذا ادعيت له الشهرة والتقدم، ثم لم نجد له من ينازعه ويدافعه، علمنا أنه حامل الذكر خافت الصيت، إذ الشهرة تدعو الأقران إلى الحسد، والمعاصرين إلى الرد والكيد. وهكذا مترجمنا البقاعي.

ب ـ الطعن على البقاعي وأسبابه:

أسباب الطعن على البقاعي متعددة، لكن أهم هذه الأسباب أمران:

الأمر الأول: الحسد، وذلك أن كثيراً من النظراء، إذا رأوا نظيرهم قد برز في العلم، وارتفعت من أجله مكانته، أنفذوا سهام حسدهم فيه، بتعديد مثالبه وتشهيرها، وقد يكون بقلْبِ الممدوح الحسنِ إلى مقبوح مقدوح، ولذلك قيل:

---

(١) البدر الطالع (١: ٢٠).

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبرى (٢: ٤٦٦).

(٣) تاج العروس شرح القاموس: الزبيدي (٥: ٣٨٠).

(٤) عصر سلاطين المماليك (٤: ٢٢٥-٢٢٦).

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سَعْيَه فالناسُ أعداءٌ له وخصوم

ويدل أيضاً على حسد الناس له، ونيلهم منه بسببه، ما رواه نجم الدين الغزي، عن والده[١]، إجازة عن والده[٢]، إن لم يكن سماعاً عن الإمام البقاعي أنه قال:

ألا رُبَّ شخصٍ قد غدا لي حاسداً يُرجِّي مماتي وهو مثليَ فاني

ويا ليت شعري إنْ أمتْ ما يناله وما ذا عليه لو أطيل زماني

وما تبتغي الحسّاد مني وإنني لفي شغل عنهم بأعظم شان

نعم إنني عما قريب لميّت ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

كأنك بي أنعى إليك وعندها ترى مصرعاً صمَّتْ له الأذنان

فلا حسد يبقى لذلك ولا قِلى فتنطق في مدحي بأي معاني

وتنظر أوصافي فتعلمُ أنّها عَلَتْ عن مُدانٍ في أعز مكان[٣]

فهذا يدل دلالة صريحة على أنه كان محسوداً من قبل معاصريه، حتى أودى به الحال إلى أن مات بتفتت الكبد، بعد أن عانى من الأهوال الثقال، والشدائد العظام وإباحة الدم، وكلها من الحسد، ولذا قيل:

كل العداوات قد تُرجى إزالتها إلا عداوةً من عاداك عن حسد

الأمر الثاني: طعنه في ابن الفارض وابن عربي[٤]: ذلك أن البقاعي رفع لواء حملة

---

(١) هو محمد بدر الدين: الكواكب السائرة (١) المقدمة.

(٢) هو محمد رضي الدين: الكواكب السائرة (١) المقدمة.

(٣) الكواكب السائرة: الغزي (١ : ٨).

(٤) يقال فيه: (ابن عربي) و(ابن العربي).. ويطلق الثاني عند الناس على المالكي المشهور دون الأول فإنه يطلق على محيي الدين الصوفي، لكن قال لي الشيخ المحدث عبد الله بن محمد الصديق الغماري: إن (ابن عربي) هذا هو (ابن العربي) والأعاجم يحذفون (الـ) فيقولون مثلاً (سورة بقرة، سورة أنعام، سورة أعراف)=

تكفيرهما، وصنف المصنفات المتعددة في الرد عليهما وتقبيح معتقدهما، مع أنه كان في عصره الجم الغفير والعدد الكثير من العلماء ممن يعتبرهما من أكابر الأولياء. بل كان عندهم أنه إذا قيل: «الشيخ الأكبر» انصرف هذا اللفظ عند الإطلاق إلى: محيي الدين بن عربي، فإذا بالبقاعي يصنف كتابه «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، «تدمير المعارض في تقبيح ـ تكفير ـ ابن الفارض» و«القارض إلى تكفير ابن الفارض» و«صواب الجواب، للسائل المرتاب، والمجادل المعارض في كفر ابن الفارض» و«تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد». وهكذا.

فأثارت هذه الكتب حفائظ علماء عصره عليه، وأوغرت صدورهم، ذلك لأنه:

كان لا يدري مداراة الـورى ومداراةُ الـورى أمـرٌ مهـم

ج ـ فتنة ابن الفارض وكيف نشأت:

ذكر حاجي خليفة في ترجمته «تائية ابن الفارض» كيفية انفجار هذه الفتنة وأوضحها: بأن رجلاً من الأغبياء رام إظهار بدعة الاتحادية سنة (٨٧٤)هـ بالقاهرة، فأخذ يقرأ في «شرح السعيد الفرغاني» على التائية، فقام في نصرة الله تعالى ورسوله ﷺ قاضي القضاة المحب ابن الشحنة الحنفي، والعز الكناني الحنبلي، وكمال الدين محمد ابن إمام الكاملية الشافعي، فاستند ذلك الرجل إلى جماعة، واستفتى فيمن قال بكفر عمر بن الفارض، فكتب له أكثر فضلاء القاهرة ولم يصادفوا عين الصواب، منهم: الشيخ محيي الدين الكافيجي، والشيخ تقي الدين الحصني، والشيخ فخر الدين المقسي، والشمس الجوجري، والجلال البكري الشافعيون، والشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي، ولما بلغ أجوبتهم البقاعي أجاب عنها أولاً، ثم انتقى من التائية ما يقرب من أربعمئة وخمسين بيتاً، شهد شراحها أن مراده

= ومعلوم أن (ابن عربي) كانت له إقامة طويلة في قونية وتزوج بأم صدر الدّين القونوي فجرى إطلاق هذا اللفظ بلا (الـ) عليه وإلا فليس حذف (الـ) خاصاً به.

منها صريح الاتحاد. وذكر أن العلامة نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي المتوفى سنة (٦٩٥)هـ صنف مصنفاً حافلاً تكلم على جميع التائية، وبين كفره فيها[١] وذكر ابن إياس أن قيام هذه الفتنة كانت في محرم سنة (٨٧٥)هـ[٢]. وكلاهما صحيح؛ لأن قيام هذا الرجل الذي عبر عنه حاجي خليفة بأنه من الأغبياء بطلب إظهارها كان في أواخر عام (٨٧٤)هـ. وظهرت في محرم عام (٨٧٥)هـ. وكانت كما قيل: فتنة مروعة.

د ـ المتميزون بالرد على البقاعي:

القائمون بالرد عليه من علماء عصره كثيرون، وكذا الذين جاؤوا بعده، وقسم منهم أنصفوه في الرد ولم يتعدوا الحد، وقسم خرج عن سواء السبيل بالتشهير والتصغير، والإقذاع والتبكيت، وما أشبه ذلك. فمن هؤلاء الذين ردوا عليه:

١ ـ الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: فإنه ألف كتاباً في الرد عليه سماه: «تنبيه الغبي في تبرئة ابن عربي» رد فيه على البقاعي بكتابه «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، وهو رسالة كتبها رداً على من رد عليه «الفصوص»[٣]، كما صنف كتاباً آخر سماه «قمع المعارض في نصرة ابن الفارض»، وهو كتيب وضعه السيوطي مصطنعاً فيه أسلوب المقامات وما يلتزمه كتابها فيها من سجع[٤].

وقد ذكر الشعراني هذين الكتابين، وأن السيوطي ألفهما لما وقعت فتنة برهان الدين البقاعي بمصر[٥].

٢ ـ الشيخ أحمد بن موسى بن أحمد المتبولي: رد على البقاعي بكتاب اسمه «المدد

---

(١) كشف الظنون: حاجي خليفة (١: ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور (٢: ١١٨، ١١٩).

(٣) كشف الظنون (١: ٤٨٨).

(٤) ابن الفارض والحب الإلهي: د. مصطفى محمود حلمي (٢)، كشف الظنون (٢: ١٣٥٦).

(٥) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب الشعراني (١١).

الفائض في الذب عن ابن الفارض»، وبكتاب آخر رد به على البقاعي إنكاره قول: يا دائم المعروف[١].

٣ـ الشيخ محمد بن جمعة الحصكفي الشيباني: رد على البقاعي بكتاب سماه «رياق الأفاعي في الرد على البقاعي» فرغ منه سنة (٨٧٤)هـ[٢].

٤ـ الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: ألف كتاباً في الرد على البقاعي في تكفيره لابن عربي، وسمى هذا الكتاب «القول المنبي عن ترجمة ابن عربي»[٣]. ورد عليه أيضاً بكتاب سماه «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل»[٤]. ورد

(١) الضوء اللامع (٢: ٢٢٨).

(٢) هدية العارفين (٢: ٢٠٦)، إيضاح المكنون (٢٨٤)، معجم المؤلفين (٩: ١٥٩).

(٣) كشف الظنون (٢: ١٣٦٥).

والسخاوي بالغ في الحط على البقاعي في ضوئه فترجمه ترجمة مظلمة. وصفه بصاحب (القلاقل والمسائل المتعارضة المتناقضة)، وأنه يلقب بابن عويجان، وأنه لم يعرف له كتاب في الفقه والنحو، وأنه تكسب بالشهادة عند أحد شيوخه الفخر السيوطي وغيره، وبالنساخة وتعليم الأطفال، وأن وقائعه كثيرة وأحواله شهيرة، ودعاويه مستفيضة، أهلكه التيه والعجب، وحب الشرف والسمعة، وأخذ بجاهه أموراً لا يستحقها. ثم استحسن السخاوي ذم البقاعي، وأنه بذيء فاحش، كاذب عاق... إلى آخر قوله. وما أحسن قول بعضهم:

إن البقاعي البذيء لفحشه ... ولكذبه ومحاله وعقوقه

لو قال: إن الشمس تظهر في السما ... وقفت ذوو الألباب عن تصديقه

الضوء اللامع: السخاوي (١٠١-١١١). ولهذا فقد قال السيوطي في ترجمته للسخاوي: المحدث المؤرخ الجارح، وانتقى وخرج لنفسه ولغيره مع كثرة لحنه وعريه من كل علم بحيث أنه لا يحسن من غير الفن الحديثي شيئاً أصلاً، ثم أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره، وسلق فيه أعراض الناس، وملأه بمساوئ الخلق وكل ما رموا به، إن صدقاً، وإن كذباً.

(٤) الضوء اللامع (١: ١٠٦).

عليه بكتاب آخر سماه «القول المألوف في الرد على منكر المعروف»[١]. و«أحسن المساعي في إيضاح حوادث البقاعي»[٢].

٥ـ **العلامة تقي الدين أبو بكر بن عبد الله المعروف بابن قاضي عجلون:** قال ابن العماد: (ولما قدم العلامة برهان الدين البقاعي دمشق سنة (٨٨٠)هـ تلقاه الشيخ تقي الدين هو وجماعة من أهل العلم إلى القنيطرة، ثم لما ألف كتابه في الرد على حجة الإسلام الغزالي في مسألة «ليس في الإمكان أبدع مما كان»، وبالغ في الإنكار على ابن العربي وأمثاله، حتى أكفر بعضهم، كان الشيخ تقي الدين من أنكر على البقاعي ذلك وهجره بهذا السبب)[٣]، بل إنه لم يصلِّ عليه هو وغيره بعد موته[٤].

٦ـ **الشيخ علي بن عبد الله المعروف بالسمهودي:** المتوفى سنة ٩١١ هـ: رد على البقاعي بكتابه المسمى «إيضاح البيان لما أراده الحجة من ليس في الإمكان أبدع مما كان»[٥] ذلك أن البقاعي ألف كتابين في الرد على مسألة «ليس في الإمكان» للإمام الغزالي: أحدهما «تدمير الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان»، والثاني «دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان»[٦].

٧ـ **الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي المكي:** رد عليه بقوله: (حتى إن البقاعي غفر الله له، كان من أكابر أهل العلم، وكان له عبادات كثيرة، وذكاء مفرط، وحفظ باهر في سائر العلوم ولاسيما في علم التفسير والحديث، ولقد صنف كتباً كثيرة أبى الله أن ينفع أحداً منها بشيء.

---

(١) الضوء اللامع (١: ١٠٦).

(٢) المصدر السابق (٨: ١٨).

(٣) شذرات الذهب (٨: ١٥٧، ١٥٨).

(٤) الضوء اللامع (١: ١٠٧)، الكواكب السائرة (١: ١١٦).

(٥) هدية العارفين (٥: ٧٤٠).

(٦) الفتاوى الحديثية: ابن حجر المكي (٤٠).

وله كتاب في مناسبات القرآن نحواً من عشرة أجزاء، لا يعرفه، إلا الخواص بالسماع، وأما غيرهم فلا يعرفونه أصلاً. ولو كان هذا الكتاب لشيخنا زكريا أو غيره ممن يعتقد، لكان يكتب بماء الذهب، لأنه في الحقيقة لم يوضع مثله لكن: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾[1] [الإسراء: ٢٠] ولقد تكلم الهيثمي أيضاً على تلامذة البقاعي وأن بعضهم كفّر ابن عربي وابن الفارض ولم ينتفع بعلومهم ومؤلفاتهم، وأن المِحَن والأَذى أصاب البقاعي إنما هو بسبب رده وتكفيره[2].

وهناك أيضاً: ردود على البقاعي بسبب تكفيره ابن الفارض من قبل الشيخ ابن الغرس محمد بن محمد المتوفى سنة ٨٩٤هـ. قال عنه السخاوي: «ولذا كان أحد من قام على البقاعي، بل وأجابه عن الأبيات التي انتقدها من تائية ابن الفارض في مصنف مستقل»[3].

وكذلك رد على البقاعي ابن أبي عذيبة؛ لأن البقاعي تكلم على السفطي وأبي حامد، وكذلك، رد عليه بعضهم لأنه حط على التاج ابن عطاء الله، وصرح عن نفسه بأنه يبغض ابن تيمية لما كان يخالف فيه من المسائل[4].

---

(١) الفتاوى الحديثية: ابن حجر المكي (٤٠).

(٢) المصدر السابق (٤٠) وقال ابن إياس: والذي جرى على البقاعي بسبب سيدي عمر بن الفارض ـ رحمه الله ورضي عنه ـ فإنه كان رأس المتعصبين عليه، واستمر البقاعي في عكس حتى مات. بدائع الزهور (٢: ١٤٦). ونسب ابن إياس أيضاً: عزل ابن الشحنة عن قضاء الحنفية، وحصول الفالج له، وحصول الذهول وسلب العلم، وحصول المشكلة لولده عبد البر مع القلقيلي، واختفاء البقاعي، وهروبه إلى مكة خوفاً من قتل العوام له، ومرض أمام مدرسة الكاملية.. نسب كل ذلك إلى سبب طعنهم في ابن الفارض وكلامهم عليه، بدائع الزهور (٢: ١٢١).

(٣) الضوء اللامع (٩: ٢٢٠).

(٤) الضوء اللامع (١: ١٠٦، ١٠٧)، وكذلك رد عليه الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني بكتابه المسمى (القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين)، إيضاح المكنون (٤: ٢٥٢).

وممن رد على البقاعي الشاعر الشهاب المنصوري بهجو البقاعي مُورياً: فقال:

إن البقـاعي بـما قد قالـه مطالـب
لا تحسبوه سـالماً فقلبـه يعاقـب

وذلك بقلب حروف كلمة البقاعي «بقاعي» وقراءاتها من آخرها[١].

ملاحظة: يقال إنه سئل البقاعي في آخر عمره وقيل له: ما الذي تنتقد على الشيخ محيي الدين؟[٢]. فقال: (انتقد عليه مواضع في فتوحاته[٣] خمسة عشر موضعاً أو دون)[٤] وهذا قد يشعر برجوعه عن تكفيره، والله أعلم.

هـ ـ خمود الفتنة:

لما علمنا أن الفتنة قد نشأت وعرفنا كيفية نشوئها، وما جرى حال الفتنة من تطاحن بين العلماء، ورد بعضهم على بعض، بالكتب والرسائل، كان علينا أيضاً أن نعلم كيف هدأت هذه الفتنة، وكيف كان خمودها. وأصرح ما علمنا من النصوص الدالة على ذلك هو قول ابن إياس الحنفي: «أن بعض الأمراء تعصب لسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

---

(١) بدائع الزهور (٢: ١١٩).

مهمة: لم يكن الرد في هذا خاصاً بالبقاعي بل إنه حصل لبعض العلماء الذين وافقوا البقاعي في الكلام على ابن الفارض وابن عربي هجاء من قبل معارضيهم، فمما قيل في ابن الشحنة: مثلاً:

أصبحت يا ابن الشحنة الحنفي في كـل القبـائـحِ أوحـد الأزمـان
في مصـرَ عِلْمَ أبي حنيفـة تـدعـي جهـلاً.. وأنـتَ معـرة النعمـان

بدائع الزهور (٢: ١٢٠).

(٢) أي: ابن عربي المتوفى سنة (٦٣٨)هـ.

(٣) أي: الفتوحات المكية: طبع في مصر، وأعيد تصويره في بيروت دار صادر، وطبع بتحقيق الدكتور عثمان هويدي في مصر ولم يكمل بعد.

(٤) الفتاوي الحديثية: ابن حجر (٤٠).

وتعصب له السلطان أيضاً، ورسم لكاتب السر ـ ابن مزهر ـ بأن يكتب صفة سؤال إلى الشيخ أبي يحيى زكريا الشافعي[١]، فكتب السؤال، وهو هذا:

(ما يقول الشيخ الإمام العالم العلامة البحر الفهامة زكريا الأنصاري الشافعي ـ نفع الله المسلمين به ـ عمن قال بكفر سيدنا ومولانا الشيخ العارف بالله سيدي عمر بن الفارض تغمده الله برحمته، ورضوانه، فيمن زعم أن عقيدته فاسدة بناءً على ما فهمه من كلامه في مواضع مرجعها إلى إطلاقات معلومة عند السادة الصوفية باصطلاح تخاطبهم لا محذور فيها شرعاً. فهل يحمل كلام هذا العارف على اصطلاح أهل طريقته، أم على اصطلاح أهل ملة غير الإسلام، فما الجواب عن ذلك؟ افتونا مأجورين)، ثم قدم هذا السؤال إلى الشيخ فامتنع عن الكتابة غاية الامتناع، فألح عليه أياماً حتى كتب فأجاب بقوله:

«يحمل كلام هذا العارف رحمة الله عليه ونفع ببركاته على اصطلاح طريقته، بل هو ظاهر فيه عندهم، إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره كما هو مقرر في محله[٢]، ولا ينظر إلى ما يوهمه تعبيره في أبيات في التائية من القول بالحلول والاتحاد، فأنه ليس في ذلك من شيء بقرينتَيْ حاله ومقاله المنظوم في تائيته من أبيات القصيدة:

ولي من أتمّ الرؤيتين إشارة تُنَزِّهُ عن رأي الحلولِ عقيدتي

(١) هو ابن محمد شيخ الإسلام المتوفى سنة (٩٢٦)هـ: راجع ترجمته: الأعلام والاهتمام بجمع فتاوي شيخ الإسلام.

(٢) وذلك أن الحقيقة ما استعمل فيما اصطلح عليه من المخاطبة: أي جماعة المتخاطبين فما اصطلحوا عليه كان حقيقة عندهم مجازاً عند غيرهم، وذلك كالصلاة إذا أُطلقت عند أهل الشرع لم يتبادر إلى الذهن إلّا إلى الأقوال والأفعال المخصوصة المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم بشرائطها، فإذا أُريد بها مطلق الدعاء أو الدعاء بخير كان ذلك مجازاً عندهم لا حقيقة، وهي على خلاف إطلاق أهل اللغة في ذلك. راجع: شرح المحلي على ورقات الجويني (٨)، التعريفات: الجرجاني (٧٩-٨٠)، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢: ٤٠).

وهذا يصدر عن العارف بالله إذا استغرق في بحر التوحيد والعرفان، بحيث تضمحلّ ذاته في ذاته وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه بعبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان حالته التي يرقى إليها، كما قاله جماعة من علماء الكلام رضي الله عنهم، ولكن ينبغي كتم تلك العبارات عمن لم يدركها، فما كل قلب يصلح للسر، ولا كل صَدَفٍ ينطبق على الدُّر، ولكل قوم مقال، وما كل ما يعلم يقال، وحق لمن لم يدركها عدم الطعن فيها، كما قيل:

وإذا كنت بالمدارك غِرّاً ... ثم أبصرتَ حاذقاً لا تماري

وإذا لم ترَ الهلال فسلّمْ ... لأناسٍ رأوه بالأبصارِ

ولو ذاق المنكر ما ذاق هذا العارف لما أنكر عليه، كما قال القائل:

ولو يذوق عاذلي صبابتي ... صَبا معي لكنه ما ذاقها

والحالة هذه والله يمنح بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

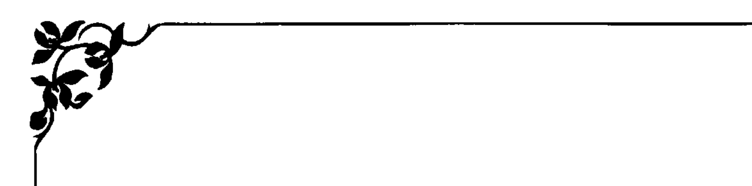
وكتبه زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي..

فلما كتب الشيخ زكريا الجواب على هذا السؤال سكن الاضطراب الذي كان بين الناس بسبب ابن الفارض(١).

---

(١) بدائع الزهور (٢: ١٢٠، ١٢١).

ملاحظة: نقل نجم الدين الغزي عن الشعراوي أنه لما وقعت فتنة الشيخ برهان البقاعي في شأن سيدي عمر بن الفارض، أرسل السلطان إلى العلماء فكتبوا بحسب ما ظهر لهم وامتنع الشيخ زكريا، ثم اجتمع بالشيخ محمد الإصطنبولي فقال له: اكتب وانصر القوم وبين في الجواب، أنه لا يجوز لمن لا يعرف مصطلح القوم ذوقاً أن يتكلم في حقهم بشيء آخر، لأن دائرة الولاية من وراء طور العقل لبنائها على الكشف. انتهى. الكواكب السائرة (١: ٢٠٣).



الفصل الثالث
آثـاره العلميـــة

في مبحثين:

المبحث الأول: آثاره المطبوعة.

المبحث الثاني: آثاره المخطوطة.




المبحث الأول

آثاره المطبوعة

للبقاعي آثار كثيرة ومؤلفات عديدة طُبع بعضها، ولكن غالبها وأكثرها لم يطبع لحد الآن:

١ـ «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»:

وهذا هو الكتاب الذي نحن بصدد الكلام فيه، والتعريف به، وقد طبع الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند ـ وقد قام بتحقيقه على نسخ متعددة جملة من الفضلاء بالتناوب على مجلداته الاثنين والعشرين. وقد كان طبع المجلد الأول بتاريخ ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م والمجلد الثاني والعشرين بتاريخ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م[١].

٢ـ «سر الروح»[٢]:

وهو مختصر لكتاب «الروح» لابن قيم الجوزية، ألفه البقاعي سنة (٨٥٣)هـ، وطبع في القاهرة[٣] بمطبعة السعادة سنة (١٣٢٦)هـ.

---

(١) لا نريد أن نتكلم على نسخه المخطوطة ومحل تواجدها في المكتبات لأن ذلك يخرجنا إلى الإطالة، وإلّا فإنّ لهذا التفسير نسخاً كثيرة في مكتبات العالم الإسلامي والعربي.

(٢) ذكر في هدية العارفين بأنه «شرح الروح» وهذا خطأ والصواب ما ذكرته.

(٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف سركيس (١: ٥٧٣)، ذخائر التراث العربي الإسلامي: عبد الجبار عبد الرحمن (١: ٣٨٦)، نظم الدرر: البقاعي (٨: ١٥٤).

٣ـ «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»[١]:

وهو كتاب ذهب فيه المؤلف إلى تكفير ابن عربي، حيث نهج في كتابه هذا: بنقل نصوص كثيرة عن «فصوص الحكم» لابن عربي مع التعليق عليها، ثم ذكر فتاوي كثيرة لعلماء القرن السابع والثامن والتاسع الهجري من الذاهبين إلى القول بكفره، وفرغ من تأليف هذا الكتاب سنة (٨٦٤)هـ.

وقد طبع هذا الكتاب بعنوان «مصرع التصوف» مع رسالة للبقاعي أخرى اسمها «تحذير العباد» للمؤلف أيضاً، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل[٢].

٤ـ «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»:

ذهب في هذه الرسالة إلى القول بكفر (ابن الفارض) واعتمد في حكمه هذا على نصوص من التائية الكبرى المسماة «نظم السلوك»، ونقل أقوال العلماء الذاهبين إلى القول بكفره من القرن السابع والثامن والتاسع.

فرغ من الرسالة في مقدار يوم، ليلة الأحد، ثامن عشرين شهر رجب الفرد الحرام، سنة (٨٧٨)هـ في مسجد (دار جمة العبد) بالقاهرة[٣].

وقد طبعت الرسالة ضمن العنوان «مصرع التصوف» كما ذكرته قبل قليل[٤].

٥ـ «لعب العرب بالميسر»:

طبع ضمن مجموعة طرائف عربية، وقد نشره عمر السويدي في ليدن عام (١٣٠٣)هـ[٥].

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٤٤٥).

(٢) مصرع التصوف.

(٣) تحذير العباد من أهل العناد للبقاعي.

(٤) وقد ذكره البقاعي في نظم الدرر، ينظر (٢٢: ٤٤٥).

(٥) معجم المطبوعات العربية والمعربة: سركيس (١: ٥٧٣)، وذخائر التراث العربي الإسلامي (١: ٣٨٦).

المبحث الثاني

آثاره المخطوطة

١ ـ «دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم»: وهو مختصر لتفسيره المشهور «نظم الدرر»[(١)].

٢ ـ «مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور»، ويسمى أيضاً: المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى[(٢)].

٣ ـ «الفتح القدسي في آية الكرسي»، ذكر فيه مناسباته ومدحه، وكتاب مصاعد النظر فجمع بينهما فيه، فرغ منه في شعبان سنة (٨٧٩)هـ[(٣)].

٤ ـ «شرح هداية ابن الجزري»:

وهداية ابن الجزري منظومة[(٤)] أولها:

يقول راجي عفو رب رؤوف محمد بن الجزري السلفي

وعدد أبيات الهداية ثلاثمئة وسبعون بيتاً[(٥)].

---

(١) إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون: إسماعيل باشا (١: ٤٧٥).

(٢) كشف الظنون (٢: ١٧٠٤). وهو مجلد يقرب من (٣٥٠) صفحة نسخة مصورة عن نسخة بخط المؤلف لدى الأستاذ صبحي السامرائي اطلعت عليه فوجدته من مهمات كتب علوم القرآن، يتناول الغرض سورة سورة، بدءاً بالفاتحة وختماً بالناس، نظم الدرر (١٠: ٤)، (٢٢: ٢٠٨، ٣٢١).

(٣) كشف الظنون (٢: ١٢٣٣).

(٤) فهرس الفهارس: لعبد الحي الكتاني (٢: ٦٢٠).

(٥) كشف الظنون (٢: ٢٠٢٨).

٥ـ «القول المفيد في أصول التجويد»[١].

٦ـ «كفاية القارئ في رواية أبي عمرو»[٢].

٧ـ «الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات»: وهو كتاب لطيف مختصر في القراءات جعله في وسائل ومقاصد، والوسائل في سبعة أجزاء والمقاصد في جزأين، الأول: الأصول في نحو عشرين باباً، والثاني الفرش في السور[٣].

٨ـ «النكت والفوائد على شرح العقائد النَّسَفية»[٤].

٩ـ «خير الزاد المنتقى من كتاب الاعتقاد للبيهقي»: وقد ذكر أنه صنفه فيما يفتقر المكلف إلى معرفته في الأصول والفروع، وأنه كتاب يشتمل على بيان ما يجب اعتقاده على المكلف، وهو مرتّب على الأبواب، وقد انتقاه البقاعي لما قرأه على ابن حَجَر، وفرغ منه في ذي القعدة سنة (٨٦١)هـ[٥].

١٠ـ «دلائل البرهان لمنصفي الإخوان على طريق الإيمان»: أرسله البقاعي إلى بعض أحبابه في القاهرة، فرغ منه في جمادى الأولى سنة (٨٧٧)هـ[٦].

١١ـ «النكت الوفية بما في شرح الألفية»: وهو شرح على ألفية الحديث للحافظ العراقي[٧]، الجزء الأول منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد[٨]، ونسخة

---

(١) كشف الظنون (٢: ١٣٦٥)، هدية العارفين: البغدادي (١: ٢٢).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٥٠٠).

(٣) هدية العارفين (١: ٢٢).

(٤) كشف الظنون (٢: ١٠٩٠). ينظر: إيضاح المكنون (٢: ٦٧٨) وأشار إلى وجوده بدار الكتب الشامية، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة أوقاف بغداد (٢: ٢٥٤).

(٥) كشف الظنون (٢: ١٣٩٣).

(٦) المصدر السابق (١: ٧٥٩).

(٧) فهرس الفهارس: الكتاني (٢: ٦٢٠). معجم المصنفين (٤: ٢٧٨) وذكر أنه بلغ فيه إلى نصفه.

(٨) يراجع تحت الرقم (١٥٧٠) مخطوطات مكتبة الأوقاف ببغداد.

أخرى في دار صدام للمخطوطات قسم الحديث[١]، وأشار البقاعي إلى أن ما كان من بحثه صدره بقوله: قلت ـ في الغالب ـ وختمه بقوله: والله أعلم[٢]، وأنَّ ما نقلَه عن غير شيخه من الكتب عزاه إليه، وما عدا ذلك ـ وهو جل الأمر ـ من كلام شيخه ابن حجر[٣].

فرغ من كتابته يوم الأحد المبارك الخامس من شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة (٨٨٠)هـ[٤]، وقد اعتمد على هذا الكتاب كثيراً العلامةُ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني[٥].

١٢ـ «بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة»[٦].

١٣ـ «الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة»[٧]: رد فيه على السخاوي حينما تكلم عليه السخاوي في كتابه «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل»،

---

(١) مخطوطات دار صدام: قسم الحديث.

(٢) النكت الوفية: البقاعي: المقدمة. والظاهر أنه قد أخذ هذا الاصطلاح عن الإمام النووي رحمه الله في منهاجه حيث يقول: وفيها مسائل نفيسة أضمها إليه ـ أي أصل المحرر ـ ينبغي أن لا يخلى الكتاب منها، وأقول أولها قلت وفي آخرها والله أعلم. ينظر: منهاج الطالبين: النووي: المقدمة.

(٣) النكت الوفيّة: المقدمة.

(٤) المصدر السابق: آخر الكتاب.

مهمة: على نسخة مخطوطة مكتبة أوقاف بغداد بلاغات للبقاعي بخطه قرأها تلميذه الشيخ الحمصي عليه، جعلها على هوامش صفحات الكتاب، وذلك عند بلوغه نهاية كل درس، فهو يقول مثلاً: (الحمد لله بلغ صاحبه الشيخ شهاب الدين الحمصي قراءة بحث وتقرير، وكتبه إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي).

(٥) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (١: ٢٧٤، ٣٣٩، ٣٧٥، ٣٧٧)، (٢: ٦١). وينظر أيضاً: سفيان الثوري، حياته العلمية والعملية: لمحمد عبد الله أبو الفتح البيانوني. وكتابه توضيح الأفكار للصنعاني: لأحمد محمد العليمي (٢٦٩، ٢٧٠).

(٦) الأعلام: الزركلي (١: ٥٠).

(٧) كشف الظنون (٢: ١٩٦٢)، هدية العارفين (١: ٢٢).

ذلك أن البقاعي نقل عن الكتب القديمة في «تفسيره»، فرد عليه السخاوي لأجل ذلك، فرد هو أيضاً على السخاوي موضحاً جواز النقل.

١٤ـ «الاطلاع على حجة الوداع»[١].

١٥ـ «إنارة الفكر بما هو الحق من كيفية الذكر»: مختصر ذكر فيه أنه ألفه بدمشق لما رأى اجتماع العوام على شيخ الجامع يرقصون ويرفعون أصواتهم فكتب نهياً لهم، فرغ منه في شوال سنة (٨٨١)هـ[٢].

١٦ـ «بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الغناء والسماع»[٣].

١٧ـ «الإعلام بسني الهجرة إلى الشام»[٤].

١٨ـ شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه[٥].

١٩ـ معجم البقاعي: والمسمى «عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران» ويقع هذا الكتاب في أربع مجلدات، نقل عنه السيوطي[٦] والسخاوي[٧] والغزي[٨] والعيدروسي[٩] والقرافي[١٠].

---

(١) نظم العقيان (٢٤)، كشف الظنون (١: ١١٧). وينظر أيضاً: نظم الدرر (٢: ٣٦٤) (٦: ٣١٦) (٢٢: ٣٢١).

(٢) كشف الظنون (١: ١٧٠).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٦٠).

(٤) إيضاح المكنون (١: ١٠٢).

(٥) كشف الظنون (١: ٥٩٦). ينظر هدية العارفين (١: ٢٢).

(٦) نظم العقيان: ترجمة الكركي (٢٩) ابن أبي الوفا (٩٩) الباعوني (١٧٩) وينظر أيضاً: الأشباه والنظائر في النحو (٤: ٢٧٠).

(٧) الضوء اللامع: ترجمة محمد بن محمد بن عبد المنعم (٩: ١٣٤) (٩: ١٨٧)..

(٨) الكواكب السائرة (١: ١٠٢).

(٩) النور السافر: العيدروسي: ترجمة الكمال بن أبي الشريف (٤٣).

(١٠) توشيح الديباج وحلية الابتهاج: القرافي (٥٧، ١٠٦، ١٨٣، ٢١٩) وغيرها.

وقد ذكر فيليب حتي: إنه لم يزل لحد الآن من جملة الكتب المفقودة[١]، لكن الكتّاني أشار لوجود مخطوطة منه بكتبخانة المرحوم محمد باشا الكوبريلي بالآستانة تحت رقم (١١٩)[٢].. وقد ذكر الأستاذ علي محمد عمر في تحقيقه لطبقات المفسرين للداودي وجود نسختين مخطوطتين بدار الكتب المصرية[٣].

قال البقاعي فيه: (إني أثبت فيه أسماء من تيسر من مشايخي وأقراني وتلاميذي وأنسابهم ووفياتهم على ترتيب الحروف)[٤].

٢٠ـ «عنوان العنوان بتجريد أسماء الشيوخ والتلامذة والأقران»[٥].

٢١ـ «أخبار الجلاد في فتح البلاد»[٦].

٢٢ـ «جواهر البحار في نظم سيرة المختار»: أتمه في (رشيد) في بلاد مصر سنة (٨٤٨)هـ وهي منظومة أولها:

ما بال جفنك هامي الدمع هامره[٧]

٢٣ـ «شرح جواهر البحار» في مجلدين، وهو شرح لمنظومته في السيرة[٨].

٢٤ـ «إظهار العصر لأسرار أهل العصر»، وهو ذيل على كتاب «أنباء الغمر» لشيخه

---

(١) نظم العقيان: السيوطي: مقدمة الكتاب.

(٢) فهرس الفهارس: الكتاني (٢: ٦١٩).

(٣) طبقات المفسرين: الداودي (٢: ٥٤٢).

(٤) كشف الظنون (٢: ١١٧٥).

(٥) المصدر السابق (٢: ١١٧٥).

(٦) إيضاح المكنون (١: ٤١).

(٧) كشف الظنون (٦١٢).

(٨) المصدر السابق (٦١٢). وينظر أيضاً: نظم الدرر (٦: ٢٧١) (٧٣: ٧) (٧: ١٨٣)، هدية العارفين (١: ٢٢).

العلامة ابن حجر[(١)] بلغ ابن حجر بأنبائه إلى سنة (٨٥٠)هـ فأكمله البقاعي في ذيله هذا إلى آخر سنة (٨٧٠)هـ[(٢)].

٢٥ـ «إنباء المصر في أبناء العصر»، وهو ذيل آخر على كتاب (أنباء الغمر) لشيخه ابن حجر يبتدئ هذا الذيل من سنة (٨٥١)هـ إلى سنة (٨٨٦)هـ[(٣)].

٢٦ـ «الإسفار عن أشردة الأسفار»: وهو مختصر للبقاعي ألفه سنة (٨٨٤)هـ لما خرج إلى غزوة قبرص ورودس من البحر ولم يتيسر لهم الفتح سوى قلعة ألميش[(٤)].

٢٧ـ «أصول التواريخ»[(٥)].

٢٨ـ «أشلاء الباز على ابن الخباز»: وهو جزء جمعه للرد على ناصر الدين الزفتاوي أحد النواب[(٦)]، وذكر أنه ندم على ما فعل، فقرأ عليه وصيّره من شيوخه[(٧)] وذكر السخاوي أنه قرأ عليه سنن النسائي[(٨)].

٢٩ـ «أسد البقاع الناهسة في معتدى المقادسة»: قال السخاوي: استفتى على من عارضه في تدريس حديث بالقدس وجمع ذلك في جزء سماه «معتدى المقادسة»[(٩)]، وهو كتاب ألفه في ذم أهل القدس[(١٠)].

---

(١) فهرس الفهارس (٢: ٦٢٠).

(٢) كشف الظنون (١: ١٧١).

(٣) المصدر السابق (١: ١٧١).

(٤) المصدر السابق (١: ٨٦).

(٥) معجم المصنفين (٤: ٢٧٨). ولكن صاحب كشف الظنون لم ينسبه لأحد.

(٦) وهو أحمد بن محمد المتوفى سنة (٨٦١)هـ. ينظر: الضوء اللامع (٢: ٧٦).

(٧) كشف الظنون (١: ١٠٥).

(٨) الضوء اللامع (١: ١٠٩).

(٩) المصدر السابق (١: ١١٠).

(١٠) كشف الظنون (١: ٨١).

٣٠ـ «تدمير المعارض في تكفير (تقبيح) ابن الفارض»[١].

٣١ـ «صواب الجواب للسائل المرتاب المجادل المعارض في كفر ابن الفارض»: وهو كتاب رَدَّ فيه على جملة من مشايخ عصره الذين ذهبوا إلى ولاية ابن الفارض، فاعترض البقاعي عليهم، ثم انتقى من التائية الكبرى لابن الفارض ما يقارب أربعمئة وخمسين بيتاً شهد شراحها أن مراده منها هو صريح الاتحاد[٢].

٣٢ـ «محق السيف لبنان الجواب الزيف»[٣].

٣٣ـ «تدمير الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان»: وهو كتاب رد فيه على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة، واعترض على الإمام الغزالي في «إحيائه». فرغ من تأليفه سنة (٨٣٣)هـ بدمشق[٤].

٣٤ـ «دلالة البرهان على أن ليس في الإمكان أبدع مما كان»، فرغ منه بدمشق سنة (٨٨٤)هـ[٥].

٣٥ـ «الفارض»: أشار حاجي خليفة إلى أن البقاعي ذكره في كتابه دلالة البرهان[٦] وسماه البقاعي: «الفارض لتكفير ابن الفارض»[٧].

---

(١) كشف الظنون (١: ١٣٨٢) هدية العارفين (١: ٢٢).

(٢) كشف الظنون (١: ٢٧٦).

(٣) الآثار الخطية في المكتبة القادرية (٢: ٤٧٣).

(٤) معجم المصنفين (٤: ٢٧٩) والذي في تفسيره (تهديم الأركان: ينظر: (٢٢: ١٤١). هدية العارفين (١: ٢٢) والصحيح أنه (دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان: نظم الدرر (٢: ١٤١) بحذف لفظة (ليس).

(٥) كشف الظنون (١: ٧٥٩).

(٦) المصدر السابق (٢: ١٢١٥).

(٧) نظم الدرر (٢٢: ١٤١، ٤٤٥).

٣٦ـ «السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع»: وهو كتاب رد به على العلامة السيوطي بسبب إفتائه بلزوم قراءة الفاتحة في عواقب الصلوات[1].

٣٧ـ «أسواق الأشواق من مصارع العشاق»: وهو كتاب رتب فيه البقاعي كتاب ابن السراج القارئ المتوفى سنة (٥٠٠)هـ وهذبه، وزاده من نوادر الأخبار، وأدخل فيه جميع كتاب الحافظ مغلطاي المتوفى سنة (٧٦٢)هـ المسمى «الواضح في ذكر من استشهد من المحبين»، وذكر فيه جميع حكايات «منازل الأحباب ومنازه الألباب» لشيخه شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحنبلي صاحب «ديوان الإنشاء» المتوفى سنة (٧٢٥)هـ فجاء هذا الكتاب في مقدمة وعشرة أبواب[2].

٣٨ـ «أحسن الكلام المنتقى من ذم الكلام» للهروي المتوفى سنة (٤٨١)هـ: وهو كتاب انتقاه البقاعي حين سمع من الشيخ ابن حجر بالقاهرة سنة (٨٤٦)هـ[3].

٣٩ـ «المنتخب الكبير من ذم الكلام للهروي»، ذكره ابن حجر في المجمع[4] ولعله أراد به «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس» الذي جمع فيه ابن حجر أسامي شيوخه[5].

٤٠ـ «المنتخب الصغير في ذم الكلام للهروي»[6].

٤١ـ «ما لا يستغني عنه الإنسان من ملح اللسان في علم النحو»، فرغ منه في جمادى الأول سنة (٨٣٦)هـ[7].

---

(١) كشف الظنون (٢: ١٠١٨). ونسخة من الكتاب في المكتبة القادرية: بغداد (٢: ٤٧٣) وهذا العنوان (القارض) هو الذي يظهر أنه صحيح لا (الفارض) بالفاء.

(٢) المصدر السابق (٢: ١٧٠٣).

(٣) المصدر السابق (١: ٨٢٨).

(٤) المصدر السابق (١: ٨٢٨).

(٥) المصدر السابق (١: ٨٢٨).

(٦) المصدر السابق (٢: ١٦٠٤).

(٧) المصدر السابق (٢: ١٧٧٥).

٤٢ـ «رفع اللثام عن عرائس النظام في العروض والقوافي»، وهو مختصر في هذين العلمين، فرغ من تأليفه في ١٨ ربيع الأول سنة (٨٤٨)هـ[١].

٤٣ـ «الإدراك في فن الاحتباك»: وهو كتاب في علم البديع[٢].

٤٤ـ «إشعار الواعي بأشعار البقاعي»: وهو ديوان شعر له، قال عنه السيوطي: وشعره كثير والجيد منه وسط[٣].

٤٥ـ «عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة»: وهي منظومة للبقاعي، اطلع البقاعي على أرجوزة ابن الدهشة المتوفى سنة (٦٣٤)هـ والمسماة «وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة» والتي أولها:

الحمـد للـه على أن علَّمــا بالقلم الإنسان فضلاً منعما

واطلع أيضاً على «شرحها» للناظم نفسه، فوجد البقاعي في شرح الناظم زيادة على الأصل في «منظومته»، فنظم أرجوزته هذه، ضاماً إليها الزيادات وسماها: «عظم وسيلة الإصابة في صنعة الكتابة»[٤].

٤٦ـ «الباحة في علمي الحساب والمساحة»: وهي منظومة على بحر الرجز[٥].

٤٧ـ «الإباحة شرح الباحة في علمي الحساب والمساحة»: وهو شرح على منظومته المسماة «الباحة الرجزية» وقد شرحها مزجاً[٦].

٤٨ـ «تهذيب جمل الخونجي»: هو كتاب في علم المنطق منظوم، أصل هذا الكتاب:

---

(١) كشف الظنون (١: ٩١٠).

(٢) نظم الدرر: البقاعي (١: ٢٢٥)، مفتاح السعادة: طاش كبرى (٢: ٤٦٦).

(٣) نظم العقيان (٢٤)، كشف الظنون (١: ١٠٤).

(٤) المصدر السابق (٢: ١١٤٢).

(٥) كشف الظنون (١: ٢١٦).

(٦) المصدر السابق (١: ٢١٦).

«نهاية الأمل» لابن مرزوق التلمساني، اختصره تلميذه أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن نامور الخونجي المتوفى سنة (٦٤٩)هـ وسماه «الجمل»، وشرحه الشهاب أبو جعفر أحمد بن محمد التدرومي التلمساني شرحاً ممزوجاً وسماه: «كفاية العلم شرح الجمل».

وقد نظمه التلمساني المذكور، وهذبه البقاعي وحرره وفرغ منه في (١٣) رجب سنة (٨٦١)هـ[١].

٤٩ـ «القول المعروف»[٢]: وحسب ما يظهر لي أنه أنكر فيه قول القائل «يا دائم المعروف». وقد رد عليه المتبولي بكتاب أنكر فيه عليه ردّه هذا. وردَّ أيضاً عليه السخاوي بكتاب أسماه «القول المألوف في الرد على منكر المعروف».

٥٠ـ «الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان»[٣] وقد بين فيه البقاعي أن من أسراره أنه جمع الدين كله أصولاً وفروعاً[٤].

٥١ـ «الجامع المبيّن لما قيل في كأيِّن»[٥].

٥٢ـ «إيضاح السبيل من حديث سؤال جبريل»[٦].

٥٣ـ «تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض»[٧].

❊ ❊ ❊

---

(١) كشف الظنون (٢: ١٩٨٤) (١: ٦٠٢).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٣٦٥) ولم ينسبه لأحد، هدية العارفين (١: ٢٢).

(٣) إيضاح المكنون (١: ١٥٢).

(٤) نظم الدرر (٦: ١٩٧).

(٥) المصدر السابق (٥: ٨٦).

(٦) المصدر السابق (٢٢: ٢٧٧).

(٧) المصدر السابق (٢٠: ٤٣٤) (٢٢: ٤٤٥).




الباب الثاني
مصنف في التفسير

ويشتمل على فصول:

الفصل الأول: مدخل إلى «تفسيره»

الفصل الثاني: مصادره

الفصل الثالث: منهج البقاعي

الفصل الرابع: «تفسير البقاعي» في الميزان






الفصل الأول

مدخل إلى «تفسيره»

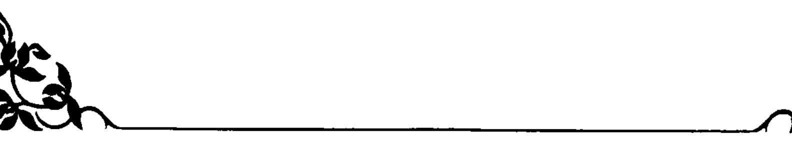
وينطوي على مبحثين:

المبحث الأول:

- اسم التفسير ونسبته للبقاعي.
- الباعث على تأليفه، تاريخ ابتداء كتابته والانتهاء من تأليفه.

المبحث الثاني:

- كيفية تناوله السور.
- كيفية تناوله الآيات.



المبحث الأول

اسم التفسير ونسبته إلى البقاعي:

المشهور لدى العلماء من اسم هذا التفسير أنه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وبهذا العنوان قد طبع ـ إلى الآن ـ طبعته الوحيدة بمطبعة مجلس دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن عام ١٣٨٩هـ، وهذا هو الاسم المعروف عند جملة المصنفين[١] بل إنه يكاد يكون علماً له، كيف والبقاعي نفسه قد ألقى عليه هذا الاسم حيث قال في أوائل تفسيره هذا: (وسميته: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)[٢].

نعم لم يكتف البقاعي باسم واحد لهذا الكتاب بل ذكر له اسماً آخر مناسباً قال عنه: (ويناسب أن يسمى «فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن»)[٣]..

والذي يظهر من استقراء التفسير، أنّ البقاعي لم يرد من هذا العنوان تناسب أجزاء القرآن المشهورة المعدودة ثلاثين جزءاً، بل المراد من أجزاء القرآن ما هو أعم من ذلك؛ ليتناول تناسب السورة مع التي قبلها والتي بعدها، وتناسب الآية مع سابقتها ولاحقتها، بل وتناسب الآية بعضها مع بعض كما سيتضح في غضون المباحث الآتية بعون الله تعالى.

ولم يكتف البقاعي أيضاً بهذين الاسمين فحسب، بل إنه قد اختار له اسماً رجحه على سائر الأسماء التي وضعها حيث قال:

---

(١) كشف الظنون (٢: ١٩٦١).

(٢) نظم الدرر (١: ٥).

(٣) المصدر السابق (١: ٥).

(وأنسب الأسماء له: ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان)[١].

ومن الأسماء التي وضعها له أيضاً: «كتاب لما»، ذلك أنه أكثر من ذكر لفظة «لما» الرابطة في تفسيره، إكثاراً يتجاوز العد ويربو عن الحد، فإذا ما ذكر آية وأراد ربط الآية التي بعدها بها: قال: ولما انتهى من ذكر كذا شرع.. وهكذا.

ولهذا فإن البقاعي يفصح عن هذه التسمية فيقول: (وقد قلت مادحاً للكتاب المذكور، بما أبان عنه من عجائب المقدور وغرائب الأمور، شارحاً لحالي وحالهم، وظفر آمالي وخيبة آمالهم، من مجزوء الرجز، وضربه مقطوع، والقافية متواتر مطلق مجرد، مسمياً له بـ «كتاب لما» لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض، حتى أنّ كل جملة تكون آخذة بحجزة ما أمامها متصلة بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه، الذي هو للكلام بمنزلة الروح وبيان معاني المفردات، وكل جملة على حيالها بمنزلة الجسد، فالروح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق ويفهم، ويسري ذهنه في ميدان التراكيب ويعلم، و«لما» ظرف يراد به ثبوت الثاني مما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المكنة، بمعنى أنها كالشرط تطلب جملتين، يلزم لذلك الملزوم، فتم الكتاب في هذا النظم بـ«لما» لأني أكثرت من استعمالها فيه لهذا الغرض:

هـــذا كتـــابُ لـمّـــا لـــمّ المعـــاني لـمّـــا)[٢]

وقد بلغت هذه الأبيات في مدح هذا التفسير تسعة وثلاثين بيتاً: آخرها:

وزاده سعـــــادة ولازمته النعما[٣]

وقد نقل بعض هذه الأبيات حاجي خليفة مع امتداح له[٤].

---

(١) نظم الدرر (١: ٥).

(٢) المصدر السابق: ٢٢: ٤٤٦-٤٤٧).

(٣) المصدر السابق: (٢٢: ٤٤٩).

(٤) كشف الظنون (٢: ١٩٦١).

وقد اعتاد كثير من المترجمين له إذا أرادوا ذكر «تفسيره» لم يعرجوا على ذكر عنوانه بل يذكرون ما يدل على المقصود من تأليفه.

فمثلاً: يقول ابن العماد الحنبلي: «وصنف تصانيف عديدة من أجلّها المناسبات القرآنية»[١].

ويقول الشوكاني «ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء»[٢].

والسيوطي رحمه الله ترجم عنوان كتاب البقاعي هذا باسم «الجواهر والدرر في مناسبة الآي والسور»[٣]، وهو ـ والله أعلم ـ وهمٌ من الإمام السيوطي، أو أنه مختصر لكتابه «نظم الدرر».

أما نسبة هذا التفسير إليه فهي نسبة صحيحة باتفاق كل من كتب عنه وترجم له، بل لقد أصبح من الظهور بمكان أن البقاعي إذا ذكر انقدح في الذهن «تفسيره»، لأنه لا يعرف أحد ممن سبقه صنف تفسيراً كاملاً على هذا النمط الدقيق في المناسبات القرآنية سواه.

ويمكن الجزم بصحة نسبة هذا التفسير إليه بأربعة أمور:

١ـ إحالة هذا «التفسير» إلى نفسه وذكره فيه لبعض كتبه[٤].

---

(١) شذرات الذهب (٧: ٣٤٠).

(٢) البدر الطالع (١: ٢٠).

(٣) نظم العقيان (٢٤).

(٤) فمن ذلك مثلاً: «كتاب الاطلاع على حجة الوداع» في تفسيره: (٢: ٣٦٤)، (٦: ٣١٦). وكتاب: الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان (٦: ١٩٧). وكتاب: شرح جواهر البحار في السيرة: (٦: ٢٧١). وكتاب: مصاعد النظر إلى مقاصد السور: (٧: ١).

٢ـ لقد ذكر في هذا التفسير جملة من شيوخه وأساتذته[١] مع أنه لا يعلم لغيره تفسير يوافق اسمه اسم هذا «التفسير».

٣ـ ذكرت المراجع المختلفة التي ترجمت له، أنّ له تآليف كثيرة من أجلّها «تفسيره» في المناسبة بين الآي والسور.

٤ـ موقف بعض حساده منه لأجل «تفسيره» وردهم عليه وطعنهم فيه[٢] يؤكد صحة نسبة هذا «التفسير» إليه.

وكل هذه الأمور ـ في نظري ـ تجزم بصحة نسبته إليه، فضلاً عن أنه ليس هناك من ينسبه إلى غيره أو ينفيه عنه حتى يحصل توهم النسبة ولو من بعد.

الباعث على التأليف:

إن الباعث على تأليف هذا «التفسير» هو بيان إعجاز القرآن في ترتيب سوره ونظم آياته، وهذا يتجلى في إبراز التناسب في جمل الآية القرآنية الواحدة بعضها مع بعض، وفي الآية مع سابقتها ولاحقتها، وفي السورة مع السورة.

فلا يظن ظانّ بأن أجزاء القرآن ـ سوره وآياته ـ جمل متناثرة هنا وهناك، بل هو كالسبيكة الواحدة، وفي هذا زيادة إيمان المؤمنين.

وقد أفصح البقاعي عن هذا الباعث، فقال: (وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب، وذلك أنه يكشف للإعجاز طريقين:

أحدهما: نظم كل جملة على حالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر

---

(١) وذلك: كالعلامة شمس الدين ابن الجوزي (١: ٦٠). والعلامة أبي الحسن الهيثمي (٦: ٢٣٦). والحافظ ابن حجر العسقلاني (٦: ٢٣٦). والمشدالي المغربي (١: ١٨).

(٢) وذلك كما فعل السخاوي في رده على البقاعي بكتابه «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل» رد عليه نقله في تفسيره «نظم الدرر» عن الكتب القديمة، الضوء اللامع (١: ١٠٦).

إلى الترتيب، والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً، فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك، ورأى أنَّ الجمل متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد، فظنَّ أنها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط، وربما شككه ذلك بكثير وزلزل إيمانه وزحزح إيقانه، وربما وقف مُكْيِسٌ من أذكياء المخالفين عن الدخول في هذا الدين، بعدما وضحت لديه دلائله، وبرزت له من حجاها دقائقه وجلائله، لحكمة أرادها منزّله، وأحكمها مجمله ومفصله، فإذا استعان بالله، وأدام الطرق لباب الفرج بإنعام التأمل وإظهار العجز، والوثوق بأنه في الذروة من إحكام الربط كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلام من جلَّ عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال إيماناً بالغيب وتصديقاً للرب قائلاً ما قال الراسخون في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، رقص الفكر منه طرباً، وشكر الله استغراباً وعجباً، وشاط لعظمة ذلك جنانه، فرسخ من غير مرية إيمانه، ورأى أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر..)[١].

وأيضاً فإنه قصد بهذا «التفسير» أن يكون كالرديف لتفسير العلامة البيضاوي: يقول: (فأمدّني فيه ـ والحمد لله ـ تأييد سماوي، فجعلته كالرديف لتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي)[٢]، وكيف لا يكون رديفاً أو كالرديف لتفسير القاضي البيضاوي، وقد سلط البيضاوي تفسيره على تجلية بلاغة القرآن وبديع أسلوبه، فيكون البقاعي قد أردفه بما

(١) نظم الدرر (١: ١٠-١٣).
(٢) المصدر السابق (١: ٤).

قصد إليه من الربط والتناسب. وأضاف إليه مما أعمله من بنات أفكاره في أسلوب القرآن ودلالات ألفاظه وسيأتي الكلام على ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

وقد تحقق له ذلك حيث قال: (ولعل تسهيله كان ببركة مبشرة من آثار النبوة رأيتها في صباي وأنا في حدود العاشرة من سني في قريتنا من بلاد البقاع، رأيت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح والمؤيد بروح القدس محمد النبي المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليهما وسلم في صورتي شابين أمردين في أحسن صورة، راكبين فرسين أخضرين في غاية الحسن، متوجهين نحو المشرق، فأيدني الله ببركتهما في تفسيره وتصنيفه بروح منه كما يشهده من طالعه وتدبره والله ولي التوفيق)[١].

تاريخ ابتداء كتابته والانتهاء من تأليفه:

يمكننا أن نقول: أنَّ الذي تبين بوضوح من مقدمة تفسير العلامة البقاعي، أن فكرة تفسير ينحو منحى المناسبات، ويسلك فيه مسلك إظهار أسرار أسلوب القرآن الكريم، كانت مستقرة في ذهنه، وخاصة بعد أن تلقى من شيخه العلامة المشدالي القاعدة التي انفتح له بها النمط الأصلي في سلوك هذا السبيل، ذلك هي قوله: (الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر إلى انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك ـ إن شاء الله تعالى ـ وجه النظم مفصّلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة، والله الهادي)[٢].

---

(١) نظم الدرر (١: ٤-٥).

(٢) المصدر السابق (١: ١٨).

فأجمع البقاعي همته لتصنيف «التفسير» على هذا النمط، وتأليفه على هذا الأسلوب، ولهذا فهو يقول: (وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عملي هذا الكتاب: أنّ اسم كل سورة مترجم عن مقصودها)[١] ولذا: فهو يبحث دائماً عما يتصل بنمط موضوعه ليضم أفكار غيره إلى فكره، ويجمع آراءهم إلى رأيه، ليخلص في النهاية إلى تفسير في ثوب قشيب جديد، يؤدي هدفه الذي رصده له.

يقول البقاعي: (ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره ـ أي تفسير الحرالي ـ فيه من أوله إلى: (إنّ الله اصطفى آل عمران)[٢] فرأيته عديم النظير، وقد ذكرت فيه المناسبات، وقد ذكرت فيه ما أعجبني وعزوته إليه، يسرّ الله الاطلاع على بقيته بحوله وقوته، وبعد أنْ وصلت إلى سورة الكهف، ذكر لي «تفسير ابن النقيب الحنفي» وهو في نحو ستين مجلداً، يذكر فيه المناسبات، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءاً فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جُمَلِها، وإلى القصص لا جميع آياتها)[٣].

وأيضاً: كأن البقاعي ـ رحمه الله ـ أراد بتفسيره هذا أن يكمل جوانب مهمة قد أغفلها العلامة ناصر الدين البيضاوي في «تفسيره»، فهو يقول: (فأمدني فيه ـ والحمد لله ـ تأييد سماوي، فجعلته كالرديف لتفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي)[٤].

وأياً ما كان الأمر، فإنَّ العلامة البقاعي رحمه الله ابتدأ في تصنيفه في شعبان سنة إحدى وستين وثمانمئة، وهذه هي مسودته، ثم عاد فبيّضه وفرغ من تبييضه عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة اثنتين وثمانين وثمانمئة، أي قبل وفاته بثلاث سنوات وقد نص على ذلك البقاعي

---

(١) نظم الدرر (١ : ١٨، ١٩).

(٢) الصواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

(٣) نظم الدرر (١ : ١٠).

(٤) المصدر السابق (١ : ٤).

فقال: (فرغته في المسودة يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس وسبعين وثمانمئة، بمسجدي من رحبة باب العيد بالقاهرة المعزية، وكان ابتدائي فيه في شعبان سنة إحدى وستين، فتلك أربع عشرة سنة كاملة، وفرغته في هذه المبيضة عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة اثنين وثمانين وثمانمئة بنزلي الملاصق للمدرسة البادرائية من دمشق، فتلك اثنتان وعشرون سنة بعدد سني النبوة الزاهرة..)[١].

لكن الذي في مكتبة كوبريلي في إستانبول نسخة منه: (أوله سورة «طه» عليه السلام: مقصودها الإعلام بإمهال المدعوين والحلم عنهم والترفق بهم. وآخره: وهذا تمام ما أردته من نظم الدرر من تناسب الآي والسور، ترجمان القرآن مبتدأ مناسبات الفرقان، فرغته من المسودة يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس وسبعين وثمانمئة بمنزلي الملاصق للمدرسة البادرائية من دمشق، قيد الفراغ وكتبه أحوج الخلائق إلى عفو الخالق، أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي. ونقلت هذه النسخة من نسخة كتبها المؤلف بخط يده في أوائل القرن العاشر)[٢]. ولدى المقارنة بين النسختين في محل النسخ وتاريخه يظهر الفرق بينهما، بأن الأولى انتسخت مسودة سنة خمس وسبعين وثمانمئة بالقاهرة بمسجد البقاعي نفسه من رحبة باب العيد، وأنَّ الثانية انتسخت مسودة سنة خمس وسبعين وثمانمئة بمنزل البقاعي الملاصق للمدرسة البادرائية بدمشق، وكلاهما على أنه من خط البقاعي. وهذا ـ كما هو واضح ـ تناقض ظاهر.

والذي يظهر لي: أن الأولى هي الصحيحة، إذ أن فراغ النسخ في المسودة كان بالقاهرة بمسجد البقاعي في رحبة باب العيد سنة خمس وسبعين وثمانمئة وأن كمال تبييضها حصل من قبله بمنزله الملاصق للبادرائية سنة اثنتين وثمانين وثمانمئة، فيكون الخلل على هذا من

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٤٤٣).

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي: د. رمضان ششن وجواد إيزكي وجميل أفكار (١: ٦٣).

تلفيق فهرس مخطوطات المكتبة المترجم لها فيه وتدبيج محل التبييض بمحل التسويد، والله أعلم.

٢ـ وصل إلى أوائل سورة آل عمران سنة سبعين وثمانمئة، حيث يقول البقاعي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥]: (أي ولا هم يقدرون على أن يدعوا في عيسى عليه الصلاة والسلام مثل هذا العلم، بل في إنجيلهم الذي بين أظهرهم الآن في حدود السبعين والثمانمئة التصريح بأنه يخفي عليه بعض الأمور)[١].

٣ـ وصل إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائه في عمل هذا الكتاب[٢] فيكون ذلك منه سنة إحدى وسبعين وثمانمئة.

٤ـ انتهى من تأليفه سنة خمس وسبعين وثمانمئة، وقد نص هو على ذلك بقوله (فرغته في المسودة يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس وسبعين وثمانمئة)[٣].

وكذلك أشار إلى أمر النهاية في النظم حيث قال:

(سهل ربي أمره ... عليّ حتى تمّا
في أربع وعشرة ... من السنين صما
قال لسان عدّها ... دونك بدراً تما
وليس يُلقى ناقصاً ... يا صاحبي يوما)[٤]

لأن بدء التصنيف كان سنة إحدى وستين وثمانمئة وإضافة أربعة عشر سنة عليه يبلغ خمسة وسبعين وثمانمئة، وهو تمام نهاية التأليف.

(١) نظم الدرر (٤: ٢١٨).

(٢) المصدر السابق (١: ١٨).

(٣) المصدر السابق (٢٢: ٤٤٣).

(٤) المصدر السابق (٢٢: ٤٤٩).

المبحث الثاني
تناوله السور والآيات

يمكننا إجمال كيفية تناوله السور والآيات بنقطتين:

أ ـ كيفية تناوله السور:

فسر البقاعي القرآن كله، سورةً سورة، ابتداءً من سورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس، وهو بهذا يتناول كل سورة بما يلي:

١ـ ذكر اسم السورة: اعتاد في «تفسيره» أنه يذكر في مطلع كل سورة اسمها فيقول مثلاً: سورة الفاتحة[١] سورة البقرة[٢] سورة الأعراف[٣] وإذا كان للسورة أكثر من اسم واحد ذكره: فمثلاً: في سورة الفاتحة ذكر عدة أسماء لها فقال: (فالفاتحة اسمها أم الكتاب، والأساس، والمثاني، والكنز، والشافية، والكافية، والوافية، والواقية، والرقية، والحمد، والشكر، والدعاء، والصلاة)[٤] ويقول أيضاً في سورة البقرة: (وسُمِّيت بالزهراء لإنارتها، وبالسنام)[٥]. وليس هذا فحسب، بل إنه درج على ذكر سبب التسمية عند ذكر اسم السورة

---

(١) نظم الدرر (١: ١٧).

(٢) المصدر السابق (١: ٥٥).

(٣) المصدر السابق (٧: ٣٤٧).

(٤) المصدر السابق (١: ١٩).

(٥) المصدر السابق (١: ٥٧).

أو أسمائها المتعددة إن وجد: فيقول مثلاً في سورة الفاتحة بعد ذكر أسمائها: (فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفيّ كافٍ لكل مراد، وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها، فكل شيء بها إلا إذا ثنيتْ فكانت دائمة التكرار، وهي كنز لكل شيء، شافية لكل داء، كافية لكل همّ، وافية بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل مُلمّ، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة)[١].

ويقول عند سورة براءة بعد أن ذكر معنى تسميتها بالتوبة فقال: (وهو يدل على البراءة لأن البراءة منهم بهجرانهم - حتى رد السلام[٢] - كان سبب التوبة، وتسميتها ببراءة واضح أيضاً فيما ذكر من مقصودها، وكذا الفاضحة لأن من افتضح كان أهلاً للبراءة منه، والبحوث لأنه لا يبحث إلا عن حال البغيض، والمبعثرة هو المنفرة والمثيرة والحافرة والحفارة والمخزية والـمهلكة والمشردة والمدمدمة والمنكلة؛ لأنه لا يبعثـر إلا حال العدو، وكذا ما بعده، والمشردة عظيمة المناسبة مع ذلك لما أشارت إليه الأنفال في ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٥٧]، وسورة العذاب أيضاً واضحة في مقصودها، وكذا المقشقشة لأنهم قالوا: إن معناه المبرئة من النفاق..)[٣] ويقول في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام بعد ذكر اسمها: (مقصودها وصف الكتاب بالإبانة لكل ما يوجب الهدى، لما ثبت فيما مضى ويأتي في هذه السورة من تمام علم منزله غيباً وشهادة، وشمول قدرته قولاً وفعلاً. وهذه القصة - كما ترى - أنسب الأشياء لهذا المقصود، فلذلك سميت سورة يوسف. والله أعلم)[٤].

---

(١) نظم الدرر (١: ٢٠).

(٢) الكلام في المخلفين عن غزوة تبوك.

(٣) نظم الدرر (٨: ٣٥٠).

(٤) المصدر السابق (١٠: ١).

وهو يذهب إلى أن اسم كل سورة إنما هو مترجم لمقصود سورته، فينظر إلى مقصد السورة العام بادئ ذي بدء ليعقد الاتصال بين الاسم وبين السورة كاملة؛ فهو يقول: (وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة[١] ـ بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب ـ أنّ اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأنَّ اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه)[٢].

٢ـ ذكر مقصود السورة[٣]:

ولما كان القصد من تصنيف «تفسيره» إقامة الرابط الكلي بين أجزاء القرآن، كان لابد أن ينظر في مقاصد تلك الأجزاء بغية الوقوف على السبب المتحد لأجل الربط، وقد جرى في عادته وقبل البداءة بالتفسير أن يتكلم على مقصود السورة. فهو يقول مثلاً في سورة البقرة: (مقصودها: إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سميت بها السورة)[٤].

ويقول أيضاً عند تفسيره لسورة النساء: (مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران والكتاب الذي حدت عليه البقرة لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة تحذيراً مما أراده شأس بن قيس وأنظاره في الفرقة)[٥].

(١) أي قاعدة شيخه المشدالي الدالة إلى طريق الربط، وستأتي.

(٢) نظم الدرر (١: ١٨، ١٩).

(٣) قد صنف البقاعي رحمه الله كتاباً يقرب من (٣٥٠) صفحة في هذا الباب (أسماه: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور).. نسخة من الكتاب مصورة عن نسخة بخط المؤلف عند الأستاذ صبحي السامرائي اطلعت عليها فوجدتها من مهمات مصنفات علوم القرآن.. يتناول الغرض سورة سورة بدءاً بالفاتحة وختماً بسورة الناس.

(٤) المصدر السابق (١: ٥٥، ٥٦).

(٥) المصدر السابق (٥: ١٦٩).

وفي سورة المائدة[١] والأنعام[٢] والأعراف[٣] وهكذا في بقية سور القرآن[٤].

ولكنه في بعض الأحيان يجعل مقصود السورة بعد كلامه على البسملة، وعلى ذلك جرى مثلاً في سورة آل عمران[٥] وسورة الأنفال[٦] وسورة إبراهيم عليه السلام[٧].

٣ـ تفسير كل بسملة بما يناسب سورتها:

وتفسيره هذا لها أيضاً متمم لمقصود الترابط الذي التزمه، فهو لهذا يقول: (فأذكر المقصود من كل سورة وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها)[٨].

ولهذا فإنك إذا راجعت تفسيره للبسملة في القرآن تجد البسملة في سورة البقرة قد فسرت تفسيراً يختلف عن تفسيره للبسملة في سورة آل عمران. وهكذا في سائر القرآن، يقول: (﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي نصب ـ مع كونه باطناً ـ دلائل الهدى حتى كان ظاهراً. ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي أفاض رحمته على سائر خلقه بعد الإيجاد ببيان الطريق. ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خص أهل وده بالتوفيق)[٩].

فهذا التفسير يتفق مع ذكره المقصود من السورة بقوله: (مقصودها إقامة الدليل على

---

(١) نظم الدرر (٦: ١).

(٢) المصدر السابق (٧: ١).

(٣) المصدر السابق (٧: ٣٤٧).

(٤) ينظر: (٨: ٣٥٠)، (٩: ٦١، ٢٢٤)، (١٠: ١، ٢٦٢).

(٥) المصدر السابق (٤: ١٩٥).

(٦) المصدر السابق (٨: ٢١٤).

(٧) المصدر السابق (١٠: ٣٦٩).

(٨) المصدر السابق (١: ١٩).

(٩) المصدر السابق (١: ٥٨).

أنَّ الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب..)[١]، وهو كما نرى يختلف عن تفسيره للبسملة في سورة آل عمران حيث يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الواحد المتفرد بالإحاطة والكمال. ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ الذي وسعت رحمة إيجاده كل مخلوق وأوضح للمكلفين طريق النجاة. ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي اختار أهل التوحيد لمحل أنسه وموطن جمعه وقدسه)،[٢]، وهذا التفسير ينصح اتصاله بمقصد السورة نفسها حيث يقول عن ذلك: (المقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله سبحانه وتعالى.. إلخ)[٣]. وهكذا لمن تتبع طريقته.

وهناك بعض الأمور يتكلم عليها عند تفسيره للسور في غضون كتابه، ولكن ليس من قبيل الاستمرار في كل سورة، بل إن دعت الحاجة إلى ذلك.

فهو مثلاً يذكر عن سورة النساء قوله: (وهذه السورة من أواخر ما نزل)[٤]، واستدل على ذلك بحديث رواه البخاري في فضائل القرآن، عن يوسف بن ماهك أن عراقياً سأل أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تريه مصحفها... إلى أن قالت: لقد نزل بمكة على محمد وإني لجارية ألعب ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)[٥] ومن هذا يؤخذ أنّ البقرة والنساء مدنيتان.

وكذلك قد يتعرض لبعض الأمور المتعلقة بالسور كذكره فضائل بعض السور، فمثلاً: في تفسيره لسورة آل عمران، وعند قيامه لإيضاح الارتباط الوثيق بين الفاتحة

---

(١) نظم الدرر (١: ٥٥).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٩٥).

(٣) المصدر السابق (٤: ١٩٥).

(٤) المصدر السابق (٥: ١٦٩).

(٥) المصدر السابق (٥: ١٦٩، ١٧٠).

والبقرة، وبينها وبين آل عمران، أشار إلى أن منزلة سورة البقرة منزلة سنام المطية، ثم قال: (قال ﷺ لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة)[١].

٤ـ إحكامه المناسبة بين السورة والسورة:

ذلك أنه إذا أراد التفسير للسورة التالية ذكر تعلقها بما قبلها فهو يقول مثلاً: ومناسبة هذا الأول بالابتدائية لآخر ما قبلها أنه لما كان آخر البقرة في الحقيقة آية الكرسي وما بعدها إنما هو بيان، لأنها أوضحت أمر الدين بحيث لم يبق وراءها مرمى لمتعنت، أو تعجبت من حال من جادل في الإلهية أو استبعد شيئاً من القدرة، ولم ينظر فيما تضمنته هذه الآية من الأدلة مع وضوحه، أو إشارة إلى الاستدلال على البعث بأمر السنابل في قالب الإرشاد إلى ما ينفع، في اليوم الذي نفي فيه نفع البيع والخلة والشفاعة من النفقات، وبيان بعض ما يتعلق بذلك، وتقرير أمر ملكه لما منه الإنفاق من السماوات والأرض، والأخبار بإيمان الرسول وأتباعه بذلك، وبأنهم لا يفرقون بين أحد من الرسل المشار إليهم في السورة بصدقهم في التضرع برفع الأثقال التي كانت على من قبلهم من بني إسرائيل وغيرهم وبالنصرة على عامة الكافرين، لما كان ذلك على هذا الوجه، ناسب هذا الاختتام غاية المناسبة ابتداء هذه السورة بالذي وقع الإيمان به سبحانه وتعالى، ووجهت الرغبات آخر تلك إليه..)[٢].

وكذلك عاد بعد هذا إلى بيان الوصلة والتناسب المتصل بين الفاتحة والبقرة وآل عمران فقال: (وأحسن منه: أنه لما نزل إلينا كتابه فجمع مقاصده في الفاتحة على وجه أرشد فيه إلى سؤال الهداية، ثم شرع في تفصيل ما جمعه في الفاتحة، فأرشد في أول البقرة إلى نهاية الهداية في هذا الكتاب، وبيّن ذلك بحقية المعنى والنظم كما تقدم، إلى أن ختم البقرة بالإخبار عن خُلَّص عباده بالإيمان بالمنزل بالسمع والطاعة، وأفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلى المنزل

---

(١) نظم الدرر (٤: ٢٠٠).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٩٨).

له أن له سبحانه وتعالى كل شيء وبيده النصر، علم أنه واحد لا شريك له، حي لا يموت، قيوم لا يغفل، وأن ما أنزل هو الحق، فصرح أول هذه بها أفهمه آخر تلك، كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها..)(١).

وليس هذا فحسب فإنه يرى أنَّ اتصالاً شديداً بين آخر القرآن وأوله، بأن تكن سورة الناس أشد اتصالاً بفاتحة الكتاب، فهو لهذا يقول: (وبه أيضاً يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله، ولا على آخر سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١]، بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بها قبلها بل هي أشد)(٢).

ب ـ كيفية تناوله الآيات:

ولما كان البقاعي قد أتى على القرآن الكريم بسُوَره سورةً سورة وآياته آية آية تفسيراً وبياناً، كان ولا بد أن يكون له طريقته في تناوله الآيات الكريمة. وهي كما يلي:

١ ـ بيانه لمناسبة الآية للآية:

وهذا عهد أخذه البقاعي على نفسه في كل تفسير، فإنه إذا ابتدأ بآية ذكر مناسبة هذه الآية لسابقتها، ويجعل لذلك حلقة الربط أداة «لمّا» الرابطة، وهل تسميته للتفسير بكتاب «لـمّا» إلا لهذا؟!.

ومن يفتح كتاب «لـمّا» لا على التعيين، يطالعه في الصفحة الواحدة من أداة «لما» واحدة أو اثنتان وأكثر من ذلك، فإذا قرأ ما بعدها علم أن ذلك للربط، فمثلاً في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٠٩]، قال عقبها: (ولـمّا نهى عن نصرة

---

(١) نظم الدرر (٤: ١٩٨، ١٩٩).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٥).

الخائن وحذر منها ندب إلى التوبة من كل سوء فقال ـ عاطفاً على ما تقديره: فمن يصر على مثل هذه المجادلة يجد الله علياً حكيماً ـ:[1] ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾) [النساء: ١١٠].

وقد تكون المناسبة العلية والمعلولية: فمثلاً قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥] قال: (ولما أثبت لمن صد عنه ـ أي: إبراهيم ـ النار علله بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا ﴾ [النساء: ٥٦])[2].

٢ـ بيانه لمناسبة الآية الواحدة في جملها:

وهذا يتضح بادئ ذي بدء من قوله السابق (من إنه لا وقف تام في كتاب الله)[3]، فيكون حينئذ متلاحم الاتصال قطعة واحدة كسبيكة الذهب.. فمثلاً: يقول في تفسيره لسورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]: أي شديد الضيق فيكون مرتجاً أي مضطرباً.. إلى أن قال: (ولما كان صاحب هذا الصدر لا تكاد الهداية تصل إليه، وإن وصل إليه شيء منها على لسان واعظ، ومن طريق مرشد ناصح، لم تجد مسلكاً فنكصت، وهكذا لا تزال في اضطراب وتردد أبداً.. كانت ترجمته قوله ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ..﴾)[4].

وهذا كما هو ظاهر تناسب بين فقر الآية نفسها وجملها، وهو كثير كثير في «تفسيره»[5].

ويتضح هذا فيما ينقله البقاعي عن شيخه المشدالي حيث يقول: (قال شيخنا الإمام

(١) نظم الدرر (٥: ٢٩٦).

(٢) المصدر السابق (٥: ٣٠٥).

(٣) المصدر السابق (٤: ١٥).

(٤) المصدر السابق (٧: ٢٦٢).

(٥) المصدر السابق (٦: ٢١٤)، (٨: ٣٧٣)، (٩: ٢٢٥).

المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد بن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي علامة الزمان، سقى الله عهده سحائب الرضوان وأسكنه أعلى الجنان: (الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقضي البلاغة شفاء العليل، يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، إذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة، والله الهادي. انتهى)[١]، وقد سار البقاعي على هذه القاعدة واستعملها، وظهر له أشياء أخرى أفاد منها كما ذكر هو ذلك بعد عشر سنين من استعماله للقاعدة في «تفسيره»[٢].



(١) نظم الدرر (١: ١٨). ويراجع لها: البدر الطالع (٢: ٢٤٨).

(٢) المصدر السابق (١: ١٨، ١٩).




الفصل الثاني

مصادر البقاعي في «تفسيره»

ويشتمل على تمهيد وثمانية مباحث:

- المبحث الأول: مصادره من المأثور.
- المبحث الثاني: مصادره من التفسير.
- المبحث الثالث: مصادره من كتب علوم القرآن.
- المبحث الرابع: مصادره من كتب الأصول.
- المبحث الخامس: مصادره من كتب التوحيد.
- المبحث السادس: مصادره من كتب الفقه.
- المبحث السابع: مصادره من كتب اللغة والنحو والبلاغة.
- المبحث الثامن: مصادره من كتب التاريخ.




تمهيد

لما كانت المصادر هي الركيزة الأولى التي يضع كل مفسر تفسيره على أساسها كان من الضروري أن أتكلم على المصادر التي استقى منها البقاعي «تفسيره» باعتبارها مقدمة لابد منها لدراسة منهجه الذي نهجه في «تفسيره». ومن قراءتي لهذا التفسير، اتضح لي أنه قد تأثر في «تفسيره» بكتب السنة والتفسير، وكتب علوم القرآن، وكتب التوحيد والأصول، وكتب الفقه والأحكام، وكتب اللغة والنحو والتاريخ والسير وغيرها.

ومن البدهيّ أنني لا أقصد في هذا الفصل ذكر مصادر البقاعي على وجه الاستقصاء والحصر، بل الذي أقصده هو عرض أهم هذه المصادر، والتعرف على مدى تأثر البقاعي بها بقدر ما يسمح لي به النظام، حيث لا تزيد رسالة الماجستير على مائتي صفحة.

وقد اشتمل هذا الفصل على المباحث الآتية:

المبحث الأول
مصادره من المأثور

أولاً ـ كتب السنة:

لقد أورد البقاعي في «تفسيره» من كتب السنة الشيء الكثير الكثير، مستشهداً بما أورده لأغراض مختلفة، ويندر أن يورد حديثاً ثم يتركه من غير تعريج على تخريج، ومن جملة هذه الكتب:

١ـ «الجامع الصحيح» للإمام محمد بن إسماعيل البخاري: المتوفى سنة (٢٥٦)هـ نقل عنه كثيراً في «تفسيره»: من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «بلغوا عني ولو آية»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ليبلغ الشاهد الغائب، فرُبَّ مبلغٍ أوعى من سامع»[١] وغير هذا مستفيض غاية الاستفاضة[٢].

٢ـ كتاب «الصحيح» للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة (٢٦١)هـ نقل عنه الكثير، فمن ذلك، حديث رسول الله ﷺ «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك»[٣] وحديث ذكر ابتداء الخلق[٤] وغير هذا[٥].

---

(١) نظم الدرر: (١: ٢، ٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب العلم: باب قول النبي ﷺ. رب مبلغ أوعى من سامع (١: ٢٦). ينظر: نظم الدرر: (٣: ٢٨، ٥٢، ١٢٢)، (٤: ٨٨، ١٤٢)، (٥: ٢٥، ٤٩، ٦١، ٩٧، ١٦٩)، (٦: ١٧، ٣٧، ٥٨، ٣١٩) وغير هذا.

(٣) نظم الدرر (١: ٣٤). ينظر: صحيح الإمام مسلم: الصلاة (٢٢٢-٣٣٣).

(٤) نظم الدرر (١: ٢٦٢). وينظر صحيح مسلم (٨: ١٢٧).

(٥) نظم الدرر (٤: ١٦٦)، (٥: ٢٤٢، ٣٧٩، ٤١٨، ٤٩٨).

٣ـ «جامع الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي» المتوفى سنة (٢٧٩)هـ: نقل عنه الكثير، ومن ذلك الحديث الشريف: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»(١) وتفسيره ﷺ للآية الكريمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] حيث قال: (وللترمذي ـ وقال حسن ـ عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في هذه الآية ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ـ: «أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه وتعالى»)(٢) ونقل عنه أيضاً غير هذا(٣).

٤ـ «السنن الصغرى» للإمام النسائي المتوفى سنة (٣٠٣)هـ والمسمى بالمجتبى: نقل عنه الشيء الكثير: فمن ذلك قوله في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أعوذ بعفوك من عقوبتك، وبرضاك من سخطك، وبك منك». ثم أتبعه فيما زاد النسائي الاعتراف بالعجز في قوله: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(٤).

ونقل عنه حديث: «كنا نسلم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة»(٥).

٥ـ «السنن» للإمام أبي داود المتوفى سنة (٢٧٥)هـ: نقل عنه في مواضع كثيرة، فمن ذلك: الحديث الشريف: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس باباً من السحر زاد ما زاد»(٦).

ونقل عنه عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] الأثر الشريف عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: «إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما

(١) نظم الدرر (١: ٢٧٣). وينظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي (٧: ٤٣١).

(٢) نظم الدرر (٥: ٢٥). وينظر: تحفة الأحوذي شرح الترمذي، وقال فيه: إنكم تتمون بدل أنتم (٨: ٣٥٣).

(٣) نظم الدرر (٣: ٧٩، ٨٠)، (٦: ١٧، ٣٠).

(٤) نظم الدرر (١: ٣٤). وينظر: سنن النسائي: قيام الليل (٥١).

(٥) نظم الدرر (٣: ٣٧٤). وينظر: (٥: ٢١٨، ٤١٨)، (٦: ١٧، ٥٩، ٣٢٥). وينظر: سنن النسائي.

(٦) نظم الدرر (٣: ٩٩)، معالم السنن بأصله سنن أبي داود: كتاب الطب: باب في النجوم (٤: ٢٢٦).

أعز الله الإسلام وكثر ناصره، وقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت فلو أقمنا في أموالنا، فأنزل الله هذه الآية»[١].

٦ـ «السنن للإمام» ابن ماجة المتوفى سنة (٢٧٣)هـ: ومما نقل عنه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: (جاءت امرأة سعد ابن الربيع بابنتيها من سعد رضي الله عنهم، إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال، قال: يقضي الله عز وجل في ذلك، فنزلت آية الميراث)[٢]. ونقل عنه أيضاً غير هذا[٣].

٧ـ «موطأ الإمام مالك بن أنس» المتوفى سنة (١٧٩)هـ: نقل عنه مثلاً أمر تحويل القبلة فقال: (وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال: «صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين)[٤].

٨ـ «مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني» المتوفى سنة (٢٤١)هـ: نقل عنه كثيراً، فمن ذلك الحديث الشريف: (إن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة)[٥].

وحديث: «إن الله سبحانه وتعالى أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»[٦]، ونقل عن غير هؤلاء المذكورين، مثل:

---

(١) نظم الدرر (٣: ١٢٢). ينظر: أبو داود: باب قوله تعالى: ﴿ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (٣: ٢٧).

(٢) نظم الدرر (٥: ٢٤٢). وينظر ابن ماجة: كتاب الفرائض: باب فرائض الصلب (٢: ٩٠٨).

(٣) المصدر السابق (٣: ٣٤٧)، (٥: ٦٧، ٢٤٢، ٤١٨)، (٦: ٢٣٣، ٢٨٢، ٣١٤، ٣٢٥).

(٤) المصدر السابق (٢: ٢٢٠). وينظر: موطأ مالك: هامش المنتقى للباجي: القبلة (١: ٣٤٠).

(٥) نظم الدرر (٢: ٢٦٤). وينظر: الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد بن خليل: البنا (١١: ٩).

(٦) نظم الدرر (٣: ٣٤). وينظر: مسند أحمد بن حنبل.

«مسند البزار»[١] وأبي داود الطيالسي[٢] وعبد بن حميد[٣] والدارمي[٤] وأحمد بن منيع[٥] وأبي بكر بن أبي شيبة[٦] واسحاق ابن راهويه[٧] وأبي يعلي الموصلي[٨] والبغوي في «شرح السنة»[٩] و«صحيح ابن خزيمة»[١٠] والطبراني[١١] وابن مردويه[١٢] و«دلائل البيهقي»[١٣] والحاكم في «المستدرك»[١٤] والحارث بن أبي أسامة[١٥] والدارقطني[١٦] والقضاعي[١٧] و«الأطراف» للمزي[١٨] و«مختصر سنن أبي داود» للمنذري[١٩] و«تخريج

(١) نظم الدرر (٥: ٢١٩، ٢٦١) (٦: ٥، ١١٦).

(٢) المصدر السابق (٦: ١١٦).

(٣) المصدر السابق (٦: ٥٩، ٣١٩).

(٤) المصدر السابق (١: ٤٩٥)، (٤: ١١٢، ١١٣).

(٥) المصدر السابق (٦: ٥٩).

(٦) المصدر السابق (٦: ٥٩).

(٧) المصدر السابق (٢: ٤٣).

(٨) المصدر السابق (١: ٥٩)، (٣: ١٩٨، ٣٦٧)، (٨: ٤٧٨).

(٩) المصدر السابق (٤: ١١٤).

(١٠) المصدر السابق (٢: ٢٦٤).

(١١) المصدر السابق (١: ٣)، (٢: ١٢٥)، (٣: ٣٦٧)، (٦: ٢٧٩).

(١٢) المصدر السابق (٥: ٤٩٨).

(١٣) المصدر السابق (١: ٢٢٩، ٣٨٨)، (٣: ٢٦٠)، (٩: ١٨٢).

(١٤) المصدر السابق (١: ٢٢٩)، (٦: ١٤٧).

(١٥) المصدر السابق (١: ٢٢٩).

(١٦) المصدر السابق (٥: ١٩٠، ٢٤٢)، (٦: ٥، ٣١٥).

(١٧) المصدر السابق (٤: ٤٠٥).

(١٨) المصدر السابق (١: ٢٦٢).

(١٩) المصدر السابق (٦: ٢٣٣).

أحاديث الكشاف»[1] و«تخريج أحاديث الرافعي»[2] و«فتح الباري»[3] و«الثلاثة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وكذلك «صحيح ابن حبان»[4] و«تخريجات نور الدين الهيثمي»[5] و«النهاية في غريب الحديث»، و«الأثر» لابن الأثير[6] و«غريب الحديث» لأبي عبيد[7] و«الحلية» لأبي نعيم[8].

ثانياً ـ أقوال الصحابة والتابعين:

إنّ بيان القرآن وتفسيره بما صح وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم، له حكم المرفوع، كما صرح بذلك الحاكم بقوله: (إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع)[9].

قال الزرقاني: (كذا أطلق الحاكم، وقيده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو الموقوف)[10].

ولذا فقد اعتمد البقاعي كثيراً على أقوال الصحابة والتابعين في «تفسيره» لهذا المعنى، فتجده ينقل عنهم معاني الكلمات، وتفسير الآيات وأسباب النزول وأموراً أخرى غيرها، فمن الصحابة:

---

(١) نظم الدرر (٥: ٢٤٥)، (٢٢: ٢٩).

(٢) المصدر السابق (٥: ١٩٠، ١٩١).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٧٧)، (٦: ٢٨١).

(٤) المصدر السابق (٣: ٣٦٧)، (٦: ٣١، ١٤٧).

(٥) المصدر السابق (٦: ٢٣٦)، (٨: ٤٦٧).

(٦) المصدر السابق (٨: ٤٥٤، ٤٦٣)، (٢٢: ٦).

(٧) المصدر السابق (٨: ٤٥٥).

(٨) المصدر السابق (٧: ٢١١)، (١٠: ١٦٠).

(٩) مناهل العرفان: الزرقاني (١: ٤٨١).

(١٠) المصدر السابق (١: ٤٨١).

١ـ ابن عباس رضي الله عنهما[١]:

وقد نقل عنه الشيء الكثير، ومن جملة ما نقل عنه تفسيره لمعنى بعض الكلمات، فهو يقول مثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: ٦٣] مفسراً لمعنى كلمة الطور: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور)[٢]، وعند قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ [آل عمران: ٦١]، حيث يفسر معنى كلمة (نبتهل) بقوله: (أي: نتضرع، قاله ابن عباس رضي الله عنهما)[٣].

ونقل عنه أيضاً تفسير كلمة (موالي) في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣] بقوله:

وفي «البخاري» في التفسير عن ابن عباس، موالي: ورثة، والذين عقدت أيمانكم: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوّة التي آخى النبي ﷺ فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾ نسخت، ثم قال: (والذي عقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة)[٤].

وأحياناً ينقل عنه تفسيراً لمعنى عام إجمالي، فهو يقول مثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦] ما نصه: ﴿نَكَٰلًا﴾ أي قيداً مانعاً، ﴿لِّمَا بَيْنَ

---

(١) هنالك تفسير ينسب إلى ابن عباس يسمى «تنوير المقباس» جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشافعي صاحب «القاموس» وغالب ما فيه لا يصح نسبته إليه وخاصّةً أنَّ روايته عن السوي الصغير والكلبي وهما من الطعن بمكان، وإن كان ما فيه صحيحاً مقبولاً في الغالب. ينظر: التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ٨٢).

(٢) نظم الدرر (١: ٤٦١).

(٣) المصدر السابق (٤: ٤٤٣).

(٤) المصدر السابق (٥: ٢٦٨-٢٦٩).

﴿يَدَيْهَا﴾: من المعاصي من أهل عالمها الشاهدين لها، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ ممن جاء بعدهم، روي معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما[١].

وعند قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] يقول: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: يتبعونه حق اتباعه، من تلا فلان فلاناً إذا تبعه، رواه عنه أبو عبيد)[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] ينقل عن أبي يعلى الموصلي في «مسنده» بسند متصل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ـ يعني في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ـ أي: على الإسلام كلهم[٣]، وعند قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] يقول: (ومن التقديم التسمية عند الجماع على ما وردت به السنة وصرح به الحبر ابن عباس رضي الله عنهما ـ على ما نقل عنه ـ)[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: (وروي عن ابن عباس، ومحمد بن علي المشهور بابن الحنفية رضي الله عنهم، أن المعنى: إلّا ليؤمنَنَّ بعيسى عليه الصلاة والسلام قبل موت ذلك الكتابي عند الغرغرة حين لا ينفعه الإيمان ليكون ذلك زيادة في حسرته)[٥].

وكذلك من جملة ما نقله البقاعي من التفسير العام عن ابن عباس، نقل أيضاً بعض استنباطاته: فمثلاً: عند قوله تعالى في سياق قصة البقرة: ﴿ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا

(١) نظم الدرر (١: ٤٦٥).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٤٣).

(٣) المصدر السابق (٣: ١٩٨).

(٤) المصدر السابق (٣: ٢٨١-٢٨٢).

(٥) المصدر السابق (٥: ٤٩٩).

كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] يقول: (قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو ذبحوا بقرةً ما لأجزأتهم لكنهم شددوا في السؤال فشدد الله عليهم)(١).

وعند قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمي القاتل في أول الآية مؤمناً، وفي وسطها أخاً، ولم يؤيسه آخرها من التخفيف والرحمة)(٢). وينقل عنه أيضاً ما يتعلق بأسباب النزول فمن ذلك مثلاً عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] حيث يقول: (وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت عكاظ ومجنّة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتّجروا في المواسم، فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج)(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] يقول: (روى البخاري في التفسير ومسلم في آخر «كتابه» عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾، قال: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك إلى قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤](٤).

وينقل عنه أيضاً ما يتعلق ببعض جوانب علوم القرآن، فينقل عنه فضل الآية الكريمة ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ حيث يقول: (روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقِي في النار،

(١) نظم الدرر (١: ٤٧٢).

(٢) المصدر السابق (٣: ٢٩).

(٣) المصدر السابق (٣: ١٤٨).

(٤) المصدر السابق (٣٦٦-٣٦٧).

وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم.. وقال: كان آخر كلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل)[١].

وينقل عنه آخر ما نزل من القرآن الكريم، فيقول: (وله ـ أي: للبخاري في التفسير ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا، ثم قال: وله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: آخر آية أنزلت من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]... قال: زعموا أن رسول الله ﷺ مكث بعدها تسع ليالٍ، وبُدئَ به يوم السبت ومات يوم الاثنين)[٢].

وينقل عنه المكيَّ والمدني، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] يقول: وهذا الحديث يؤيد قول ابن عباس رضي الله عنهما: إن هذه الآية من هذه السورة المكية مدنية[٣].

وينقل عنه أيضاً شيئاً في السيرة، حيث يقول مثلاً: (وقال الجلال الخجندي في كتابه «فردوس المجاهدين»: إنَّه صح النقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما نُصِر النبي ﷺ في موطن من المواطن نُصرتُه في يوم أُحد)[٤]، ويكثر البقاعي النقل عن ابن عباس قوله في الإسرائيليات وقصص بني إسرائيل[٥] فيقول مثلاً: (روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فمن عفي له من أخيه شيء ـ أي يقبل الدية في العمد ـ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على

---

(١) نظم الدرر (٥: ١٣٠).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٤٢).

(٣) المصدر السابق (٩: ٣٩٥).

(٤) المصدر السابق (٥: ٥٢، ٥٣).

(٥) يقول الذهبي: كان ـ أي: ابن عباس رضي الله عنه ـ يرجع إلى أهل الكتاب ويأخذ عنهم بحكم اتفاق القرآن والإنجيل في كثير من المواضيع التي أُجملت في القرآن وفصلت في التوراة أو الإنجيل. التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ٧١).

من كان قبلكم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد قبول الدية. انتهى)[١] ونقل عنه في الإسرائيليات غير هذا[٢].

٢ـ أبو بكر رضي الله عنه:

نقل عنه كلامه في أوائل السور قوله: (في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور)[٣].

ونقل عنه كلامه في كلمة (لا إله إلا الله) عند قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]؛ حيث قال: (كما قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه في أول إسلامه: وجدت بضاعة بنسيئة ما وقعت على بضاعة قط أنفس منها، وهي: لا إله إلا الله)[٤].

ونقل عنه أيضاً تفسير (الكلالة) في قوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] بقوله: (وقال الأصبهاني عن الشعبي، اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في الكلالة، فقال أبو بكر: هو ما عدا الوالد، وقال عمر ما عدا الوالد والولد، ثم قال عمر: إني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر رضي الله عنه)[٥].

٣ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

نقل عنه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ

---

(١) نظم الدرر (٣: ٢٨، ٢٩).

(٢) المصدر السابق (٦: ١١٤، ١١٥)، (٨: ٢٢)، (١٠: ٧٨، ١٢٣).

(٣) المصدر السابق (١: ٧٢).

(٤) المصدر السابق (٥: ١٤٦).

(٥) المصدر السابق (٥: ٥٢٩).

وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ [البقرة: ٢٦٦] في أي شيء نزلت هذه الآية بقوله: (وروى البخاري رضي الله عنه في التفسير عن عبيد بن عمير قال: قال عمر رضي الله عنه لأصحاب النبي ﷺ، فيم ترون نزلت هذه الآية؟ أيودّ أحدكم.. إلى أن قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر رضي الله عنه: أيّ عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر رضي الله عنه: لرجل غني يعمل بطاعة الله سبحانه وتعالى ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله)[1].

٤ـ علي رضي الله عنه:

نقل عنه كلامه في أوائل السور (إنَّ لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي)[2].

ونقل عند قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩] كلامه في علم النجوم بعد أن ساق الحديث الشريف: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس باباً من السحر زاد ما زاد» بقوله: (وقال علي رضي الله عنه: من طلب علم النجوم تكهّن)[3].

ونقل عنه ما قاله في سبب وجود البسملة في سورة براءة حيث قال: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت علياً رضي الله عنه: لِمَ لـمْ تكتب بسم الله الرحمن الرحيم هاهنا؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم أمان، وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهد وليس فيها أمان)[4].

---

(١) نظم الدرر (٤ : ٨٨).

(٢) المصدر السابق (١ : ٧٢).

(٣) المصدر السابق (٣: ١٠٠).

(٤) المصدر السابق (٨: ٢٥٨).

ونقل عنه قراءته في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْئَسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] حيث قال: (وكذا قراءة علي ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين: «أفلم يتبين الذين آمنوا»[١] ونقل عنه كثيراً غير هذا[٢].

وكذلك ينقل عن كثير من الصحابة الكرام غير هؤلاء رضي الله عنهم، فمن جملتهم: الحسن[٣] والبراء بن عازب[٤] وسلمان الفارسي[٥] وأبو أيوب الأنصاري[٦] وحذيفة بن اليمان[٧] وابن مسعود[٨] وسلمة بن الأكوع[٩] وعائشة أم المؤمنين[١٠].

وأما نقله عن التابعين فكثير جداً، وذلك مثل نقله عن:

١ـ مجاهد: فمثلاً عند قوله ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال: (أي مطيعين، قاله الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وعطاء وقتادة وطاوس)، ثم نقل بصيغة «قيل»: إنه السكوت، ثم قال: (قال مجاهد: خاشعين)[١١]. وعند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] يقول: (قال البغوي: قال ابن عباس ومجاهد: لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر وفيما

---

(١) نظم الدرر (١٠: ٣٤٤).

(٢) المصدر السابق (٥: ١١٧)، (٩: ١١٣، ١٥٤، ٢١١).

(٣) المصدر السابق (٣: ٣٦٧)، (٨: ٥١٦)، (٩: ٢٨٤)، (١٠: ١٥٧).

(٤) المصدر السابق (٣: ٧٩)، (١٠: ٢٧٩).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٢١٨).

(٦) المصدر السابق (٣: ١٢٢).

(٧) المصدر السابق (٣: ١٢٢).

(٨) المصدر السابق (٥: ٢٦١)، (٨: ٢٩٠، ٥١٢).

(٩) المصدر السابق (٣: ٥٣).

(١٠) المصدر السابق (٣: ١٥٣، ٢٦٧)، (٥: ٤١٩).

(١١) المصدر السابق (٣: ٣٦٧، ٣٦٨).

سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون، إنما يكونون عدداً ومدداً)[١]، ونقل عنه غير هذا[٢].

٢ـ الحسن البصري: نقل عنه مثلاً عند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩] بقوله: (قال الحسن البصري رحمه الله في حق العالين في الأرض: أما والله إن للمعصية في قلوبهم لذلاً وإن طفطف بهم اللحم فقد انقسم الخوف بينهم نصفين، وشتان ما بين الحزبين، فخوفهم يزيدهم الله به أجراً ويجعله لهم ذخراً، وخوف أهل الباطل يزيدهم به وزراً ويجعله لدينه أزراً، فهذه حقيقة الحال في وصف أهل الحق والمحال)[٣].

٣ـ سفيان الثوري: نقل عنه مثلاً تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ ..﴾ الآية [يونس: ٩٨] حيث قال: (قال سفيان الثوري: «فلولا كانت قرية آمنت» قال: فلم تكن قرية آمنت)[٤].

---

(١) نظم الدرر (٥: ٥٧).

(٢) المصدر السابق (١: ٣٨٧)، (٣: ٣٦٨)، (٨: ٣٦٧)، (١٠: ٢٧٩).

وبجاهد: هو ابن جبر المكي أبو الحاج المخزومي المقري مولى السائب بن أبي السائب، روى عن علي وسعد بن أبي وقاص والعبادلة الأربعة وغيرهم، توفي سنة (١٠٤)هـ. تهذيب التهذيب: العسقلاني (١٠: ٤٢)، التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ١٠٤).

(٣) نظم الدرر: (٨: ٢٦٧).

والحسن البصري هو الحسن بن يسار أبو سعيد مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة، روى عن أبي ابن كعب وسعد بن عبادة وعمر بن الخطاب ولم يدركهم، وأدرك خلقاً كثيراً من الصحابة والتابعين توفي سنة (١١٠)هـ. ينظر تهذيب التهذيب (٢: ٢٦٣-٢٦٦).

(٤) نظم الدرر (٩: ٢٠٨-٢٠٩).

وسفيان الثوري هو ابن مسروق الفقيه الحافظ الحجة العابد أبو عبد الله، توفي سنة (١٦١)هـ. طبقات المفسرين: الداودي (١: ١٨٦) فما بعد.

ونقل أيضاً عن غير هؤلاء: مثل سعيد بن جبير[١] وسعيد بن المسيب[٢] وجعفر الصادق[٣] وعطاء[٤] وقتادة[٥] وعكرمة[٦] وطاوس[٧] ومحمد بن الحنفية[٨] والضحاك[٩]

---

(١) نظم الدرر (٣: ٣٦٧)، (٥: ٣٦٧)، (١٠: ١٧٨). وهو السدي أبو محمد، ويقال أبو عبد الله الكوفي روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم، كان فقيهاً عابداً ورعاً. قتله الحجاج سنة (٩٥)هـ. تهذيب التهذيب (٤: ١١-١٤).

(٢) نظم الدرر (٢: ٢٢٠). وسعيد بن المسيب روى عن أبي بكر مرسلاً وعن عمر وعثمان وعلي وسعد وغيرهم، فقيه ثقة دين ورع من سادات التابعين توفي سنة (١٠٠)هـ. تهذيب التهذيب (٤: ٨٤-٨٨).

(٣) نظم الدرر (٥: ١٦٠)، (٨: ١٠٣). وجعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين أخذ عنه أبو حنيفة ومالك توفي سنة (١٤٨)هـ. معجم المؤلفين: كحالة (٣: ١٤٥).

(٤) نظم الدرر (٣: ٣٦٧). وعطاء هو ابن أبي رباح، ثقة ثبت في الرواية عن ابن عباس، كان قتادة يقول: أعلم التابعين أربعة، كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك. ينظر: مناهل العرفان: الزرقاني (٢: ٤٨٨)، والتفسير والمفسرون: الذهبي (١: ١١٣).

(٥) نظم الدرر (٣: ٣٦٧)، (٩: ٢٨٧)، (١٠: ١٥٧). وهو أبو الخطاب بن دعامة السدوسي، فقيه حافظ ثقة مأمون حجة في الحديث توفي سنة (١١٧)هـ. طبقات ابن سعد (٧: ١-٣).

(٦) نظم الدرر (١٠: ١٣٣). وهو أبو عبد الله البربري المدني مولى ابن عباس روى عن مولاه وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة تابعي موثوق بعدالته ودينه عالم بالفقه والقرآن توفي سنة (١٠٤)هـ. التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ١٠٧-١١٢).

(٧) نظم الدرر (٣: ٣٦٧). وطاوس هو أبو عبد الرحمن بن كيسان اليماني روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم، عرف بالورع والأمانة، وكان من سادات التابعين. تهذيب الكمال: المزي (١٣: ٣٥٧)، تهذيب التهذيب (٥: ٨). التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ١١٢-١١٣)، مناهل العرفان (١: ٤٨٨).

(٨) نظم الدرر (٤: ٤٦٨)، (٥: ٤٩٩).

(٩) نظم الدرر (٩: ٣٨٢)، (١٠: ١٥٧). الضحاك وهو ابن مزاحم الهلالي البلخي، تابعي جليل ومفسر مشهور، روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة وجماعة من التابعين، توفي سنة (١٠٢)هـ: وقيل غيرها. ميزان الاعتدال: الذهبي (١: ٤٧١)، تهذيب التهذيب (٤٥٣)، طبقات المفسرين: الداودي (١: ٢١٦)، معجم المفسرين: عادل نويهض (١: ٢٣٧).

وابن جريح[١]. والسدي[٢] والشعبـي [٣]ومحمد بن كعب القرظي[٤] ومقاتل[٥]. وابن إسحاق[٦] ووهب بن منبه[٧].

* * *

---

(١) نظم الدرر (٨: ٣٦٧، ٣٨٠)، (١٠: ٢٩). وابن جريج وهو عبد الملك بن عبد العزيز «أبو الوليد وأبو خالد» فقيه الحرم المكي، كان من أوعية العلم، توفي سنة (١٥٠)هـ. طبقات المفسرين: الداودي (١: ٣٥٢)، معجم المفسرين: نويهض (١: ٣٣٣).

(٢) نظم الدرر: (٢: ٧٣)، (١٠: ١٥٧). والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن، مفسر كبير محدث ومؤلف في المغازي، روى عن أنس بن مالك وابن عباس وغيرهما، توفي سنة (١٢٩)هـ. معجم الأدباء: ياقوت الحموي (٧: ١٣)، تهذيب الكمال: المزي (٣: ١٣٢)، معجم المفسرين: نويهض (١: ٩٠).

(٣) نظم الدرر (٣: ٣٦٧)، (٥: ١٩٤، ٥٢٩)، (٨: ٣١٩). والشعبي هو أبو عامر بن شراحيل الحميري الكوفي، تابعي جليل، روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم، وروى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس وأبي موسى، وأدرك خمسمئة من الصحابة وسمع من ثمانية وأربعين منهم، كان فقيهاً ثقة شاعراً، توفي سنة (١٠٩هـ). التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ١٢١-١٢٤).

(٤) نظم الدرر (٥: ١٥٩). ومحمد بن كعب هو أبو حمزة المدني من حلفاء الأوس، روى عن علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم، ثقة عدل ورع عالم بالقرآن، تابعي توفي سنة (١١٨)هـ. التفسير والمفسرون (١: ١١٦).

(٥) نظم الدرر (٩: ٣٨٢). ومقاتل هو ابن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني صاحب التفسير، روى عن نافع مولى ابن عمر وأبي إسحاق السبيعي وأبي الزبير والزهري والضحاك وغيرهم، كان له علم بالقرآن، وأثنى عليه جماعة وتكلم فيه آخرون، توفي سنة (١٥٠)هـ. تهذيب التهذيب (١٠: ٢٧٩-٢٨٥).

(٦) نظم الدرر (١٠: ٢١٦). وهو محمد بن إسحاق المطلبي المزي، أبو بكر وأبو عبد الله، محدث حافظ أخباري، توفي سنة (١٥١)هـ. ميزان الاعتدال: الذهبي (٣: ٢١-٢٤)، معجم الأدباء: الحموي (١٨: ٥-٨)، معجم المؤلفين: كحالة (٩: ٤٤).

(٧) نظم الدرر (٥: ٤٦٧). ووهب هذا: هو أبو عبد الله، يماني صنعاني من خيار التابعين، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وابن عباس وغيرهم: ثقة صادق كثير النقل عن كتب الإسرائيليات، توفي سنة (١١٠)هـ التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ١٩٥-١٩٧).

المبحث الثاني
مصادره من التفسير

انطوى تفسير البقاعي على ذكر جملة من التفاسير، والمذكور هنا أهمها:

١ـ تفسير الإمام الطبري[١].

نقل عنه تقسيم ابن عباس رضي الله عنهما لتفسير القرآن فقال: «وروى الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مقدمة تفسيره، والإمام أبو بكر بن الأنباري[٢] في مقدمة كتابه الوقف والابتداء أنه قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علماً به فهو كاذب»[٣].

ونقل عنه معنى لفظة «التبوّء» عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] حيث قال: (وأطلق سبحانه وتعالى ـ كما عن الطبري وغيره ـ التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة)[٤] ونقل عنه غير هذا[٥].

---

(١) وهو محمد بن جرير صاحب التفسير المشهور «جامع البيان»، مفسر مقرئ محدث مؤرخ فقيه أصولي مجتهد، توفي سنة (٣١٠)هـ. معجم المؤلفين (٩: ١٤٧).

(٢) وهو محمد بن القاسم النحوي اللغوي الأديب، صدوق زاهد متواضع ثقة، توفي سنة (٣٢٧)هـ معجم الأدباء: الحموي (١٨: ٣٠٦).

(٣) نظم الدرر (٥: ٤٤). وينظر: تفسير الطبري.

(٤) نظم الدرر: (٥: ٤٤). وينظر تفسير الطبري.

(٥) نظم الدرر (١٠: ٤٢٥)، (٢٢: ٢٥).

٢ـ تفسير الإمام الثعالبي[(١)].

نقل عنه أمر محاجحة ابن صوريا رسول الله ﷺ واتجاه الحجة على ابن صوريا[(٢)] وقوله: «الأدبار موضع الفرث لا موضع الحرث»[(٣)]، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

٣ـ تفسير الكشاف للزمخشري[(٤)].

نقل عنه البقاعي أموراً كثيرة: فمن ذلك نقله عنه أموراً نحوية، وذلك مثل قوله عند قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] (قال الكشاف: والأصل النصب أي: حُط عنا ذنوبنا، إلا أنه رفع ليعطي معنى الثبات)[(٥)].

ومع ذلك أيضاً: نقل عنه تفسيره للفظة في القرآن حيث يقول عند قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] مفسراً معنى الإشراب: (وقال الكشاف: خلط لون بلون)[(٦)].

وكذلك نقل عنه معنى الباء في قوله تعالى ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، حيث

---

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعالبي النيسابوري المقرئ المفسر، كان حافظاً واعظاً رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة، توفي سنة (٤٢٧)هـ شذرات الذهب (٣: ٢٣٠، ٢٣١).

(٢) نظم الدرر (٢: ٣٧).

(٣) المصدر السابق (٣: ٢٨١).

(٤) وهو محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم، نحوي لغوي متكلم معتزلي مفسر، يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً، توفي سنة (٤٦٧)هـ طبقات المفسرين: السيوطي (١٢٠)، طبقات المفسرين: الداودي (٢: ٣١٤،٣١٦).

(٥) نظم الدرر (١: ٣٩٤)، الكشاف (١: ٢٨٣).

(٦) نظم الدرر (٢: ٥٤)، الكشاف (١: ٢٩٧).

ينقل عن «الكشاف» بالمعنى مشيراً لذلك بقوله: (وهو معنى قول الكشاف: المراد إلصاق المسح بالرأس، وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح)[١].

وقد ينقل عنه، ويؤيد غير قوله، وذلك مثلاً عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩] حيث يقول: (فالظاهر أنَّ جعل عوجاً حالاً كما قال أبو البقاء أصوب من جعله مفعولاً كما قال الكشاف..) إلى أن قال: (لكن قوله ﷺ: «ابغني أحجاراً استنفض بهن» يؤيد قول صاحب الكشاف)[٢] ونقل عنه غير هذا[٣].

٤ـ تفسير الإمام الواحدي[٤].

نقل عنه خبر محاجة عبد الله بن صوريا لرسول الله ﷺ حيث قال: (قال الثعلبي والواحدي: روى ابن عباس رضي الله عنهما «أنَّ عبد الله بن صوريا حاجّ رسول الله ﷺ عن أشياء، فلما اتجهت الحجة عليه قال: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال جبريل، ولم يبعث الله نبياً إلا وهو وليه»، وفي رواية: «وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل، فقال: ذلك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك»)[٥].

---

(١) نظم الدرر (٦: ٣٢)، الكشاف (١: ٥٩٧).

(٢) نظم الدرر (٥: ١٢)، وينظر هامش الكشاف حيث يقول: قال محمود: أي اعوجاجاً: الكشاف (١: ٤٤٩).

(٣) نظم الدرر (٣: ٣٦٧)، (٥: ١٢)، (٦: ٣٢، ١٢٤)، (٨: ٣٥٨).

(٤) والواحدي هو علي بن أحمد النيسابوري، كان واحد عصره في التفسير، صاحب التفاسير الثلاثة: البسيط والوسيط والوجيز، توفي سنة (٤٦٨)هـ طبقات المفسرين: الداودي (١: ٣٨٧).
أبو السعود ومنهجه في التفسير: عبد الستار فاضل (٩٣) وهي رسالة ماجستير تقدم بها إلى مجلس كلية الشريعة في جامعة بغداد عام ١٤٠٩هـ بإشراف الدكتور حسيب حسن حسب الله.

(٥) نظم الدرر (٢: ٣٧).

ونقل عنه في أسباب النزول مثل: خبر ابن عمر رضي الله عنه في عداوة اليهود لجبريل[١]، واستدراكه على الأصفهاني في قوله «وهذا النهي مختص بهذا اللفظ» وذلك عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤] حيث قال: (وقال الواحدي: لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن)[٢]، ونقل عنه غير هذا المذكور[٣].

٥ـ تفسير البغوي[٤].

نقل عنه في إعجاز القرآن الكريم رأيه في أن التحدي بسورة واحدة يكون بالنظر إلى النظم والمعنى، وأما بالعشر فبالنظر إلى البلاغة في النظم فقط، وقال: (نقله البغوي في تفسيره سورة هود عن المبرد)[٥].

ونقل عنه عند قوله تعالى ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] حيث قال: (إن الأمر بالسجود له قبل إتمام خلقه، وإنَّ السجود كان عقب النفخ، وبه صرح البغوي في تفسيره، وأجاب عن قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ ﴾ [الأعراف: ١١] بأجوبة منها...)[٦].

---

(١) نظم الدرر (٢: ٤١، ٤٢).

(٢) المصدر السابق (٢: ٨٧).

(٣) المصدر السابق (٨: ٢٠٦).

(٤) وهو أبو محمد الحسين بن مسعود فقيه شافعي محدث مفسر، يلقب بـ«محيي السنة» وركن الدين كان تقياً ورعاً زاهداً، إذا ألقى الدرس لا يلقيه إلا على طهارة توفي سنة (٥١٠)هـ التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ٢٣٤، ٢٣٥).

(٥) نظم الدرر (١: ١٨١)، وينظر تفسير البغوي.

(٦) نظم الدرر (١: ٣٧٩-٣٨٠)، وينظر تفسير البغوي.

ونقل عنه حديث صفوان بن عسال في أن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب[١]، وكلامه فيما كان يفعله بعض بني النضير ببني قريظة من قتلهم النفس بالنفس[٢]، وأمور أخرى كثيرة[٣].

٦ـ تفسير الإمام الرازي[٤].

نقل عنه الكثير الكثير في عامة «تفسيره»، ومن ذلك بعد أن تكلم في مسألة بعثة رسول الله ﷺ إلى الملائكة ونقله تصريح الحليمي بأنه لم يرسل إليهم قال: (وفي تفسير الإمام الرازي والبرهان النسفي حكاية الإجماع في تفسير الآية الثانية ـ أي: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] أنه لم يكن رسولاً إليهم»[٥].

وقد ينقل عنه تفسيراً لكلمة، كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ [الشمس: ١٤] حيث قال: (قال الرازي: والدمدمة تحريك البناء حتى ينقلب)[٦].

وقد ينقل عنه بالمعنى فيقول: أفاده الرازي[٧] أو يقول: قال معنى ذلك الإمام الرازي[٨].

وقد يقارن بين النسخ المنقولة عن الإمام وهذا من تحقيقه، ومن ذلك مثلاً حينما سرد

---

(١) نظم الدرر (٢: ١٢٥).

(٢) المصدر السابق (٣: ٢٤).

(٣) المصدر السابق (٤: ٣٨٠)، (٥: ٥٧، ١٢٤)، (٦: ١٧، ١١٥).

(٤) هو أبو عبد الله وأبو المعالي محمد بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي شيخ الإسلام المتوفى سنة ٦٠٦هـ تفسير الرازي (٣-١١).

(٥) نظم الدرر (٧: ٦٩-٧٠). تفسير الرازي (٢٤: ٤٥).

(٦) نظم الدرر (٢٢: ٨٢).

(٧) المصدر السابق (٥: ١٧٩).

(٨) المصدر السابق (٥: ٢٦٤).

مسألة إرسال الرسول ﷺ إلى الملائكة والخلاف فيها بين العلماء قال: (فإني راجعت تفسير الإمام للآية المذكورة فلم أجد فيه نقل الإجماع، وإنما قال: هذه الآية تدل على أحكام، الأول: أن العالم كل ما سوى الله، فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة، لكن نبئنا أنه عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة، فوجب أن ينفى كونه رسولاً إلى الجن والإنس جميعاً، وبطل قول من قال: إنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض. الثاني: أنّ لفظ ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] يتناول جميع المخلوقات، فتدل الآية على أنه رسول إلى المكلفين إلى يوم القيامة، فوجب أن يكون خاتم الأنبياء والرسل، هذا لفظه في أكثر النسخ، وفي بعضها: «لكن أجمعنا» بدل «نبئنا»، وهي غير صريحة في إجماع الأمة كما ترى ولم يعين الموضع الذي أحال عليه النسخ الأخرى، فليطلب من مظانه ويتأمل)(١).

٧ـ تفسير الإمام البيضاوي(٢).

نقل عنه البقاعي الشيء الكثير، وكيف لا يكون ذلك منه وهو بنفسه قد صرح بأنه وضع تفسيره كالرديف لتفسير البيضاوي(٣).

ولهذا قد ينقل عنه مصرحاً بما ينقله تارةً، وقد ينقل عنه ولم يشر لذلك تارةً أخرى، بل إنه في كثير من الأحيان ينقل عنه ثم يعرج على الاعتراض عليه فمن ذلك مثلاً: نقله عنه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] حيث قال: (وقال البيضاوي تبعاً للزمخشري، وهو ـ أي التخبط

---

(١) نظم الدرر (٧: ٧١-٧٢). تفسير الرازي (٢٤: ٤٥).

(٢) هو عبد الله بن عمر الشيرازي أبو سعيد وأبو الخير، ناصر الدين، قاض مفسر عالم بالفقه والأصلين والعربية والمنطق والحديث من أعيان الشافعيين توفي سنة (٦٨٥)هـ، طبقات الشافعية: الإسنوي (١: ١٣٦)، طبقات الشافعية: السبكي (٥: ٥٩)، طبقات المفسرين: الداودي (١: ٢٤٢)، معجم المفسرين: نويهض (١: ٣١٨).

(٣) نظم الدرر (١: ٤).

والمس ـ: وارد على ما يزعمون ـ أي: العرب ـ أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع، وأن الجنيَّ يمسه فيختلط عقله)[١].

وقد ينقل عنه بيان معنى كلمة أو آية، وذلك كتفسيره مثلاً كلمة «العضل» بقوله: (قال البيضاوي: وأصل العضْل: التضييق، يقال: عضلت الدجاجة بيضها)[٢].

وتفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] بما نصه: (قال البيضاوي من أول سورة الكهف: إنهم كانوا يطلقون الأب والابن في تلك الأديان بمعنى المؤثر والأثر، وقال في البقرة في تفسير ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]: إنهم كانوا يطلقون الأب على الله باعتبار أنه السبب الأصلي، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ولذلك كفر قائله ومنع منه منعاً مطلقاً. انتهى)[٣].

هذا، وكثيراً ما ينقل عن البيضاوي من غير إشارة إليه، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨] يقول البقاعي: (فكرره هنا للتأكيد)[٤] مع قول البيضاوي: «كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود»[٥].

وعند قوله تعالى ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول البقاعي قال: (أي: الله مثبتاً مدخول النفي كما هو شأن همزة التقرير)[٦] مع قول البيضاوي «والهمزة للإنكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات والتقرير»[٧]، وهو مأخوذ منه بالمعنى.

---

(١) نظم الدرر (٤: ١١١)، تفسير البيضاوي (١: ١٤٢)، الكشاف: الزمخشري (١: ٣٩٩).

(٢) نظم الدرر (٥: ٢٢٤)، تفسير البيضاوي (١: ٢٠٦).

(٣) نظم الدرر (٦: ٦٧).

(٤) المصدر السابق (١: ٢٩٦).

(٥) تفسير البيضاوي (١: ٥٥).

(٦) نظم الدرر (١: ٢٥٣).

(٧) تفسير البيضاوي (١: ٥٢).

وكذلك فإنّ البقاعي فسر كلمة «رغداً» فقال: (أي واسعاً رافهاً طيباً هنيئاً)[1] مع قول البيضاوي «واسعاً رافهاً»[2].

ويعترض البقاعي على البيضاوي في بعض الأحيان بعد نقله عنه، فمثلاً يقول: (وفسر البيضاوي أن الأمر بالسجود كان بعد الإنباء بالأسماء ولم يذكر دليلاً يصرف عن هذا الظاهر، على أن المشي عليه أولى من جهة المعنى)[3].

ويقول أيضاً: (ومما يجب التنبيه له، أن البيضاوي قال تبعاً للزمخشري: إن النبيّ ﷺ خرج إلى بدر الموعد في سبعين راكباً، وفي تفسير البغوي أنّ ذلك في حمراء الأسد، فإن حمل على أن الركبان من الجيش كان ذلك عددهم، والباقين كانوا مشاة فلعله، وإلا فليس كذلك)[4] هذا مع أن البيضاوي لم يذكر كون ذلك في سبعين راكباً.

٨ ـ تفسيرا الحرالي[5]:

وهما: «مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل».

و: «عروة مفتاح الباب المقفل».

انتفع البقاعي بتفسيري الحرالي هذين انتفاعاً كبيراً، ونقل عنهما في «تفسيره» شيئاً كثيراً، وخاصة «مفتاح الباب المقفل».

يقول البقاعي: (وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوّاً إليه في مواضع تليق به، ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءاً من تفسيره فيه من أوله إلى:

---

(١) نظم الدرر (١: ٢٨٤).

(٢) تفسير البيضاوي (١: ٥٤).

(٣) نظم الدرر (١: ٢٨٠)، تفسير البيضاوي (١: ٥٢).

(٤) نظم الدرر (٥: ١٢٤)، البيضاوي (١: ١٩٠)، الكشاف (١: ٤٨٠).

(٥) وهو علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الأندلسي المالكين مشارك في تفسير القرآن والأصول والفرائض والفلك والمنطق والطبيعيات والإلهيات، توفي سنة (٦٣٧)هـ معجم المؤلفين: كحالة (٧: ١٣).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فرأيته عديم النظير)[١]، هذا وقد كان مجموع ما نقل البقاعي عنه من العبارات في تفسير الآيات والكلمات المصدرة بقوله: «قال الحرالي»، أكثر من ثمانين موضعاً بدءاً بسورة الفاتحة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣١].

وأحياناً ينقل عنه صفحات كثيرة تتجاوز الست صفحات لمرة واحدة[٢]، وأحياناً أقل من ذلك[٣]، وأحياناً أكثر[٤].

وليس «المفتاح» هو الكتاب الذي اعتمده فحسب، بل إنه قد اعتمد أيضاً «العروة» في المحال المناسبة له، وكذلك كتابة «التوشية والتوفية» في الأماكن المتعلقة بها والمناسبة لها[٥].

فمن جملة ما نقله عنه من «المفتاح» التعريفات اللفظية الدقيقة، حيث يعرف مثلاً لفظة «اليوم» عند قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فيقول: (واليوم مقدار ما يتم فيه أمر ظاهر)[٦].

ويعرف أيضاً مثلاً: «الآخرة» بقوله: (الآخرة: معاد الأمر بعد تمامه على أوليته)[٧]، وهكذا في مواضع كثيرة[٨].

وكذلك نقل عنه احتواء القرآن الكريم على الكتب، وجمعه وقراءته وبيانه وإنزاله[٩]، وأن هذا القرآن أنزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وأن الكتب تنزل من باب

---

(١) نظم الدرر (١: ١٠).

(٢) المصدر السابق (١: ٢٢٩-٢٣٥).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٤٩-٢٥١).

(٤) المصدر السابق (١: ٣٢١-٣٣٢).

(٥) المصدر السابق (١: ٩-١٠).

(٦) المصدر السابق (١: ٢٩).

(٧) المصدر السابق (١: ٨٧).

(٨) المصدر السابق (١: ٣١١، ٣٧٤)، (٢: ٩، ١١).

(٩) المصدر السابق (١: ٤٧-٥٣).

واحد[١]، وأنَّ القرآن عالٍ ببيانه على بيان الإنسان[٢]. ونقل عن «العروة» و«المفتاح» كلام الحرالي عن حرف الحمد[٣]، وحرف المحكم[٤]، وحرف الحلال[٥]، وحرف الأمر[٦]، وحرف المتشابه[٧].

٩ـ تفسير أبي حيان[٨]:

نقل عنه بعض الجوانب اللغوية كدلالة الفعل المضارع بقوله: (المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار)[٩]. كما نقل عنه جوانب بلاغية، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ينقل قوله: (فالآية من الاحتباك: انتفاء الخوف والحزن من الأول دال على وجودهما في الثاني، ووجود النار في الثاني دال على انتفائها، ووجود الجنة في الأول)[١٠]. ونقل عنه أيضاً معاني كلمات مفردات من القرآن الكريم، فهو يفسر مثلاً كلمة «نبتهل» بكلمة «نتضرع»[١١]، والفاحشة بأنها الزنا بإجماع المفسرين[١٢].

---

(١) نظم الدرر (١: ٦٣-٦٧).

(٢) المصدر السابق (١: ١٨١-١٨٢).

(٣) المصدر السابق (١: ١٣١-١٣٥).

(٤) المصدر السابق (١: ١٥٤-١٥٩).

(٥) المصدر السابق (٢: ٣٢٠-٣٢٩).

(٦) المصدر السابق (٣: ١١).

(٧) المصدر السابق (٤: ٢٣٤-٢٤٢)، (٨: ٥١٠).

(٨) وهو أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة (٧٤٥)هـ التفسير والمفسرون: الذهبي (١: ٣١٧).

(٩) نظم الدرر (١: ٨٣)، النهر الماد: أبو حيان (٢: ٤٩٥).

(١٠) نظم الدرر (١: ٣٠٢).

(١١) المصدر السابق (٤: ٤٤٣)، النهر الماد (١: ٣٣٤).

(١٢) نظم الدرر (٥: ٢١٦).

وينقل عنه ما ذكره أهل الكتاب في «الإنجيل»، فمثلاً يقول: (قال أبو حيان في «النهر»: هذا الذي ذكره الله تعالى هو مذكور في «إنجيلهم» يقرأونه ولا يعلمون به وهو قول المسيح: «يا معشر بني المعمودية»، وفي رواية: «يا معشر الشعوب، قوموا بنا إلى أبي وأبيكم، وإلى إلهي وإلهكم وإلى مخلّصي ومخلصكم»)(١).

ونقل عنه كثيراً غير هذا المذكور(٢).

وقد ينقل عنه بالمعنى ويشير إليه كقوله: (نبه عليه أبو حيان)(٣) و(أفاده أبو حيان)(٤)، بل قد ينقل عنه ولكن من غير إشارة إليه، وذلك كنقله لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١](٥) وتفسيره لمعنى لفظة ﴿جَهۡرَةً﴾ من قوله تعالى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [النساء: ١٥٣](٦) وتفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨](٧)، ونقل عنه غير هذا المذكور(٨).

هذا، وقد اعتمد البقاعي أيضاً على تفاسير أخرى متعددة نذكرها اختصاراً مع الدلالة على موطن الاعتماد، فمن هذه التفاسير:

«تفسير شمس الدين محمود الأصبهاني»(٩)، وفي بعض النسخ الأصفهاني(١٠)،

---

(١) نظم الدرر (٦: ٢٤٨).

(٢) المصدر السابق (٤: ٤٨١)، (٦: ٤١، ٣٢٠، ٣٥٩)، (٧: ٦٥).

(٣) المصدر السابق (٧: ٣١٧).

(٤) المصدر السابق (٨: ٢٧٠).

(٥) المصدر السابق (١: ٣١٦، ٣١٧).

(٦) المصدر السابق (١: ٣٧٩).

(٧) المصدر السابق (١: ٣٢٠).

(٨) المصدر السابق (٧: ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٨٤، ٤١٤)، (٨: ٢٣).

(٩) المصدر السابق (١: ٣٠٤، ٣١٤)، (٢: ٧٦، ٨٦).

(١٠) المصدر السابق: هامش (٢: ١٥٨)، (٣: ١٠٠)، (٤: ٩٥).

و«تفسير المهدوي»[١]، و«تفسير ابن الزبير» المسمى بـ«البرهان في ترتيب سور القرآن»[٢]، و«تفسير ابن النقيب الحنفي» الواقع في نحو ستين مجلدة يذكر فيه المناسبات[٣].

و«تفسير البرهان» للنسفي[٤]، و«تفسير الهكاري»[٥]، و«تفسير البستي القاضي»[٦]، و«تفسير العمراني»[٧].



(١) نظم الدرر (٤: ١١١)، (٥: ٣٤٠)، (٦: ٢٩٣).

(٢) المصدر السابق (١: ٦)، (٢: ٣٥٦)، (٤: ١٧٣، ٢١٣)، (٥: ١٩١)، (٦: ٣٠٩)، (٧: ١٠).

(٣) المصدر السابق (١: ١٠).

(٤) المصدر السابق (٧: ٦٩).

(٥) المصدر السابق (٧: ١٧٣).

(٦) المصدر السابق (٨: ٣٦٧، ٤٤٢)، (٩: ٣١، ٢٠٨).

(٧) المصدر السابق (٥: ١٩٠). والأصبهاني: هو محمود بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، توفي سنة (٧٤٩) بالطاعون، طبقات المفسرين: الداودي (٢: ٣١٣). والمهدوي: هو أحمد بن عمار بن أبي العباس المغربي توفي سنة (٤٤٠)هـ طبقات المفسرين: الداودي (١: ٥٦)، معجم المؤلفين: كحالة (٢: ٢٧). وابن الزبير: هو أحمد بن إبراهيم الغرناطي المتوفى سنة (٧٠٨)هـ طبقات المفسرين: الداودي (١: ٢٦)، كشف الظنون (١: ٢٤١). وابن النقيب: هو محمد بن سليمان بن الحسن جمال الدين أبو عبد الله، البلخي الأصل، المقدسي الحنفي، وتفسيره يقع في مئة مجلد توفي سنة (٦٩٨)هـ. طبقات المفسرين: السيوطي (١٠٠-١٠١)، طبقات المفسرين: الداودي (٢: ١٤٤-١٤٥). والنسفي: هو محمود بن محمد الحنفي أبو الفضل برهان الدين توفي سنة (٦٨٧)هـ الفوائد البهية: اللكوني (١٩٤، ١٩٥)، معجم المؤلفين: كحالة (١١: ٢٩٧). والبستي: هو إسحاق بن إبراهيم المروزي أخذ عنه أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم، طبقات المفسرين: الداودي (١: ١٠٢)، ومعجم المفسرين: نويهض (١: ٨٥).

المبحث الثالث
مصادره من كتب علوم القرآن الكريم

وكما اعتمد البقاعي على مصادر التفسير بالمأثور والرأي، فإنه كذلك أيضاً اعتمد على كتب كثيرة مهمة من كتب علوم القرآن الكريم، ومن هذه الكتب:

١ـ «الوقف والابتداء» للإمام أبي بكر الأنباري[١].

نقل عنه تقسيم ابن عباس لتفسير القرآن الكريم إلى أنواع فقال: (قال رضي الله عنه: تفسير القرآن الكريم على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعلمه العرب، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادعى علماً به فهو كاذب)[٢]. ونقل عنه أيضاً غير هذا[٣].

٢ـ «أسباب النزول» للواحدي[٤].

نقل عنه بقوله: (روى الواحدي في «أسباب النزول» بسنده عن أبي رافع رضي الله عنه، قال: «أمرني رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله، ما أحل لنا من هذه الأمة التي أُمرت بقتلها؟ فأنزل الله يسألونك»)[٥].

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن يسار، نحوي لغوي أديب، صدوق زاهد متواضع ثقة، توفي سنة ٣٢٧هـ معجم الأدباء (١٨: ٣٠٦-٣١٢).

(٢) نظم الدرر (١: ٣، ٤).

(٣) المصدر السابق (٨: ٣٧٣، ٣٧٦).

(٤) سلفت ترجمته في مصادر البقاعي من التفسير بالمأثور.

(٥) نظم الدرر (٦: ١٩)، وينظر أيضاً: (٦: ٢٧٢، ٢٧٥)، (٧: ١٨٥).

٣ـ «البيان في عدد آي القرآن» لأبي عمرو الداني[١].

نقل عنه روايته الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠] وذلك بقوله: (روى الحديث أبو عمرو الداني في كتاب «البيان في عدد آي القرآن» وقال فيه: قال الملك: اجعلها على رأس ثمانين ومئتين من البقرة)[٢].

٤ـ «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»، لأبي شامة[٣].

نقل عنه تخريجه لحديث: «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف.. الخ»، ثم قال: (قال العلامة أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي الشافعي في كتابه «المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»، بعد أن ساق هذا الحديث من رواية سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث عن أهل العلم لم يثبت.. إلخ) إلى أن قال: (قال أبو شامة: وهكذا رواه البيهقي في كتاب «المدخل» وقال: هذا مرسل جيد، أبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم رواه موصولاً، فقال: فإن صحّ: فمعنى قوله «سبعة أحرف» أي: سبعة أوجه، وليس المراد به اللغات التي أبيحت القراءة عليها، وهذا المراد به الأنواع التي نزل عليها القرآن، والله أعلم)[٤].

---

(١) عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمر الداني المقرئ المتوفى سنة ٤٤٤ هـ معجم الأدباء (١٢: ١٢٤-١٢٨)، وينظر: طبقات القراء (١: ٥٠٣-٥٠٥).

(٢) نظم الدرر (٤: ١٤٢، ١٤٣).

(٣) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي الشافعي، محدث حافظ مؤرخ مفسر فقيه أصولي نحوي توفي سنة ٦٦٥ هـ: معجم المؤلفين (٥: ١٢٥، ١٢٦).

(٤) نظم الدرر (١: ٥٩-٦٠).

٥ـ «سراج المريدين» لأبي بكر بن العربي[١].

نقل عنه البقاعي قوله: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة، متسق المعاني، منتظم المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلة، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه»[٢].

٦ـ «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدين الزركشي[٣].

نقل عنه كلامه في المناسبة وأنه مما قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، وأن الرازي يقول: «وأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»[٤]، ونقل عنه ما ذكره في حروف التهجي وأوائل السور[٥] وسبب الإعجاز في القرآن الكريم[٦].

٧ـ «المصاحف» لأبي بكر بن أبي داود[٧].

نقل عنه حديث نزول القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف[٨].

---

(١) وهو محمد بن عبد الله الفقيه المالكي، عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ وغير ذلك توفي سنة (٥٤٣)، ينظر: معجم المؤلفين (١٠: ٢٤٢)، مرآة الجنان: اليافعي (٣: ٢٧٩-٢٨٠).

(٢) نظم الدرر (١: ٦-٧).

(٣) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (بدر الدين أبو الحسن) فقيه أصولي محدث مشارك في بعض العلوم، توفي سنة ٧٩٤ هـ ينظر: معجم المؤلفين (٩: ١٢١، ١٢٢)، (١٠: ٢٠٥).

(٤) نظم الدرر (١: ٥، ٦)، وينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي (١: ٣٦).

(٥) نظم الدرر (١: ٧١)، البرهان: الزركشي (١: ١٦٧).

(٦) نظم الدرر (١: ١٧٧-١٨١)، البرهان: الزركشي (٢: ١٠١) فما بعد.

(٧) عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، صنف المسند والسنن والتفسير وغير ذلك، توفي سنة (٣١٦)هـ طبقات المفسري: الداودي (١: ٢٣٠-٢٣٢).

(٨) نظم الدرر (١: ٦١).

٨ـ «التبيان» للإمام النووي[١].

٩ـ وأخذ أيضاً عن غير ما ذكر من كتب القراءات.

ككتاب «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري[٢]، و«التمهيد لشرط مثال القراءة لحروفه السبعة وعلمها والعمل بها» للحرالي[٣]، «والتوشية والتوفية» له جوانب تتعلق بالقراءات[٤]، و«المنظومة الشاطبية»[٥] و«شرحها» لأبي شامة[٦]، «والمحتسب في توجيه القراءات الشواذ» لأبي الفتح عثمان بن جني[٧].

❊ ❊ ❊

---

(١) يحيى بن شرف بن مرعي بن حسن «محيي الدين، أبو زكرياء» فقيه محدث حافظ لغوي توفي سنة (٦٧٦)هـ ينظر: طبقات الشافعية: السبكي (٥: ١٦٥-١٦٨)، طبقات الشافعية: الإسنوي (٢: ٢٦٦)، طبقات الشافعية: الحسيني (٨٦-٨٧).

(٢) نظم الدرر (١: ٦٠، ٦١).

(٣) المصدر السابق (١: ٣٠٤-٣٠٧).

(٤) المصدر السابق (١: ١٠).

(٥) نظم الدرر (٨: ٣٥٨)، متن الشاطبية، الشاطبي (٨) ضمن مجموعة من القراءات.

(٦) المصدر السابق (٢: ١٣١).

(٧) المصدر السابق (٢: ٢٧٠)، (٧: ٢٦١، ٤١٦).

فأما ابن الجزري فقد سلفت ترجمته في مبحث الكلام عن شيوخ البقاعي فليراجع.

وأما الحرالي فقد مضت ترجمته في الكلام على كتب التفسير بالرأي فلتراجع.

وأما أبو شامة فقد ذكر مجمل ترجمته في الكلام على كتب علوم القرآن في هذا المبحث قبل قليل فلتراجع.

وأما ابن جني: فهو عثمان بن جني الموصلي «أبو الفتح» أديب نحوي صرفي لغوي توفي سنة (٣٩٢)هـ. ينظر: معجم المؤلفين (٦: ٢٥١)، الفهرست: ابن النديم (١٢٨)، المنتظم: ابن الجوزي (٧: ٢٢٠-٢٢١).

وأما الشاطبي: فهو أحمد بن محمد بن خلف بن محرز الأنصاري الأندلسي الشاطبي المالكي مقرئ، توفي سنة (٥١٦)هـ معجم المؤلفين (٢: ٩٩).

المبحث الرابع
مصادره من كتب الأصول

وقد اعتمد البقاعي أيضاً في جملة ما اعتمده من كتب ومصادر عدداً كثيراً من كتب الأصول، وهذا قسم منها:

١ـ «الرسالة» للإمام الشافعي.

نقل عنها عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] قوله: «وهذا كله من أشعارهم يبين أن شطر الشيء قصد عين الشيء إذا كان معيناً فبالصواب، وإن كان مغيباً فبالاجتهاد»[١]. ونقل عنه أيضاً منها في أماكن أخرى غير هذا[٢].

٢ـ «اختلاف الحديث» للشافعي.

نقل عنه حيث قال: (قال الشافعي في باب المجمل والمفسر من كتاب اختلاف الحديث...)[٣].

٣ـ «شرح جمع الجوامع» للعلامة المحلي[٤].

ونقل عنه قوله: «ونسب الجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك إلى

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢١٩).

(٢) المصدر السابق (٣: ٣٧٥-٣٧٦)، (٥: ٢٣٨)، (٧: ٧٣)، (١٠: ٣٦١).

(٣) المصدر السابق (٨: ٤٣٦).

(٤) وهو محمد بن أحمد بن محمد (جلال الدين) المتوفى سنة (٨٦٤)هـ البدر الطالع (٢: ١١٥-١١٦)، المختار من حسن المحاضرة: محمد محمود صبح (٦١).

البيهقي في الشعب فإنه قال: وصرح الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يرسل إلى الملائكة...»[١].

٤ـ «التلويح على التوضيح» لسعد الدين التفتازاني[٢].

نقل عنه البقاعي كلاماً في أن الإعجاز يحصل بسورة أو مقدارها[٣]، ونقل عن «القنية» و«شرحها»[٤]، و«أصول الفقه» للحرالي[٥]، و«شرح جمع الجوامع» للزركشي[٦]، و«شرح جمع الجوامع» لولي الدين أبي زرعة العراقي[٧].

❊ ❊ ❊

---

(١) نظم الدرر (٧: ٦٩)، وينظر: (١: ١٦٧-١٦٨).

(٢) وهو مسعود بن محمد بن عمر بن عبد الله، إمام عالم بالنحو والتصريف والبلاغة والأصلين والمنطق وغير ذلك، توفي سنة (٧٩١)هـ طبقات المفسرين: الداودي (٢: ٣١٩)، معجم المؤلفين: كحالة (١٢: ٢٢٨).

(٣) نظم الدرر (١: ١٦٧-١٦٨)، التلويح: سعد الدين التفتازاني (١: ١٥٨).

ونص قول صاحب التلويح: «إذ المعجز هو السورة أو مقدارها أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾».

(٤) نظم الدرر (١: ١٦٧-١٦٨)، (٦: ٢٨٩).

(٥) المصدر السابق (١: ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٢).

(٦) المصدر السابق (٦: ٢٨٢).

(٧) المصدر السابق (٧: ٧١).

المبحث الخامس
مصادره من كتب التوحيد

وقد نقل البقاعي أيضاً عن كتب التوحيد، واعتمد في نقله هذا على مصادر مهمة، فمن ذلك:

١ـ «شرح العقائد النسفية» لسعد الدين التفتازاني[١].

يقول البقاعي: (قال الإمام سعد الدين التفتازاني في «شرح العقائد»: الحق: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل، وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما، بأنَّ المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقة الواقع، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه. انتهى)[٢].

٢ـ «شرح المقاصد» لسعد الدين التفتازاني.

نقل عنه ما يتعلق بأمور الملائكة والجن[٣]. ونقل عنه غير هذه الكتب، مثل: كتاب: «الأسماء والصفات» للبيهقي[٤]، و«الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» لحجة

(١) مرت ترجمة التفتازاني قبل قليل.

(٢) نظم الدرر (٣: ٤٤٥)، شرح العقائد النسفية: التفتازاني: أوائل الكتاب عند قوله: قال أهل الحق (٥)، رمضان أفندي على شرح العقائد (٣٥-٣٦).

(٣) نظم الدرر (٤: ١١١)، (٧: ٧٠).

(٤) المصدر السابق (٢: ٢٩٩-٣٠٠)، والبيهقي: هو الإمام أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي أبو بكر، توفي سنة (٤٥٨)هـ كشف الظنون: حاجي خليفة (٢: ١٠٠٧).

الإسلام الغزالي[١]، و«المنهاج في شعب الإيمان» للإمام الحليمي[٢]، و«شرح الأسماء الحسنى» للحرالي[٣]، وكتابي «الأربعين» و«أسرار التنزيل» كلاهما لفخر الدين الرازي[٤].

* * *

(١) نظم الدرر (٤: ١٢٣).

والإمام الغزالي: هو محمد بن محمد (أبو حامد) حجة الإسلام الطوسي، فقيه أصولي صوفي توفي سنة (٥٠٥)هـ طبقات الشافعية: السبكي (٤: ١٠١-١٨٢)، طبقات الشافعية: الحسيني (٦٩-٧١). المنتظم: ابن الجوزي (٩: ١٦٩-١٧٠)، نظم الدرر (٤: ١٢٣).

(٢) وهو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن حليم شيخ الشافعيين في ما وراء النهر توفي سنة (٤٠٣)هـ طبقات الفقهاء: الإسنوي (١: ١٩٤)، نظم الدرر (٩: ١٨١).

(٣) سبقت ترجمته، نظم الدرر (٢: ٢١٥)، (٧: ٢٢٠).

(٤) سبقت ترجمته في الكلام على مصادر البقاعي من التفسير، نظم الدرر (٧: ٧٠، ٧٢).

المبحث السادس
مصادره من كتب الفقه

١ـ «الأم» للإمام الشافعي رحمه الله:

نقل عنه أموراً كثيرة، منها مسألة منع الله تعالى مما ليس من الصلاة من الأقوال والأفعال، وأنه استثنى حال الخوف فأبقيت على الأصل[١].

ونقل عنه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] ما نصه: «أي لكم من فعل ذلك في أيام الجاهلية».

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] نقل عنه قوله «إن أول ما أُنزل عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ثم أُنزل عليه بعدها ما لم يؤمر فيه بأن يدعو إليه المشركين، فمرت لذلك مدة، ثم يقال: أتاه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل بأن يعلمهم نزول الوحي عليه، ويدعوهم إلى الإيمان، فكبر ذلك عليه، وخاف التكذيب وأن يُتَناول، فنزل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ من قِبلهم، أن يقتلوك، حتى تبلغ ما أنزل إليك»[٢]، وذكر غير هذا عنه رحمه الله[٣].

---

(١) نظم الدرر (٣: ٣٧٤).

(٢) المصدر السابق (٦: ٢٣٢).

(٣) المصدر السابق (٦: ٣٢٨).

٢ـ «مختصر المزني»(١).

نقل عنه مثلاً قوله: «وما كان من كتبهم، أي: الكفار، فيه طبّ، وما لا مكروه فيه بيع، وما كان فيه شرك أبطل وانتفع بأوعيته»(٢).

٣ـ «التتمة» للمتولي(٣).

نقل عنه البقاعي تصحيحه لعدم التفريق بين القول والفعل في مسألة الكلام في الصلاة عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٣٩]، حيث قال: (وقد روى الشيخان حديث ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: كنا نسلم على النبي ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال: «إنّ في الصلاة شغلاً»، لكنه ليس صريحاً في تحريم الكلام فيعود الاحتمال السابق، فإن كان الواقع أن حديث زيد متأخر كان ما قلت، وإلا كان الذي ينبغي القول به: إنه لا فرق بين القول والفعل، لأن اشتمال حديث ذي اليدين عليهما على حد سواء، كما صححه صاحب «التتمة» من أصحاب الشافعي)(٤).

٤ـ «تهذيب البغوي»(٥).

نقل عنه بقوله: (وكذا قول البغوي في «تهذيبه» في آخر باب الوضوء: وكذلك لو

---

(١) إسماعيل بن يحيى المزني المصري الشافعي فقيه مجتهد، صحب الشافعي وحدث عنه، توفي سنة ٢٦٤هـ طبقات الفقهاء: الشيرازي (٧٩)، طبقات الشافعية: الحسيني (٥).

(٢) نظم الدرر (١: ٢٧٥).

(٣) أبو سعيد عبد الرحمن مأمون النيسابوري، تفقه على الفوراني والقاضي حسين وغيرهما، توفي سنة ٤٧٨هـ طبقات الشافعية: الحسيني (٦٢).

والتتمة: كتاب لخصه المتولي من إبانة الفوراني مع زيادة أحكام عليها ولذلك سماه «تتمة الإبانة» ولم يتم التتمة بل بلغ إلى حد السرقة فكملها جماعة، طبقات الشافعية: الحسيني (٦٢).

(٤) نظم الدرر (٣: ٣٧٥).

(٥) صاحب تفسير «معالم التنزيل» وله كتب غيرها منها شرح السنة وفتاوى كثيرة، والتهذيب ملخص من تعليق شيخه القاضي حسين، طبقات الشافعية: الحسيني (٩٧).

تكلم ـ أي الجنب ـ بكلمة توافق نظم القرآن، أو قرأ آية نسخت قراءتها، أو قرأ التوراة والإنجيل، أو ذكر الله سبحانه، أو صلى على النبي ﷺ فجائز..)[١].

٥ـ «فتاوى القاضي حسين»[٢]:

نقل عنه مسألة الاستنجاء بكتب «التوراة» و«الإنجيل» على المقتضى بأنهما مبدَّلان فقال: (لا سيما إذا لوحظ قول القاضي حسين: إنه يجوز الاستنجاء بهما، لأنه مبني على الوجه القائل بأن الكل مبدل، وهو ضعيف، أو محمول على المبدل منهما، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلماً ـ فضلاً عن عالم ـ لا يقول: إنه يُستنجى بنحو قوله في العشر الكلمات التي صارت بها الألواح)[٣]. ونقل عنه غير هذا[٤].

٦ـ «كتاب القاضي ابن كج»[٥].

٧ـ «تعليقة الشيخ إبراهيم المروزي»[٦].

٨ـ «دلائل القبلة لابن القاص»[٧].

---

(١) نظم الدرر (١: ٢٧٦).

(٢) القاضي حسين هو الإمام المحقق (أبو علي) بن محمد المروروذي كان يلقب بحبر الأمة، توفي سنة (٤٦٢)هـ طبقات الشافعية: الإسنوي (١: ١٩٦).

(٣) نظم الدرر (١: ٢٧٤).

(٤) المصدر السابق (٩: ١٨٢).

(٥) يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الدينوري الشافعي القاضي (أبو القاسم) قتل سنة ٤٠٥هـ نظم الدرر (٧: ٢٤٨)، طبقات الشافعية: الإسنوي (٢: ١٧٦).

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد، أخذ عن ابن سريج، وتوفي سنة ٣٤٠هـ طبقات الشافعية: الإسنوي (٢: ١٩٧)، نظم الدرر (٧: ٢٤٩، ٢٥٠).

(٧) الإمام أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري، تفقه على ابن سريج وتوفي سنة (٣٥٣)هـ طبقات الشافعية: الإسنوي (٢: ١٤٦)، نظم الدرر (٨: ٤٦٠).

٩ـ مؤلفات الإمام النووي[١] مثل: «شرح المهذب»[٢] و«الروضة»[٣] و«التحقيق»[٤].

١٠ـ «فتح العزيز» للرافعي[٥]. وغير هذه الكتب، مثل:

«شرح المنهاج» للزركشي[٦]، وكتب تقي الدين السبكي[٧]، وابن الملقن[٨]، وابن حزم الظاهري في كتابه «المُحلَّى»[٩].

---

(١) يحيى بن شرف (محيي الدين أبو زكريا) فقيه محدث حافظ لغوي، توفي سنة ٦٧٧ هـ طبقات الشافعية: السبكي (١٦٥-١٦٨).

(٢) وهو شرح لمهذب الشيرازي، ولم يتم النووي هذا الشرح، طبقات الشافعية: الحسيني (٨٦، ٨٧)، طبقات الحافظ: السيوطي (٥١٣)، ويراجع: نظم الدرر (١: ٤، ٢٧٥، ٢٧٦)، (٩: ١٥٤، ١٨٢)، (١٠، ٣٠٢).

(٣) المسماة بروضة الطالبين، اختصر فيها النووي فتح العزيز للرافعي طبعت في اثني عشر مجلداً، ويراجع: نظم الدرر (٧: ٢٤٨).

(٤) المصدر السابق (٣: ٣٧٦). والتحقيق كتاب للنووي يقع في مجلدين.

(٥) عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل بن الحسين الرافعي الشافعي أبو القاسم، فقيه أصولي محدث مفسر مؤرخ، توفي سنة (٦٢٣)هـ تهذيب الأسماء واللغات: النووي (٢: ٢٦٤)، طبقات الشافعية: السبكي (٥: ١١٩-١٢٥)، ويراجع: نظم الدرر (١: ٢٧٤)، (٩: ١٨٢)، معجم المؤلفين: كحالة (٦: ٣).

(٦) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، فقيه محدث مفسر أصولي، له «تكملة شرح المنهاج» أكمل به «كافي المحتاج» للإسنوي بعد أن وصل فيه الأستوي إلى باب المساقاة. وله الديباج في توضيح المنهاج، توفي سنة ٧٩٤هـ ويراجع: نظم الدرر (٧: ٢٩٦)، البرهان في علوم القرآن للزركشي: محمد أبو الفضل إبراهيم (١: ٥)، المقدمة.

(٧) السبكي: علي بن عبد الكافي توفي سنة ٧٥٦ هـ طبقات الشافعية: الإسنوي (١٣٥٠)، ويراجع: نظم الدرر (٧: ٤٢).

(٨) ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الأندلسي الشافعي (سراج الدين أبو حفص) فقيه أصولي محدث حافظ مؤرخ، توفي سنة ٨٠٤هـ شذرات الذهب (٧: ٤٤، ٤٥)، تحفة المحتاج: ابن الملقن: دار حراء للنشر والتوزيع: الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ: المقدمة: تحقيق دراسة (١: ١٢)، الضوء اللامع (٦: ١٠٠-١٠٨)، معجم المؤلفين: كحالة (٧: ٩٧، ٢٩٨)، نظم الدرر (٣: ٢٢٩).

(٩) للإمام أبي محمد بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم: المقدمة (٣، ٤)، نظم الدرر (٧: ٥٧).

المبحث السابع

مصادره من كتب اللغة والنحو والبلاغة

لقد أطنب البقاعي في نقله عن كتب اللغة والأدب، ومصادر النحو والبلاغة وما يتصل بذلك وإن دلّ هذا فإنما يدل على اضطلاعه في العلوم وتمرسه في هذه الفنون، وأهم مصادره:

١ـ سيبويه[١].

نقل عنه الكلام في معنى لفظة الشيء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] فقال: (وإن كان الشيء ـ كما قال سيبويه ـ يقع على كل ما أخبر عنه، وهو أعم العام، كما أن الله أخص الخاص، يجري على الجسم والعرض والقديم والمعدوم والمحال، وقول الأشاعرة: إنّ المعدوم ليس بشيء بمعنى أنه ليس بثابت في الأعيان متميز فيها)[٢] ونقل عنه غير هذا[٣].

---

(١) عمر بن عثمان بن قنبر (أبو بشر) أديب ونحوي، توفي سنة ١٨٠ هـ معجم الأدباء (١٦: ١١٤-١٢٧)، الفهرست: ابن النديم (٧٦)، معجم المؤلفين (٨: ١٠) الكتاب: سيبويه: تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (١: ٣-٢٢).

(٢) نظم الدرر (١: ١٢٥، ١٢٦).

(٣) (١: ٢٠٥، ٤٦٩، ٤٧٠)، (٣: ٤٣١، ٤٣٢)، (٧: ٤٠٥)، (٩: ٢٥٩).

٢ـ الكسائي[1].

ونقل عنه معنى كلمة الذكر في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

فقال: (قال الكسائي: هو بالكسر: باللسان، وبالضم: بالقلب، والذي بالقلب ضده النسيان، والذي باللسان ضده الصمت نقله الأصفهاني)[2] ونقل عنه غير هذا[3].

٣ـ الخليل[4].

نقل عنه معنى العهد بقوله: (قال الخليل: أصله الاحتفاظ بالشيء وإجداد العهد به)[5]، ونقل أيضاً عنه غير هذا[6].

٤ـ الجاحظ[7].

نقل عنه قوله في كتاب الحجة في تثبيت خبر الواحد: «إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغةً، وأشدَّ ما كانت

---

(١) علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي (أبو الحسن) مقرئ مجود لغوي نحو شاعر، توفي سنة ١٨٠هـ تهذيب التهذيب: ابن حجر (٧: ١٣١-٣١٤)، معجم الأدباء (١٣: ١٦٧-٢٠٣).

(٢) نظم الدرر (١: ٣١٣).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٣٠)، (٨: ٤٠٤)، (١٠: ٢٤٤).

(٤) الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم الفراهيدي البصري (أبو عبد الرحمن) نحوي لغوي، توفي سنة ١٧٠هـ تـهذيب الأسماء واللغات (١: ١٧٧، ١٧٨)، تهذيب التهذيب (٣: ١٦٣-١٦٤)، معجم الأدباء (١١: ٧٣-٧٧)، سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون: ابن نباته (٢٦٨-٢٧١).

(٥) نظم الدرر (١: ٣١٥).

(٦) المصدر السابق (٩: ٢٥٩).

(٧) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري المعتزلي، عالم أديب، توفي سنة ٢٥٥هـ معجم الأدباء (٩: ٢٤٨).

عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم إلى حظهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف»[١] ونقل عنه أيضاً غير هذا[٢].

٥ـ أبو عمرو بن العلاء[٣]:

نقل عنه معنى كلمة «يهود» وأصلها فقال: (قال عمرو بن العلاء: لأنهم يتهودون عند قراءة التوراة.. ويقولون: إن السماوات والأرض تحركتا حين أتى الله عز وجل بالتوراة لموسى عليه السلام)[٤].

كما نقل عن غير هؤلاء المذكورين: كالأزهري[٥]، وأبي عبيدة[٦]، وعلي بن عيسى الرماني[٧]، والأصمعي[٨]، واللحياني[٩]، وابن القطاع في كتاب الأفعال[١٠]، والجعبري[١١]، وابن سيد الناس[١٢]، والبرهان السفاقيني[١٣]، والمبرد[١٤]، وأبي البقاء

(١) نظم الدرر (١: ١٧٣-١٧٦).

(٢) المصدر السابق (٩: ٢٤٨).

(٣) أبو عمرو بن العلاء البصري واسمه زبان بن علاء بن عمار، إمام البصرة ومقرؤها، ثقة أمين ديّن، توفي سنة ١٥٤ هـ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة: محيسن (١: ٢٤).

(٤) نظم الدرر (١: ٤٥٦).

(٥) المصدر السابق (٣: ٢٤٤)، (٧: ١٦٠).

(٦) المصدر السابق (٣: ٢٤٧)، (٦: ١٤)، (٨: ٤٣٥).

(٧) المصدر السابق (١: ٣٨٤)، (٨: ٣٢١)، (٩: ٧٣).

(٨) المصدر السابق (٣: ٢٤٥، ٢٥٢).

(٩) المصدر السابق (٣: ٢٥٠).

(١٠) المصدر السابق (٤: ٤٣)، (٧: ٩٧، ٣٧٠)، (٨: ١٤٦، ١٧٧).

(١١) المصدر السابق (٤: ٤٧٠).

(١٢) المصدر السابق (٥: ١٢٨).

(١٣) المصدر السابق (٢: ١٣٤، ٢٣٦)، (٦: ٣٢٠)، (٩: ٢٥٩).

(١٤) المصدر السابق (٦: ١٣٤)، (٩: ٢٤٨).

العُكْبَري في كتابه المسمى «إعراب القرآن»[١]، والزبيدي في كتابه «مختصر العين»[٢]، والصنعاني[٣]، وثابت بن عبد العزيز في كتابه «خلق الإنسان»[٤]، والثعالبي في «فقه اللغة»[٥]، والفارابي في «ديوان الأدب»[٦]، وأبي علي الفارسي في «الحجة»[٧]، وأبي عبيد الهروي في كتابه «الغريبين»[٨]، وعبد الحق الأشبيلي في كتابه «الواعي»[٩]، وابن السيد البطليوسي في «الاقتضاب»[١٠]، والفيروز أبادي شيخه ـ أي شيخ البقاعي ـ في كتابه «القاموس المحيط»[١١]، وأبي عبد الله القزاز في ديوانه «الجامع»[١٢]، وعبد الغافر الفارسي في «مجمع الغرائب»[١٣]، وابن فارس في «المجمل»[١٤]، وأبي غالب ابن التباني في

---

(١) نظم الدرر (٥: ١١، ١٢)، التبيان في إعراب القرآن: العكبري (١: ٢٨٢)، عند قوله تعالى: ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ [آل عمران: ٩٩].

(٢) نظم الدرر (٦: ٢٣٧)، (٨: ١٤٦)، (٩: ٣٥٤)، (١٠: ٢٤١).

(٣) المصدر السابق (٦: ١٣٩).

(٤) المصدر السابق (٦: ٢٣٧).

(٥) المصدر السابق (٤: ٣٩٩).

(٦) المصدر السابق (٤: ١٢٧-١٣١، ٢٧٢)، (٧: ٧٦).

(٧) المصدر السابق (١: ٤٧٧)، (٢: ١٢٦، ١٢٩)، (٧: ٩٧)، (٨: ٧٥).

(٨) المصدر السابق (٣: ٢٠٧، ٢٤٣، ٢٤٧)، (٤: ١٤٢)، (٨: ١٤٦).

(٩) المصدر السابق (٣: ٢٤٣، ٢٤٥)، (٤: ١٠١، ٣٦٩)، (٥: ٥٤، ١١٢، ٢٢٠)، (٧: ١٤٢)، (٨: ١٤٠).

(١٠) المصدر السابق (٤: ١٥٦).

(١١) نظم الدرر (١: ٣٥٥، ٣٩٧، ٤٠٦، ٤٠٧)، (٣: ٩، ٢٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠)، (٤: ٢٧٢، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٩، ٤٢١)، (٥: ١٢، ٩٢، ١١٢، ٣٤١)، (٦: ٣٣، ٢٠٠، ٢٣٧)، (٧: ٤٦٠)، (٨: ٤١، ١٤٦، ٤٠٦)، (٩: ٣٧٨)، القاموس المحيط: الفيروز أبادي (٤: ١٨٢).

(١٢) المصدر السابق (٣: ٢٤٤، ٢٤٥)، (٤: ٢٧٢، ٣٦٩)، (٥: ١٩٣، ٣٤٦)، (٦: ١٣٩)، (٧: ٤٦٠)، (٨: ٨٩، ٤٦٣)، (٩: ٣٥٥)، (١٠: ٢٤٠).

(١٣) المصدر السابق (٣: ٢٤٩).

(١٤) المصدر السابق (٤: ٢٧٢)، (٦: ٢٣٧)، (٧: ١٢٩، ١٤٩، ٣٧٠)، (٨: ٣١٠، ٤٥٤).

«الموعب»[١]، وأبي طالب العبيدي في «شرح إيضاح الفارسي»[٢]، والرضي في «شرح الكافية»[٣]، وفي «شرح الحاجبية»[٤]، وشمس الدين الغزي في «شرحه لإيساغوجي»[٥]، والصغاني في «مجمع البحرين»[٦]، وتاج الدين ابن مكتوم في كتابه «الجمع بين العباب والمحكم»[٧]، ومحمد بن عبد الرحمن في «شرح نظم المصباح»[٨]، والفرّاء[٩]، وأبي جعفر النحاس[١٠]، والأخفش[١١]، وابن هشام الخضراوي في «شرح الإيضاح لأبي علي»[١٢]، وابن هشام المصري في «توضيحه»[١٣]، وشارح «الجزولية»[١٤]، وابن الخباز الموصلي في كتابه «النهاية شرح كفاية الكفاية»[١٥]، وأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي في كتابه «أسواق العرب»[١٦]، والزجاج[١٧]، والطحاوي «في بيان المشكل»[١٨]، وابن

---

(١) نظم الدرر (٤: ٣٦٩)، (٦: ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (٤: ٩٩)، (٦: ١٨٩)، (٨: ٤١٢، ٤١٣).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٣١، ١٣٣).

(٤) المصدر السابق (٩: ٢٥٩).

(٥) المصدر السابق (٢: ١٠٠).

(٦) المصدر السابق (٣: ٢٥١).

(٧) المصدر السابق (٣: ٢٥٠)، (٦: ٢٣٧)، (٨: ٤٦٣)، (١٠: ٢٤٤).

(٨) المصدر السابق (١: ١٨٢، ١٨٤).

(٩) المصدر السابق (٧: ٤١).

(١٠) المصدر السابق (٧: ٢٥٨، ٢٦٠)، (٨: ٢٨٢، ٣٨٠).

(١١) المصدر السابق (٨: ١٤٦)، (٢٢: ٢٣).

(١٢) المصدر السابق (٨: ٤٠٤، ٤١٤).

(١٣) المصدر السابق (٨: ٤١١).

(١٤) المصدر السابق (٨: ٤١٤، ٤٧٠).

(١٥) المصدر السابق (٨: ٤١٤).

(١٦) المصدر السابق (٨: ٤٦٤).

(١٧) المصدر السابق (٩: ٢٥٩)، (١٠: ٢٤٥).

(١٨) المصدر السابق (٩: ٢٨٣).

الحاجب[١]، وابن جني في كتابه «المحتسب»[٢]، وثعلب[٣]، وابن سيده[٤]، وابن الأنباري[٥]، وابن دقيق العيد في «ديوانه»[٦]، وسعد الدين التفتازاني في «مختصره»[٧].

---

(١) نظم الدرر (٩: ٣٨٩).

(٢) المصدر السابق (١٠: ٢٤٥، ٤٠٩).

(٣) المصدر السابق (١٠: ٢٤٥).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٢٤٦).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٣١٨).

(٦) نظم الدرر (٢٢: ٢٤)، ابن دقيق العيد حياته وديوانه (١٥٩).

(٧) نظم الدرر (٢: ١١٠).

فأما الزهري: فهو محمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور الأزهري الشافعي، إمام في اللغة، توفي بهراة سنة ٣٧٠هـ طبقات المفسرين: الداودي (٢: ٦١).

وأبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي توفي سنة ٢١٠هـ الفهرست: ابن النديم (٧٩).

والرمالي: أبو الحسن علي بن عيسى، لغوي نحوي متكلم مقذلي، توفي سنة ٣٨٦هـ، معجم الأدباء (٤: ٧٣)، ويراجع: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (٨، ٩)، طبقات المفسرين: السيوطي (٨١).

والأصمعي: عبد الملك بن قريب الباهلي «أبو سعيد» أديب لغوي نحوي إخباري محدث فقيه أصولي، توفي سنة ٢١٦هـ تهذيب الأسماء واللغات: النووي (٢٧٣)، معجم المؤلفين (٦: ١٨٧).

واللحياني: علي بن حازم، وقيل ابن المبارك، لغوي عاصر الفراء وأخذ عن الكسائي، توفي سنة ٢٠٧هـ معجم الأدباء (١٤: ١٠٦)، معجم المؤلفين (٧: ٥٦).

ـ وابن القطاع: علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلي، أديب لغوي نحوي صرفي كاتب شاعر عروضي مؤرخ، توفي سنة ٥١٥ هـ معجم الأدباء (١٢: ٢٧٩)، معجم المؤلفين (٧: ٥٢).

ـ والسفاقسي: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المالكي (برهان الدين، أبو إسحاق)، توفي سنة ٧٤٢هـ معجم المؤلفين: كحالة (١: ٨٢).

ـ والمبرد: محمد بن يزيد الأزدي (أبو العباس) أديب نحو لغوي أخباري نسابة، توفي سنة ٢٨٥هـ معجم الأدباء (١٩: ١١١)، معجم المؤلفين (٢: ١١٤).

والعكبري: أبو البقاء عبد الله بن الحسين النحوي الضربي الحنبلي فقيه نحوي، توفي سنة ٦١٩هـ شذرات الذهب (٥: ٦٧)، التبيان في إعراب القرآن: العكبري: مقدم المحقق (١)، معجم البلدان: ياقوت (٤: ١٤٢).

الصغاني: حسن بن محمد، توفي سنة ٦٥٠هـ كشف الظنون (٢: ١٥٩٩)، وكتابه «مجمع البحرين» يقع في اثنين وعشرين مجلداً. =

= ـ والثعالبي: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، أديب ناثر ناظم لغوي أخباري بياني، توفي سنة ٤٢٩هـ نزهة الألباء: الأنباري (٢٦٥).

ـ والفارابي: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم، أديب لغوي توفي سنة ٣٥٠هـ معجم الأدباء (٦: ٦١-٦٥)، معجم المؤلفين: كحالة (٢: ٢٢٧).

ـ وأبو علي الفارسي: حسن بن أحمد الفارسي النحوي، توفي سنة ٣٧٧هـ كشف الظنون (١: ٢١١).

ـ وعبد الحق الإشبيلي: ابن عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن الخراط، حافظ علامة حجة، توفي سنة ٥٨١هـ طبقات الحفاظ: السيوطي (٤٨١، ٤٨٢).

ـ والفيروزأبادي: محمد بن يعقوب بن محمد اللغوي المشهور مشارك في الحديث وغيره، توفي سنة ٨١٧، القاموس المحيط (٢٨، ٢٩).

ـ وأبو عبد الله القزاز: أبو عبد الله محمد بن جعفر بن أحمد التميمي، لغوي بياني شاعر، توفي سنة ٤١٢هـ معجم الأدباء (١٨: ١٠٥).

الوافي: الصفدي: النشريات الإسلامية (٢: ٣٠٤)، معجم المؤلفين: كحالة (٩: ١٤٨).

ـ وعبد الغافر الفارسي: «أبو الحسن» ابن إسماعيل بن عبد الغافر أصولي تفسير مؤرخ، توفي سنة ٥٢٩هـ طبقات الشافعية: الإسنوي (٢: ١٣٢).

ـ وابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، لغوي نحوي فقيه مفسر، توفي سنة ٣٩٥هـ الصاحبي: ابن فارس: المقدمة، معجم مقاييس اللغة: المقدمة (١: ١-٣٧)، كشف الظنون (٢: ١٦٠٤).

ـ وأبو طالب العبدي: أحمد بن بقية، نحوي لغوي، توفي سنة ٤٠٦هـ معجم الأدباء (٢: ٢٣٦)، معجم المؤلفين (١: ١٧٤).

ـ والرضي: نجم الدين محمد بن حسن الإستراباذي، نحوي صرفي منطقي متكلم، توفي سنة ٦٨٦هـ شذرات الذهب (٥: ٣٩٥)، كشف الظنون (١٣٧)، معجم المؤلفين (٩: ١٨٣).

ـ وشمس الدين الغزي: محمد بن خلف بن كامل بن عطاء الله «أبو عبد الله»، توفي سنة ٧٧٠هـ طبقات الشافعية: السبكي (٥: ٢٣٧). معجم المؤلفين: كحالة (٩: ٢٨٩).

ـ والتفتازاني: سلفت ترجمته تراجع ص١٤٢.

ـ وتاج الدين ابن مكتوم: «أبو محمد» أحمد بن عبد القادر توفي سنة ٧٦٩هـ. كما في الكشف وسنة ٧٤٩هـ كما هو عند كحالة: قال عنه: لغوي نحوي، كشف الظنون (١: ٦٠٠)، معجم المؤلفين (١: ٢٧٨).

ـ ومحمد بن عبد الرحمن: المراكشي الأكمة ويعرف «بالضرير» أبو عبد الله، فقيه حافظ لغوي نحوي ناظم بياني، توفي سنة ٧٠٧ هـ معجم المؤلفين (١٠: ١٥٥)، الضوء اللامع (٨: ٤٨).

ـ والفراء: يحيى بن زياد الأسلمي النحوي الكوفي شيخ النحاة، توفي سنة ٢٠٧هـ معجم الأدباء (٢٠: ٩-١٤)، أبو السعود ومنهجه في تفسيره (١١١).

ـ والنحاس: أحمد محمد بن إسماعيل بن يونس «أبو جعفر» نحوي لغوي مفسر أديب فقيه، أخذ عن المبرد والأخفش، توفي سنة ٣٣٨هـ، معجم الأدباء (٤: ٢٢٤)، فما بعدها، معجم المؤلفين: كحالة (٢: ٨٢).

ـ والأخفش: سعيد بن مسعدة أبو الحسن قرأ اللغة على سيبويه، توفي سنة ١١هـ وقيل سنة ١١٥ وقيل سنة ١٢١، طبقات المفسرين: الداودي (١: ١٨٥)، شذرات الذهب (٢: ٣٦).

ـ وابن هشام المصري: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد المتوفى سنة ٧٦١ هـ شرح قطر الندى: المقدمة، مغني اللبيب: المقدمة: تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

ـ وابن الخباز الموصلي: واسمه محمد بن أبي بكر بن علي الشافعي «نجم الدين» نحوي شرح ألفية ابن معطي توفي سنة ٦٣١هـ طبقات الشافعية: الإسنوي (١: ٢٤٠)، معجم المؤلفين (٩: ١١٤، ١١٥).

ـ وأبو المنذر هشام بن محمد الكلبي: نسابة أخباري روى عن أبيه وعن مجاهد بن سعيد، توفي سنة ٢٠٤هـ معجم الأدباء (١٩: ٢٨٧)، فما بعدها، معجم المؤلفين: كحالة (١٣: ١٤٩، ١٥٠).

ـ والزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي اللغوي المفسر، توفي سنة ٣١١ هـ معجم الأدباء (١: ١٣٠)، معجم المؤلفين (١: ٣٣)، معاني القرآن: الزجاج (١: ٣٧٥).

ـ وابن جني: عثمان بن جني الموصل «أبو الفتح»، أديب نحوي، توفي سنة ٣٩٢ هـ معجم الأدباء (١٢: ١٨-١١٥)،: معجم المؤلفين (٦: ٢٥١، ٢٥٢).

ـ وثعلب: أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم، الكوفي «أبو العباس» نحوي لغوي، توفي سنة ٢٩١، معجم الأدباء (٥: ١٠٢-١٤٦)، معجم المؤلفين (٢: ٢٠٣).

وابن سيده: علي بن أحمد اللغوي الأندلسي «أبو الحسن، الضرير» توفي سنة ٤٥٠هـ، معجم الأدباء (١٢: ٢٣١-٢٣٥).

ـ وابن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الإمام «أبو بكر» مقرئ نحوي لغوي توفي سنة ٣٢٨هـ طبقات المفسرين: الداودي (٢: ٢٢٦)، وما بعدها، أبو السعود ومنهجه في التفسير (١١٨)، إلا أنه أخطأ في التاريخ لوفاته حيث ذكر أنه توفي سنة ٥٦٢هـ.

ـ وابن دقيق العيد: محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري «أبو الفتح تقي الدين» الموسوم بابن دقيق العيد شيخ الإسلام المتوفى سنة ٧٠٢هـ طبقات الشافعية: السبكي (٣-٢٢)، طبقات الشافعية: الإسنوي (٢: ١٠٢-١٠٦)، أيضاً: إحكام الأحكام: المقدمة: الجزء الأول، ابن دقيق العيد حياته وديوانه: علي صافي حسن، الإلمام في أحاديث الإحكام: ابن دقيق العيد، المقدمة لمحمد سعيد المولوي.

المبحث الثامن
مصادره من كتب التاريخ

اعتمد البقاعي على كتب كثيرة من أمهات المصادر في التاريخ وأهمها:

١ـ سيرة ابن إسحاق[١]:

نقل عنه مثلاً عند كلامه عن المنافقين قوله: (وقد سمى ابن إسحاق كثيراً من المنافقين في السيرة الشريفة في أوائل أخبار ما بعد الهجرة)[٢].

ونقل عنه أيضاً خبر النفر من أحبار اليهود حين سألوا رسول الله ﷺ عن أربع فأجابهم إلى ما سألوا، ولكن لم يؤمنوا[٣]، ونقل عنه غير هذا[٤].

٢ـ سيرة ابن هشام[٥]:

نقل عنه الشيء الكثير، فمن ذلك نقله عنه قول: (وكان بنو النضير ـ كما نقله ابن

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المولى «أبو بكر عبد الله» محدث حافظ أخباري نسابة، توفي سنة ١٥١هـ ميزان الاعتدال، (٣: ٢١-٢٤)، الروض الأُنُف: السهيلي (١: ٣٧)، معجم الأدباء (١٨: ٥-٨)، معجم المؤلفين (٩: ٤٤).

(٢) نظم الدرر (٢: ٣٧، ٣٨).

(٣) المصدر السابق (٣: ٢٢٧).

(٤) المصدر السابق (٥: ٣٩٢)، (٦: ١١٢، ١٥٥، ٢٣٦)، (٨: ٣٦٧، ٤٥٩).

(٥) عبد الملك بن هشام، عالم متقدم في النسب والنحو سنة ٢١٣هـ الروض الأُنُف: السهيلي (١: ٤٣، ٤٤).

هشام في السيرة ـ يأخذون في قتلاهم دية كاملة، وبنو قريظة نصف الدية)[١]. ونقل عنه غير هذا[٢].

٣ـ الروض الأُنُف للسهيلي[٣]:

نقل عنه فقال: (قال السهيلي في «الروض الأُنُف»: وقد تسمى السنة داراً، ففي الخبر: «إن بين آدم ونوح ألف دار» أي: سنة، ثم قال: فتأمل هذا، فإن العلم بتنزيل الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح باباً من العلم بإعجاز القرآن، والله المستعان)[٤] ونقل عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] قوله: (قال السهيلي في «روضه»: وكان ذلك مباحاً في الجاهلية لشرع متقدم، ولم يكن المحرمات التي انتهكوها)[٥]. ونقل عن غيره، كنقله عن «تاريخ دمشق» لابن عساكر[٦]، وسيرة موسى بن عقبة[٧]، وسيرة الإمام أبي الربيع سليمان بن سالم الكلاعي[٨] المغربي المسماة «بالاكتفا عن سيرة المصطفى وأصحابه الثلاثة الخلفا». وسيرة محمد بن عمر الواقدي[٩]، و«تهذيب السيرة» للإمام جمال الدين محمد بن المكرم

---

(١) نظم الدرر (٣: ٢٤).

(٢) المصدر السابق (١: ١٠٢، ١٠٥، ١٠٧)، (٥: ٥٥، ١٥٣، ٢٩٥)، (٦: ٥٥، ٢٣٥، ٣٠٨، ٣١٩)، (٧: ٢٨٠).

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، مؤرخ محدث حافظ نحوي لغوي مقرئ أديب، توفي سنة ٥٨١هـ الروض الأُنُف (١: ٢٥-٢٩)، معجم المؤلفين: كحالة (٥: ١٤٧).

(٤) نظم الدرر (٢: ٦٣)، طبقات الحفاظ: السيوطي (٤٨١).

(٥) نظم الدرر (٥: ٢٢٨).

(٦) المصدر السابق (٣: ٤٤١، ٤٤٢).

(٧) المصدر السابق (٥: ٥٣).

(٨) المصدر السابق (٦: ١١٦)، (٧: ٢٧٩)، (٨: ٢١٥، ٣٤٠، ٤٣٥).

(٩) المصدر السابق (٥: ٦٠، ٦٧، ١٢٥، ١٢٧، ١١٨)، (٦: ٢٣٦)، (٧: ٤٦، ٤٧).

الأنصاري[١]، و«الاستيعاب» لابن عبد البر[٢]، و«الإصابة» لابن حجر العسقلاني[٣]، و«تاريخ ابن الفرات»[٤]، و«تاريخ مكة» للأزرقي[٥]، و«مروج الذهب» للمسعودي[٦]، و«طبقات النحويين» لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي[٧]، و«الأنساب» للشريف محمد ابن أسعد الجواني[٨]، و«المجالسة» للدينوري[٩]، و«فتوح مصر» لابن عبد الحكم[١٠]، و«قصص الأنبياء» للكسائي[١١]، و«الفتوح» للخطيب ابن جيش أبي القاسم عبد الرحمن ابن محمد شيخ الكلاعي[١٢]، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم[١٣].

وهناك كتب أخرى متنوعة اعتمد عليها البقاعي في «تفسيره»، ومن تلك الكتب «رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية» للسهروردي[١٤]، و«الشفا» للقاضي عياض[١٥]، و«بدائع الفوائد» لابن القيم الجوزية[١٦]، و«الفروسية المحمدية» له

(١) نظم الدرر (٧: ٤٨).

(٢) المصدر السابق (٥: ٢٦).

(٣) المصدر السابق (٥: ٢٤٤)، (٧: ٧٢).

(٤) المصدر السابق (٦: ٢٣٧)، (٨: ٣٨٧، ٤٣١).

(٥) المصدر السابق (٨: ٤٦٤).

(٦) المصدر السابق (٨: ٤٤٠).

(٧) المصدر السابق (٨: ٣٧٥).

(٨) المصدر السابق (٨: ٣٧٤).

(٩) المصدر السابق (٥: ٦٧).

(١٠) المصدر السابق (٧: ٤٥)، (١٠: ١٣٣).

(١١) المصدر السابق (٧: ١٧٢).

(١٢) المصدر السابق (٨: ٢١٥).

(١٣) المصدر السابق (٧: ٢١١).

(١٤) المصدر السابق (١: ٢٩٩)، (٩: ٣٥٠).

(١٥) المصدر السابق (١: ٢٧٧)، (٧: ٦٥، ٦٦).

(١٦) المصدر السابق (١: ٧٣).

أيضاً[١]، و«إحياء علوم الدين» للغزالي[٢]، و«الصحائف» للسمرقندي[٣]، و«البردة» للبوصيري[٤]، و«غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود» للسموأل بن يحيى المغربي[٥]، و«شمس العلوم» لنشوان اليمني[٦]، و«المئتين» لأبي عثمان الصابوني[٧]، و«أحكام الدرج الفلكية» لتنكلوشا البابلي[٨]، وكتاب «كنز اليواقيت في استيعاب المواقيت»[٩]. كما أخذ أيضاً عن الإمام أبي القاسم القشيري[١٠]، وناصر الدين بن ميلق[١١]، وبيان[١٢]، والسمين[١٣]، والكهرماني[١٤]، والماوردي[١٥]، وأبي الحسن الشاذلي[١٦]، والشيخ رسلان[١٧]، وأبي العباس المرسي[١٨]، والخطيب البغدادي في جزء جمعه في

(١) نظم الدرر (٨: ٢٩٤).

(٢) المصدر السابق (٧: ٨٥)، (٨: ١٥٢).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٧٨).

(٤) المصدر السابق (٧: ٧٨).

(٥) المصدر السابق (٧: ١٨٧)، (٨: ٤٣٧)، وقد كان السموأل هذا من أجلّ علماء اليهود في حدود سنة ستين وخمسمئة ثم هداه الله للإسلام، نظم الدرر (٧: ١٨٩).

(٦) المصدر السابق (٨: ٤٦٣).

(٧) المصدر السابق (٨: ١٥٥).

(٨) المصدر السابق (٧: ٦).

(٩) المصدر السابق (٧: ٢٠٣).

(١٠) المصدر السابق (٣: ٧١).

(١١) المصدر السابق (٣: ٧١).

(١٢) المصدر السابق (١: ٢٧٩).

(١٣) المصدر السابق (٢: ٥)، (٣: ٤٣١، ٤٣٢).

(١٤) المصدر السابق (٢: ٧٦).

(١٥) المصدر السابق (٢: ٢١٩).

(١٦) المصدر السابق (٥: ١٥).

(١٧) المصدر السابق (٥: ٣٢١).

(١٨) المصدر السابق (٦: ١٤١).

النجوم[١]. كما أخذ عن الأفواه ونقل مشاهداته، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦][٢] يقول: (ولقد شاهدت داخل حصاة في شاطئ بحر قبرس شديدة الصلابة كأنها العقيق الأبيض، دودةً عندها ما تأكل، وأخبرني الفاضل عز الدين محمد بن أحمد التكروري الكتبي، أنه شاهد غير مرة في داخل حجارة تقطع من جبل مصر، الدود عنده ما يأكل من الحشيش الأخضر وما يشرب من الماء)[٣].

* * *

(١) نظم الدرر (٧: ٢٠٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق (٩: ٢٣٧).




الفصل الثالث
منهج البقاعي في تفسيره

ويشتمل على سبعة مباحث:

ـ المبحث الأول: اعتماده على التفسير بالمأثور.

ـ المبحث الثاني: اعتماده على اللغة والنحو والصرف.

ـ المبحث الثالث: إكثاره من الأسرار البلاغية.

ـ المبحث الرابع: عنايته بسبب النزول وزمانه ومكانه.

ـ المبحث الخامس: موقفه من القراءات.

ـ المبحث السادس: اهتمامه بالتناسب بين الآيات والسور.

ـ المبحث السابع: موقفه من الإسرائيليات، والنقل من التوراة والإنجيل.




تـمهيد

من المعلوم أنَّ لكل مفسر منهجاً يسير عليه في تفسيره، ومن خلال استعراضي لتفسير البقاعي اتضح لي أن هناك منهجاً سار عليه البقاعي في تفسيره لكتاب الله العزيز، يقوم على عدة أسس. ونظراً للمنهج الذي اتبعته في دراسة هذا التفسير اقتضى الأمر أن أجعل كل أساس في مبحث خاص على الوجه الآتي:

المبحث الأول

اعتماده على التفسير بالمأثور

إنّ التفسير بالمأثور ـ ويسمى التفسير بالرواية أو التفسير النقلي ـ هو: ما أُثـر عن النبي ﷺ من قـرآن أو سنـة، أو عن الصحابـة رضي الله عنهم، أو عمن عاصـرهم من التابعين[١].

ولعل أفضل ما يبين مكانة التفسير بالمأثور هو قول ابن تيمية[٢]: «إنّ أصح الطرق التي يفسر بها القرآن هي تفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر في مكان فقد بُسِط في موقع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[٣].

ولما كان التفسير بالمأثور أصح أنواع التفسير، اعتمد عليه المفسرون قاطبة، ومنهم صاحبنا البقاعي، حيث اعتمد كثيراً على التفسير بأنواعه الأربعة التي يدور عليها التفسير بالمأثور، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولاً ـ تفسير القرآن بالقرآن:

إنّ من يستعرض تفسير البقاعي يجد فيه تفسير القرآن بالقرآن كثيراً، ولا عجب في

(١) مباحث في علم التفسير لأستاذي الدكتور عبد الستار حامد (٣٨).

(٢) هو أحمد (تقي الدين) الحراني الحنبلي المشهور.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (٩٣).

ذلك، فإن منهج هذا النوع من التفسير يعد أصح المناهج لأنه تفسير كتاب الله بكتاب الله، وقديماً سئل ابن كثير عن أحسن الطرق في تفسير القرآن فأجاب:

«إنَّ أصح الطرق في ذلك تفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد بُسط في موضع آخر»[١].

ويقول الشنقيطي: «إن إجماع العلماء تم على أنَّ أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بكتاب الله جل وعلا من الله جل وعلا»[٢].

وإليك بعض الأمثلة على تفسير القرآن بالقرآن:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨] قال البقاعي: (﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: عدله ووسطه فلم يهتد إليه وإن كان في بينات منه، فإن من حاد عن سواء السبيل أوشك أنْ يبعد بعداً لا سلامة معه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٣] فقد فسر بها الضلال عن سواء السبيل).

٢ـ قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣].

قال البقاعي: (شفاعة غير مأذون فيها[٤]، كما في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾) [البقرة: ٢٥٥].

٣ـ قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١: ٣). مباحث في علم التفسير (١٦٤).

(٢) أضواء البيان: الشنقيطي (١: ٥).

(٣) نظم الدرر (٢: ١٠٢).

(٤) المصدر السابق (٢: ١٤٦).

مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣] فسرها بقوله: (فاختلفوا وتفرقت بهم السبل كما في آية يونس: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [يونس: ١٩]).

٤ـ قوله تعالى حكاية لقول الكافرين: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

يقول البقاعي: (ولما كانت هذه الآية شبيهة بآية البقرة ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٥][١] في الحسد على ما أوتي غيرهم من الدين الحق، وكالشارحة لها ببيان ما يلبسونه لقصد الضلال ختمت بها ختمت به تلك..)[٢].

٥ـ وقوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

يقول: (والآية ناظرة إلى قوله تعالى: ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦][٣]؛ فقد فسر الآية الأولى بالآية الثانية لاتفاقهما في الهدف والنتيجة).

٦ـ وقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ [الأنفال: ٦٠] حيث قال:

(﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١][٤]).

٧ـ وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى

---

(١) نظم الدرر (٣: ١٩٨).

(٢) المصدر السابق (٤: ٤٥٨).

(٣) المصدر السابق (٨: ٢٠٤).

(٤) المصدر السابق (٨: ٣١٥).

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ [النساء: ١٢٧] حيث فسر مجمل ما يتلى في الكتاب بقوله: ﴿وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي فيما سبق أول السورة في قوله:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣].. وغير ذلك[1]).

٨ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] حيث يقول: (يزكون أنفسهم بما ليس من قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]. وقوله: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨] فإن إبعاد غيرهم في الميل مصحح لتزكيتهم أنفسهم بالباطل)[2]، فقد فسر التزكية الواردة في الآية الأولى بعدة آيات وردت في هذا المعنى من سور أخرى.

٩ـ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦].

قال البقاعي: (يشهدون بذلك لأنهم كانوا حضوراً لإنزاله، وأمناء على من كان منهم على يده ليبلغه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٧-٢٨][3]).

ويفسر آية مطلقة بآية أخرى تقيد إطلاقها: فمثلاً:

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] حيث قال: (والآية مقيدة بآية النساء ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨][4]).

---

(١) نظم الدرر (٥: ٤١٧).

(٢) المصدر السابق (٥: ٢٩٨، ٢٩٩).

(٣) المصدر السابق (٥: ٥١٤).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٢٨٥).

أي: ما دون الشرك فإنه لا يغفره الله إلا بالتوبة، إلى غير ذلك من الأمثلة التي يغص بها «تفسيره»، مما يدل على اعتماده الكثير على القرآن لأنه يفسر بعضه بعضاً.

ثانياً ـ تفسير القرآن بالسنة:

لقد اعتمد البقاعي في «تفسيره» على السنة كثيراً، ولا ريب في ذلك لأنها المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور، وقد أورد ثروة ضخمة من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وسيرته، مستشهداً بها في شتى المجالات، وقد اعتمد تخريج الحديث عموماً طريقة له في «تفسيره»، بل كثيراً ما يورد حديثاً، ثُمَّ يجمع ألفاظ ذلك الحديث؛ حفاظاً منه على تمام المقصود من تفسير آيات الذكر الحكيم.

فمن ذلك مثلاً:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ [النساء: ١٢٧] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧] يقول البقاعي: (روى البخاري في الشركة والنكاح، ومسلم في آخر الكتاب، وأبو داود والنسائي في النكاح، عن عروة أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ إلى ﴿وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] قالت: يا ابن أختي: هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله، فيعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن..

قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾ إلى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، والذي ذكر الله أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٣]. قالت عائشة رضي الله عنها:

وقول الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] هي رغبة أحدكم يتيمته، وقال مسلم: عن «يتيمته»: التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن، زاد مسلم: «إذا كن قليلات المال والجمال، وقال البخاري في النكاح: فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى في الصداق، وفي البخاري ومسلم في التفسير عن عروة أيضاً: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧] الآية: قالت هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته، وقال مسلم: لعلها أن تكون قد شركته في ماله حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فنزلت هذه الآية... إلخ) ما ذكره من ألفاظ الحديث وزيادة راو ونقصان آخر[١].

٢ـ وقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال البقاعي: (وفي الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال: «صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهراً نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين»)[٢].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] قال: (وقد روى أبو يعلى الموصلي في «مسنده» بسند متصل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: على الإسلام كلهم)[٣].

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ..﴾ إلخ [النساء: ١١٥]

---

(١) نظم الدرر (٥: ٤١٨-٤٢١).

(٢) المصدر السابق (٢: ٢٢٠).

(٣) المصدر السابق (٣: ٢٧٧).

حيث يقول: (وكذا حديث: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله»، وفي رواية: «ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله»، رواه عن النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم: ثوبان، والمغيرة، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية، وأنس، وأبو هريرة، وبعض أحاديثه في الصحيحين، وبعضها في السنن، وبعضها في المسانيد، وبعضها في المعاجم، وغير ذلك[١]).

٥ـ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] يقول البقاعي: (روى الدارمي في أوائل «مسنده» بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن امرأة جاءت بابن لها إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنّ ابني به جنون، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا، فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثعّ ثعّة وخرج من صدره مثل الجرو الأسود»، فثعّ ثعّة ـ بمثلّثة ومهملة ـ أي: قاء.

وللدارمي أيضاً، وعبد بن حميد بسند صحيح حسن أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: «خرجت مع النبي ﷺ فركبنا مع رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بيننا كأنما على رؤوسنا الطير تظلنا، فعرضت له امرأة معها صبي لها، فقالت: يا رسول الله: إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات، فتناول الصبي فجعله بينه وبين مقدم الرحل ثم قال: اخسأ عدوَّ الله، أنا رسول الله: ثلاثاً، ثم دفعه إليها»، وأخرجه الطبراني من وجه آخر، وبيّن أنّ السفر غزوة ذات الرقاع، وأن ذلك في حرّة واقم[٢]). وقد ذكر في هذه الروايات درجة الحديث مما يدل على طول باعه في مصطلح الحديث.

٦ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) نظم الدرر (٥: ٤٠٢، ٤٠٣). وينظر: (٢٢: ٥٧)، (٣: ٣٧٣).

(٢) المصدر السابق (٤: ١١٢-١١٣).

يقول البقاعي: (وللترمذي - وقال حسن - عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، أنه سمع النبي ﷺ يقول في هذه الآية: «أنتم تتمّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه وتعالى» وللبخاري في التفسير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام»)[١].

٧- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] يقول: (وهذا المراد بقوله ﷺ فيما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه حين رفع إليه الذراع فنهش منها فقال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»، وللدارمي في أوائل «مسنده» عن جابر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»، وللترمذي في المناقب عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» وقال: حديث حسن غريب، وله في المناقب أيضاً عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»، وقال: حسن صحيح غريب.

وللترمذي والدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر». وللترمذي - وقال: حسن - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ،

---

(١) نظم الدرر (٥: ٢٥).

آدم فمن سواه إلا تحت لوائي»[١]، وهذا من جملة إيراده لطرق الحديث وألفاظه وذكر مخرجيه.

٨ ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، قال: (وتقتل الأنثى بالذكر والذكر بها، لأن كلاً منهما مساوٍ للآخر وفاقاً للأصل المؤيد بقوله: ﷺ: «النساء شقائق الرجال»؛ احتياطاً للدماء التي انتهاكها أكبر الكبائر بعد الشرك)[٢].

٩ـ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، يقول: (كما قال ﷺ: «ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على حسب ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار»)[٣].

إلى غير ذلك من الأمثلة. وقد يذكر الحديث بلا تخريج ولا يتعرض لدرجته في بعض الأحيان.

ثالثاً ـ تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة:

لقد عني البقاعي في «تفسيره» بأقوال الصحابة عناية كبيرة، فنقل في «تفسيره» كثيراً من أقوالهم إضافة إلى اعتماده على الكتاب والسنة، ولا عجب في ذلك فهم الذين شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ وكانوا أفقه الأمة وأعلمهم بمقاصد الشرع وأحكامه، حتى كان أحدهم يرى الرأي فينزل القرآن بموافقته كما حصل لعمر بن الخطاب وسعد بن معاذ وغيرهما رضي الله عنهم.

وكان من أبرز الصحابة الذين نقل عنهم: الخلفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود

---

(١) نظم الدرر (٨: ١٢٧-١٢٨).

(٢) المصدر السابق (٣: ٢٥).

(٣) المصدر السابق (٣: ٩٥).

وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير، وسأكتفي هنا بذكر أربعة أمثلة من «تفسير البقاعي» تتجلى فيها عنايته بإيراد ما أثر عن الصحابة.

١ـ قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال: (كما قال أبو بكر رضي الله عنه في أول إسلامه: «وجدت بضاعة بنسيئة، ما وقعت على بضاعة قط أنفس منها، وهي: لا إله إلا الله»)[١].

٢ـ وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال: (وفي التفسير من «البخاري» عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: «إني لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت..»)[٢].

٣ـ وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قال البقاعي: (وعن علي رضي الله عنه أن ذلك باختيارهم الفداء يوم بدر الذي نزل فيه: ﴿لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال ٦٨]، وأباح لهم سبحانه وتعالى الفداء بعد أن عاتبهم، وشرط عليهم إن اختاروه أن يقتل منهم في العام المقبل بعد الأسرى فرفضوا وقالوا: نستعين بما نأخذه منهم عليهم ثم نرزق الشهادة..)[٣].

---

(١) نظم الدرر (٥: ١٤٦)، المصدر السابق أيضاً (١: ٧٣).

(٢) المصدر السابق (٦: ١٧)، وينظر: المصدر نفسه (٦: ١٨٧، ٢٩٢)، (٨: ٥٠٨).

(٣) المصدر السابق (٥: ١١٧)، وينظر: المصدر نفسه (١: ٧٢)، (٢: ٢٧٠)، (٣: ١٠١)، (..: ٣٤٤).

٤ـ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال البقاعي: (وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إنَّ الناس قد جمعوا لكم، وقال: كان آخر كلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل»)(١).

رابعاً ـ تفسير القرآن بأقوال التابعين:

التابعون هم الذين تتلمذوا على الصحابة واقتبسوا عنهم العلم ونقلوه لمن بعدهم، وبعد موت الصحابة وجدوا أنفسهم ملزمين بتفسير أكثر ما يمكن تفسيره من القرآن الكريم. وقد اشتهر بالتفسير منهم كثيرون، ومن أعيانهم الذين نقل عنهم البقاعي:

مجاهد بن جبر(٢) وسعيد بن جبير(٣) وعكرمة(٤) وعطاء(٥) والحسن البصري(٦) وسعيد بن المسيب(٧) والضحاك(٨) والشعبي(٩) ووهب بن منبه(١٠) ومحمد بن كعب

---

(١) نظم الدرر (٥: ١٣٠)، وينظر: (١: ٤٦١، ٤٦٥)، (٢: ١٤٣، ٢٧٠)، (٥: ٥٧، ٢٦٨)، (١٠: ١١١).
(٢) المصدر السابق (١: ٣٨٧)، (٣: ٣٦٨، ٢٨٠)، (٥: ٥٧)، (٨: ٣٦٧، ٨٠)، (٢٢: ٦).
(٣) المصدر السابق (٢: ٢٧٠)، (٣: ٣٦٧)، (٨: ٥٠٨)، (١٠: ١٧٨).
(٤) المصدر السابق (١٠: ١٣٣)، (٢٢: ٦).
(٥) المصدر السابق (٣: ٣٦٧)، (٨: ٥٠٨).
(٦) المصدر السابق (٨: ٢٦٦، ٣٨٣).
(٧) المصدر السابق (٦: ٣٢٠).
(٨) المصدر السابق (١٠: ١٥٧).
(٩) المصدر السابق (٣: ٦٢، ٣٦٧)، (٥: ١٩٤)، (٨: ٣١٩)، (١٠: ٨١).
(١٠) المصدر السابق (١: ٤٦٩).

القرظي[١] والكلبي[٢] والسدي[٣] ومحمد بن سيرين[٤] وأبي العالية[٥] وميمون بن مهران[٦] وطاوس[٧] وجعفر الصادق[٨] ومقاتل[٩].

وهذه أربعة أمثلة من «تفسير البقاعي» للقرآن الكريم، ما يراد ما نقل عن التابعين.

١ـ قال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]:

قال البقاعي: (أي: مطيعين، قاله الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وعطاء وقتادة وطاوس، وروى الطبراني في «الأوسط»، والإمام أحمد وأبو يعلى في «مسنديهما»، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كل حرف ذكر من القنوت في القرآن فهو الطاعة»، وقيل: القنوت: السكوت، ففي «الصحيحين» عن يزيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه، قال: «كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في حاجته حتى نزلت: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام»، وقال مجاهد: خاشعين، وقيل غير ذلك)[١٠].

٢ـ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٥٦].

---

(١) نظم الدرر (٥: ١٥٩).

(٢) المصدر السابق (١: ٤٧٦)، (٢: ٧٣)، (٥: ٢٤٤، ٣١٣).

(٣) المصدر السابق (٢: ٧٣)، (١٠: ٧١، ١٥٧).

(٤) المصدر السابق (٢: ٢٧٠).

(٥) المصدر السابق (٨: ٥٠٨).

(٦) المصدر السابق (٢: ٢٧٠)، (٨: ٥٠٨).

(٧) المصدر السابق (٣: ٣٦٧).

(٨) المصدر السابق (٥: ١٦٠)، (٨: ٢٠٣).

(٩) المصدر السابق (٨: ٢٧٥).

(١٠) المصدر السابق (٣: ٣٦٨). وينظر المصدر السابق أيضاً (١: ٣٨٧)، (٥: ٥٧)، (٨: ٣٦٧).

قال البقاعي: (وعن عكرمة أن فرعون قال ليوسف: قد سلطتك على مصر، غير أني أريد أن أجعل كرسيي أطول من كرسيك بأربع أصابع، قال يوسف: نعم)[١].

٣ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [براءة: ٦٠].

قال: (وقال أبو حنيفة: يجوز صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج الصدقة عنهم، لا أن تكون في جميع الأصناف، وهو قول عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس رضي الله عنهم، وسعيد بن جبير وعطاء وأبي العالية وميمون بن مهران»[٢].

٤ـ وقال تعالى ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

قال البقاعي: (قال محمد بن كعب القرظي: هو القرآن، ليس كلهم رأى النبي ﷺ)[٣]. وهذا منه تفسير للمنادي.

هذا هو الأساس الأول الذي يقوم عليه منهج البقاعي في «تفسيره»، وكان دقيقاً في نقله وواسع الاطلاع فيه، حيث كان يورد طرق الحديث وألفاظه ويذكر مخرجيه مع بيان درجة الحديث صحيحاً كان أو حسناً، مما يدل على طول باعه في علوم الحديث، ولا يعيب البقاعي هنا سوى أنه كان يذكر في «تفسيره» طائفة من الأحاديث بلا ذكر لدرجتها، وهذا في نظري من المآخذ التي توجه إليه.

* * *

---

(١) نظم الدرر (١٠: ١٣٣). وينظر: (٢٢: ٦).

(٢) المصدر السابق (٨: ٥٠٧-٥٠٨).

(٣) المصدر السابق (٥: ١٥٩).

المبحث الثاني
اعتماده على اللغة والنحو والصرف

لقد اهتم البقاعي بأمور اللغة ومسائلها كثيراً، لأنها وسيلة لفهم كلام الله تبارك وتعالى، فجاء «تفسيره» قوياً في بيانه رائعاً في ميدانه محكماً في تبيانه، فهو يعتمد اللغة لبيان أغراض الألفاظ، ويعتمد فقه اللغة لبيان أسرار الألفاظ في التعبير القرآني، ويعتمد النحو والصرف باعتبارهما وسيلة لفهم كلام الله عز شأنه، ولاختلاف المعنى باختلاف موقع اللفظة، أو الجملة من الإعراب، أو باختلاف مصدر اشتقاقها[١].

وفيما يأتي بيان لما ذكرته بالتفصيل.

أولاً ـ اعتماده على اللغة:

فسر البقاعي القرآن الكريم بتعرضه لبيان معنى المفردات وإعراب الكلمات وتصريف المشتقات أحياناً، كل ذلك كان بما ورد عن العرب، ومن أراد الزيادة في ذلك فليراجع مصادر البقاعي اللغوية، وكثيراً ما كان يستشهد بالشعر على معاني الكلمات القرآنية، معتنياً عناية فائقة بتحديد معنى الألفاظ وشرح مدلولات المفردات القرآنية.

وهذه بعض الأمثلة التي توضح هذا الأساس في «تفسيره»:

١ ـ ففي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢] يقول البقاعي مفسراً لكلمة «الريب»: (وأصله: قلق النفس واضطرابها، ومنه ريب الزمان، لنوائبه المقلقة)[٢].

---

(١) الفرق بين (بلو) و(بول) عند قوله تعالى: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧].

(٢) نظم الدرر (١: ٨٠).

٢ـ وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧] يفسر النقض بقوله: (وهو حلّ أجزاء الشيء بعضها عن بعض)[١].

٣ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] قال: (والتعليم تكرار العلم ليثبت لما في جبلّة المعلَّم من النسيان، و«آدم» من الأدم أو من الأديم وهو جلدة الأرض التي منها جسمه، وحظ ما فيه من أديم الأرض هو اسمه الذي أنبأ عنه لفظ آدم)[٢]. وعرّف البقاعي الذكر بقوله: (من الذكر بالكسر والضم بمعنى واحد يكونان باللسان والجنان، وقال الكسائي: هو بالكسر باللسان وبالضم بالقلب، والذي بالقلب ضد النسيان، والذي باللسان ضد الصمت، نقله الأصفهاني)[٣].

٤ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]؛ (أي: حسناً بالتحريك، وهو لغة فيه كالبُخْل والبَخَل، وذلك بأن يأمروهم بما أمر الله به وينهوهم عما نهى عنه)[٤].

٥ـ وفي قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] فسر الرفث بقوله: (وهو ما يواجه به النساء في أمر النكاح، فإذا غير فلا رفث عند العلماء من أهل اللغة، ويدل عليه وصله بحرف الانتهاء بياناً لتضمين الإفضاء: أي مفضين)[٥].

٦ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] فسر الشكر بقوله: (لأن أصل الشكور الدابة التي يظهر عليها ما تأكله سمناً وصلاحاً)[٦] وهذا التفسير منه لغوي بحت، لأن الشكر الاصطلاحي: تسخير ما أنعم الله به على العبد لما

---

(١) نظم الدرر (١: ٢٠٨)
(٢) المصدر السابق (١: ٢٤١).
(٣) المصدر السابق (١: ٣١٣).
(٤) المصدر السابق (٢: ٤).
(٥) المصدر السابق (٣: ٧٧).
(٦) المصدر السابق (٣: ٣٩٧).

خلق له، فيسخر اليد للطاعة، والعين والأذن كلًّا لما خُلِقَتْ لأجله، فيظهر أثر النعمة على العبد في تسخيرها لما خلقت هي لأجله، كما يظهر السمن على الدابة المسماة بـ«الشكور» بسبب ما تأكله).

٧ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩] يقول في تفسير الفتنة: (وأصل الفتن: الخلطة المحيلة، ويلزم منه أن يكون السبب عظيماً، لأنَّ الشيء لا يحول عن حاله إلا لأمر عظيم، لأن مخالفة المألوف عسرة، ومنه: النَّتف وكذا نفَتت القِدر وهو أن يغلي المرق فيلزق بجوانبها، والتَّنوفة: القَفر لأنه موضع ذلك»[1].

٨ ـ وعند قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢] يقول في تفسير لا جرم: (وأما لا جرم فقد اضطرب علماء العربية في تفسيرها، قال الرضي في «شرح الحاجبية» والبرهان السفاقسي في «إعرابه» ما حاصله: والغالب بعد «لا جرم» الفتح، أي: في «أن». فـ«لا» إمّا ردّ الكلام السابق ـ على ما هو مذهب الخليل ـ أو زائدة كما في «لا أقسم» لأن في «جرم» معنى القسم، وهي فعل ماض عند سيبويه والخليل مركبة مع «لا»، وجعلها سيبويه فعلاً بمعنى: حَقَّ، و«أنَّ» فاعله. وقيل: «جرم» بمعنى: حقَّ، وهو اسم «لا»، و«أنّهم» خبره، قال الكسائي: «معناها: لا صدَّ ولا منع». وعن الزجاج أنها غير مركبة، و«لا» نفيٌ لما قيل من أنَّ لهم أصناماً تنفعهم، و«جرم» فعل ماض بمعنى: كسب، وفاعله مضمر معبر به عن فعلهم، «أنهم» مفعول. وقال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمعنى: لابدَّ ولا محالة، لأنه يروى عن العرب: «لا جُرْم»؛ يعني بضمٍ ثم سكون، والفعل يعني هكذا، والفعل: يعني محركاً: يشتركان في المصادر، كالرشد والرشد، والبخل، والجرم: القطع، أي: لا قطع من هذا، كما أنَّ «لابدَّ» بمعنى: لا قطع، فكثرت وجرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم، فلذلك يجاب بها بما يجاب به القسم: فيقال: لا جرم لآتينك، ولا جرم أنك قائم، فمن فتح فللنظر إلى أصل «لا جرم»، كما تقول: لابد أن تفعل كذا،

(١) نظم الدرر (٨: ٢٨٠-٢٨١).

وأنك تفعل، أي: من أن تفعل ومن أنك تفعل، ومن كسر فلمعنى القسم العارض في «لا جرم»، انتهى)[١].

وواضح من نقله هذا: أنه يعتمد أقوال علماء اللغة ويتعرض لآرائهم في تفسيره، وليس هذا فحسب، بل إنه في كثير من الأحيان يختار ويرجح ما يراه لائقاً بالمقام فمن ترجيحاته مثلاً: يقول بعد نقله أقوال اللغويين وآراءهم في كلمة «لا جرم» ما نصه (فتفسيره لها بالقطع نظراً منه إلى أن مادة «جرم» بخصوصها دائرة على القطع، والأصح: تفسيرها بالظن نظراً إلى ما تدور عليه المادة من حيث هي بأي ترتيب كان من «جرم، وجمر، ورمج، ومجر، ومرج)[٢] ونقل عن اللغويين، وتكلم في اللغة في مواضع كثيرة غير المذكورة[٣].

- وأحياناً يستدل لبيان المعنى اللغوي بالشعر، فمثلاً:

٩- عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] يذهب إلى أنه ليس المراد من ﴿أَوَّلَ﴾ ظاهر معناه المتبادر إلى الذهن، فإن العرب كثيراً ما تطلق الأول ولا تريد حقيقته، بل المبالغة في السبق كما قال قيس بن صبابة وقد قتل شخصاً من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل أخاه خطأ ورجع إلى مكة مرتداً:

حللت به وتري وأدركتُ ثـؤرتي وكنتُ إلى الأوثان أول راجـع[٤]

١٠- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] فسر ﴿وَسَطًا﴾ بقوله: (أي شريفة خياراً، لأن الوسط العدل الذي نسبة الجوانب كلها إليه سواء، فهو خيار الشيء).

---

(١) نظم الدرر (٩: ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) المصدر السابق (٩: ٢٦٠).

(٣) المصدر السابق (١: ٤٥٦)، (٣: ٢٤٣-٢٥٩)، (٥: ١٩٣)، (١٠: ٢٤٠).

(٤) المصدر السابق (١١: ٣١٧).

قال أبو تمام الطائي:

كانت هي الوسط المحميّ فاكتنفتْ بها الحوادث حتى أصبحت طرفا[١]

١١ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٥] استشهد واستأنس بما ينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو ما ينسب للشافعي:

النـاس من جهـة التمثيل أكْفـاءُ أبـوهـمُ آدمٌ والأمُّ حـواء

نَفْسٌ كنـفسٍ وأرواح مـشاكلـة وأعظمٌ خلقت فيهم وأعـضـاء

فإنْ يكن لهم في أصلهم حـسبٌ يفـاخـرون بـه فالطيـن والمـاء

وذكر سبعة أبيات[٢].

واستدل بقول الأشتر النخعي ببيتين[٣] وقول كعب بن زهير[٤] ونجيد بن عمران الخزاعي[٥] ويزيد بن مقسم الثقفي[٦] وعنترة[٧] وحسان بن ثابت[٨].

ـ وكذلك، فإن البقاعي يتعرض كثيراً لبيان دلالات الصيغ والألفاظ، فهو يبين:

١ـ **دلالة الاسم**: كدلالة الجملة الاسمية حيث يقول: (ولعله أتى بالجملة الاسمية

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢٠٦).

(٢) المصدر السابق (٦: ١٢٧).

(٣) المصدر السابق (٨: ٣).

(٤) المصدر السابق (٨: ٣٠٤).

(٥) المصدر السابق (٨: ٣٤٠).

(٦) المصدر السابق (١٠: ٢٤٠).

(٧) المصدر السابق (٥: ٩٣).

(٨) المصدر السابق (١٠: ٢٥٨، ٤٣٤).

ـ أي: في قوله تعالى ـ ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨] المفيدة لنفي الثبات والدوام، أدباً مع الله تعالى في عدم الحكم على المستقبل)[١].

ودلالة جمع القلة: فعند قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٢] يقول: (وأتى بجمع القلة في ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ونكر الرزق مع المشاهدة لأنهما بالغان في الكثرة إلى حد لا يحصى، تحقيراً لهما في جنب قدرته إجلالاً له)[٢].

ودلالة جمع الكثرة: فعند قوله تعالى: ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٨] يقول: (ولما كن السياق هنا لتعداد النعم حسن أن يعبر عن ذنبهم بجمع الكثرة فقال: ﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ إشارة إلى أنهم أصروا عليها بحيث كادوا أن يجعلوا بإزاء كل نعمة ذنباً)[٣].

ودلالة التنكير: فعند قوله تعالى ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

قال: (ونكره لعدم مقتضى لتعريفه)[٤] ذلك لأنه معروف لديهم وهو سيدنا موسى عليه السلام، وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]، قال: (أي: عظيم من أهلها، لأن الأهل أعظم في الشهادة)[٥].

ودلالة الافتعال: فعند قوله تعالى ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ﴾ [البقرة: ١٣٠] في كلامه تعالى في سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول: (وهو افتعال من الصفوة وهي ما خلص من اللطيف عن كثيفهِ ومكدّره، وفي صيغة الافتعال من الدلالة على التعمد والقصد ما يزيد فيها يشير إليه من الشرف)[٦].

---

(١) نظم الدرر (٦: ١١٩-١٢٠).

(٢) المصدر السابق (١: ١٤٧-٣٠٥).

(٣) المصدر السابق (١: ٣٩٦-٣٩٧).

(٤) المصدر السابق (١: ٤٠٨).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٦٨).

(٦) المصدر السابق (٢: ١٦٤).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧]، قال: (وكأن صيغة الافتعال المؤذنة بالتكلف والعلاج، إشارة إلى أن الدين لا يرجع عنه إلا بإكراه النفس لما في مفارقة الإلف من الألم)[١].

ودلالة المفاعلة: ففي قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٩] يقول: (والمفاعلة، في أصلها للمبالغة؛ لأن الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده)[٢].

وقوله تعالى: ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١] يقول: (وصيغة المفاعلة تفيد أن الجثة تريد أن يكون القاتل وراءها، والقاتل يريد أن تكون الجثة وراءه فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر)[٣].

ودلالة تكرير الضمير: فعند قوله تعالى: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧] قال: (وفي تكرير الضمير تنبيه على أن هؤلاء اختصوا بهذا الجهل وأنَّ غيرهم وقفوا على الهدى)[٤].

ودلالة «كلما»: كقوله عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥] قال: (والإتيان بأداة التكرار يدل على أن الشبه يزاد عظمة في كل مرة فيزداد العجب)[٥].

٢ـ دلالة الفعل: فمن جملة ما ذكره من دلالة الفعل:

أ ـ الفعل الماضي: فقال في كلامه على «حسب»: قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ

(١) نظم الدرر (٣: ٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (١: ١٠٦).

(٣) المصدر السابق (٦: ١٢٣).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٤٨).

(٥) المصدر السابق (١: ١٩٣).

﴿فِتۡنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١] نقل عن الواحدي قوله: «إن الأفعال على ثلاثة أضرب: فعل للثبات والاستقرار، كالعلم واليقين والبيان، تقع بعده «أنَّ» الثقيلة دون الخفيفة، وفعل للزلزلة والاضطراب، كالطمع والخوف والرجاء فلا يكون بعده إلا الخفيفة الناصبة للمضارع، وفعل يقع على وجهين: كحسب، تارة تكون بمعنى «طمع» فتنصب، وتارة بمعنى «علم» فترفع، فإن رفع هنا كان الحسبان بمعنى العلم عندهم لقوة عنادهم، وإن نصب كان بمعنى الطمع لأنهم عالمون بأن قتلهم لهم خطأ، فتنزل القراءتان على فريقين والله أعلم»[١].

ومن جملة ذلك دلالة الفعل «فعل» الماضي:

فإنه قال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]: (أي بحسب التدريج متكفلاً بفصل الوقائع)[٢].

ودلالة الفعل الماضي «تفعل»؛ حيث قال عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ٩٢] ما نصه: (وأشار بصيغة التفعّل إلى أن ذلك إنما يعمل بمعالجة النفس للفطرة الأولى)[٣].

ومن جملة ما ذكره من دلالات الفعل:

ب ـ **دلالة الفعل المضارع**: وقد أوضح في غضون «تفسيره» أن له دلالات متعددة، منها:

ـ **دلالته على الاستقبال**: فعند قوله تعالى: ﴿وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٧٨] يقول: (الظاهر أنه سبحانه أشار بهذه الصيغة المستقبلية إلى قتلهم النبي ﷺ بالسمّ في خيبر)[٤] فيكون هذا على الأصل من حقيقة دلالة الفعل المضارع على الاستقبال.

---

(١) نظم الدرر (٦: ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (٨: ١٩٧-١٩٨).

(٣) المصدر السابق (٦: ٢٩٤).

(٤) المصدر السابق (٢: ٣٢).

ـ **دلالته على الحال**: كقوله عند قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩]: (أي: هم في غاية الجلافة، حتى لا شعور لهم يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الآن، بما دلت عليه «ما» في الآية السابقة الدالة على أن المضارع للحال، و«لا» فيما يستقبل من الزمان، لأنَّ «لا» لا تقارنه إلا وهو بمعنى الاستقبال)[1].

ـ **دلالته على الاستجلاب**: كقوله عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]: (وعبر بالمضارع استجلاباً لمن ضل بسؤال شيء من ذلك إلى الرجوع بالتوبة ليزول عنه الاستمرار فيزول الضلال)[2].

٣ـ **دلالة الحرف**: وذلك كدلالة لفظة «مِن» فإنها:

تفيد التبعيض، كقوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] قال: (وحكم الإتيان بـ«من» التبعيضية في هذه السورة دون بقية القرآن، أنه سبحانه لما فرض لهم فيه الريب الذي يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل أو سمعوا أن أحداً عثر له على شبيه، اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أنَّ المطلوب منهم في التحدي قطعة من ذلك المثل الذي ادعوه)[3].

وتفيد عدم الاستغراق؛ كقوله عند قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢١٣]: (ولما كان الخلاف ربما كان أمراً غامضاً بين أنَّ الأمر على غير ذلك، مشيراً بإثبات حرف الجر إلى أنه لم يستغرق الزمان)[4].

٤ـ **دلالات أُخَر**: كدلالة الفعل المبني للمجهول، فمثلاً:

---

(١) نظم الدرر (١: ١١٢-١١٣).

(٢) المصدر السابق (٢: ١٠٢).

(٣) المصدر السابق (١: ١٦٥).

(٤) المصدر السابق (٣: ٢٠١)، وينظر: (١: ٣٦٦، ٣٨٣).

عند قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ٢١٢] يقول: (فقال مستأنفاً بانياً الفعل للمفعول دلالة على ضعف عقولهم بأنه يغترون بكل مزين)[١] وعند قوله تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ [آل عمران: ٢٥] قال: (والبناء للمفعول للإفهام بسهولة ذلك عليه)[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] قال: (وعبر بالمجهول على طريقة كلام القادرين)[٣].

هذا وهناك دلالات أُخَر متعددة آثرنا حذفها اختصاراً، كدلالة لفظة الاسم الموصول «مَنْ»[٤] ودلالة جمع التكسير[٥]، ودلالة الفعل المضارع على التجدد وتصوير الحالة وبيان دوام العزم[٦]، ودلالة الحرف «ثم والفاء»[٧]، ودلالة حذف النون من «يكن»، ودلالة الاشتراك[٨]، وكدلالة إسقاط تاء التأنيث وإسقاط أداة الاستعلاء، ودلالة الإدغام والفك، ودلالة الجمل[٩].

ثانياً ـ اهتمامه بفقه اللغة:

اهتم البقاعي بفقه اللغة اهتماماً بالغاً، ويتضح هذا من الرجوع إلى «تفسيره»، فهو

---

(١) نظم الدرر (٣: ١٩٤).

(٢) المصدر السابق (٤: ٣٠٦)، وينظر: (٢٢: ٣٧، ٩٤).

(٣) المصدر السابق (٥: ١٥).

(٤) المصدر السابق (٢: ٢٦٧).

(٥) المصدر السابق (١: ٣٠).

(٦) المصدر السابق (١: ٤٠٢)، (٣: ٢٠٩)، (٥: ٣٦٤).

(٧) المصدر السابق (١: ٣٨٢، ٣٩٢).

(٨) المصدر السابق (٨: ٣٠٥)، (٢: ٧١).

(٩) المصدر السابق (٥: ١٤٤)، (٧: ٢٦)، (٣: ٣٣٢)، (٤: ٣٨).

في بعض الأحيان يتكلم في فقه كلمة لغوية في صفحة واحدة[١]، وأحياناً في صفحتين فأكثر[٢]، وفي كثير من الأحيان يستطرد في الكلام في فقه اللغة فيتعرض لتقاليب الكلمة واشتقاقها، ومعاني الألفاظ المتولدة من تلك التقاليب، فيتجاوز في الكلام على ذلك أكثر من عشر صفحات[٣].

وإذا أراد أن يمهد للكلام في ذلك أشار بألفاظ متعددة فمثلاً يقول: (والمادة ترجع إلى كذا)[٤]، أو (وهذه المادة تدور على كذا)[٥]، أو يقول: (ومادتها بأي ترتيب كان تدور على كذا)[٦]، أو يقول: (ومادة كذا بجميع تقاليبها أو تصاريفها)[٧].

أو يقول: (ومادة كذا واوية أو يائية مهموزة وغير مهموزة بتراكيبها الأحد عشر)[٨]. ويقول: (غير هذا قريباً منه)[٩].

وأحياناً يذكر تقاليب المادة وتصاريفها، أو مدار الكلمة ولكنه لا يشير لذلك[١٠] فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣] قال: بعد قوله: (وعبارة الرؤيا بالعبور من علنها إلى سرها كما تعبر، من عبر النهر ـ أي: شطه ـ إلى عبره الآخر، ومثله: أولت الرؤيا؛ إذا ذكرت مآلها ومرجعها المقصود بضرب المثل)[١١]،

---

(١) نظم الدرر (١: ٤٦)، (٢: ٧٩)، (٣: ٨٩)، (٤: ٣٣)، (٨: ١٤٠)، (١٠: ٢١٠).

(٢) المصدر السابق (٨: ٢٦٣-٢٦٥)، (١٠: ١٤٧-١٥١، ١٦٣-١٦٧).

(٣) المصدر السابق (١٠: ٣٧-٤٦).

(٤) المصدر السابق (٨: ١٤٠، ٣٨٤).

(٥) المصدر السابق (٨: ٢٠٢، ٣٣٠)، (١٠٠: ٥٥).

(٦) المصدر السابق (٨: ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٠٧، ٣١٠، ٣٢٠).

(٧) المصدر السابق (٨: ٣٣٩، ٤٩١)، (١٠: ٣٣).

(٨) المصدر السابق (١٠: ٢٠٣، ٣١٩).

(٩) المصدر السابق (١٠: ٩).

(١٠) المصدر السابق (٨: ٢٦٣-٢٦٥، ٢٨٠).

(١١) المصدر السابق (١٠: ٩٩).

ثم قال: (والمادة بتراكيبها الستة: عرب، وعبر، ورعب، وربع، وبعر، وبرع، تدور على الجواز من محل إلى محل، ومن حال إلى حال، وأكثر ذلك إلى أجود، فالعرب سموا عرباً؛ لأن مبنى أمرهم على الارتحال لاستجادة المنازل، وأعرب: إذا أفصح؛ أي: تكلم بكلام العرب فأبان عن مراده، أي أجازه من العجمة والإبهام إلى البيان، وأعرب الفرس: إذا خلصت عربيته، فكأنه جاز مرتبة الهجن إلى العرب، وكذلك الإبل العراب، والعروبة: يوم الجمعة؛ لعلو قدرها عن بقية الأيام، والعروب: المرأة الضحاكة العاشقة لزوجها المتحببة إليه المظهرة له ذلك، وهي أيضاً: العاصية لزوجها، لأنّ كل ذلك من أفعال العرب، فهم أعشق الناس وأقدرهم على الاستمالة بالكلام العذب، وهم أعصى الناس وأجفاهم إذا أرادوا، والعربُ ـ ويحرك ـ: النشاط، لأنه انتقال عن الكسل، وقد عَرِبَ ـ كفرح ـ: إذا نشط وإذا ورم، لأنَّ الوارم يتجاور هيئة غيره، وعربت البئر: إذا كثر ماؤها فارتفع، وعرب كضرب: أَكَل، والعَرَبة محركة: النهر الشديد الجري، والنفسُ لكثرة انتقالها بالتفكر، والعربون: ما عقد به المبايعة من الثمن، فنقل السلعة من حال إلى حال، واستعربت البقر اشتهت الفحل، إما من العروب العاشقة لزوجها، وإما لنقل الشهوة لها من حال إلى أخرى، وتعرّب: أقام بالبادية مع الأعراب الذين لا يوطنون مكاناً، وإنما هم مع الربيع، وعروباء: اسم السماء السابعة؛ لارتفاعها عن جميع السماوات فكأنها جازت الكل، ولأن حركتها حركة للكل، والعرب: بالكسر، يبيس البهمي، لأنه صار أهلاً للنقل ولو بتطيير الهواء، والعربي: شعير أبيض سنبله حرفان، فإنه نسب إلى العرب لجودته، والإعراب: إجراء الفرس ومعرفتك بالفرس العربي من الهجين، لانتقال حال الجهل بذلك إلى حال العلم، وأن لا يلحن في الكلام، كأنه انتقل بذلك من العجمة إلى العربية، وعرِب الرجل: بالكسر: إذا أتخم، وكذا الفرس من العلف، ومعدته فسدت، وجرحه بقي به أثر بعد البرء، كل ذلك ناقل من حال إلى غيرها، والتعريب: تهذيب المنطق من اللحن كأنه رفع نفسه إلى العرب، وقطع سعف النخل، لأنه نقلها عن حالها إلى أصلح منه وأن تُكوى الدابة على أشاعرها ثم تبزغ بمبزغ، والتعريب أيضاً والإعراب: ما قبح من الكلام، وتقبيح قول القائل، كأنه حكم بزوال

عربيته، وهما أيضاً الرد على القبيح وذلك إدخاله في خصال العرب التي هي معالي الأخلاق، وهما أيضاً النكاح، أو التعريض لأنه نقله من حال إلى حال، وفعل إلى فعل قولاً وعملاً، والتعريب الإكثار من شرب الماء الصافي، واتخاذ فرس عربي، وما بها من عريب: أي أحد يعرب)[١].

ثم بعد هذا أخذ في الكلام على «عبر» وتصاريفها، و«رعب» واشتقاقاتها كراعب ورعبوبة، ورعب، وتكلم على «بعر» و«ربع» و«برع»[٢].

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] قال: (﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أصيل، دائماً في جميع البلاد وفي وسط النهار في بعض البلاد)، ثم قال: (ومادة «صلا» واوية وبائية مهموزة وغير مهموزة بتراكيبها الأحد عشر، وهي: صلو، صول، لصو، لوص، وصل، صلي، صيل، لصي، ليص، صأل، تدور على الوصلة)[٣] ثم أخذ في الكلام على كلِّ لفظة لفظة، المتولدة من مدار الكلمة «صلا» واشتقاق كل لفظة فيها، ففي «صلو»: تكلم عن الصلاة وسبب تسميتها، وعلى أصلت الناقة وصليت: إذا استرخى صلوها، والمصلِّي من خيل الحلبة، وصال الرجل، والتصويل، والمصول، والصيلة، وهكذا في سائر مدار كلمة «صلى» في ألفاظها الأحد عشر[٤].

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣] قال: (وكل معنى من هذه المعاني راجع إلى لازم لمعنى المادة الذي مدارها عليه، لأن مادة «علا» واوية بجميع تقاليبها الست، «علو، عول، لوع، لعو، وعل، ولع»، ويائية بتركيبيها «ليع، عيل»: تدور على

---

(١) نظم الدرر (١٠: ٩٩-١٠٢).

(٢) المصدر السابق (١٠: ١٠٢-١٠٩).

(٣) المصدر السابق (١٠: ٣٠٣-٣٠٤).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٣٠٣-٣١٠).

الارتفاع ويلزمه الزيادة والميل، فمن الارتفاع: العلو، والوعل، والولع، ومن الميل والزيادة: العول، وبقية المادة يائية وواوية؛ إما للإزالة، وإما لأحد المعاني.. على ما يأتي بيانه[١].

ثم أخذ في الكلام على كلٍّ لفظة لفظة من مدار كلمة «عول» واشتقاق كل لفظة، بحدها والمعاني التي تخرج إليها[٢]. ومثل هذا النمط في الاشتقاق في «تفسيره» كثير[٣].

هذا والذي يلاحظ في ذكره لتقاليب المادة واشتقاقها، أنه لم يتعرض لها متهافتة مبعثرة بل بنسق رتيب لطيف، وهذا منه في أغلب الأحيان، ولكنه قد يخرج عن ذلك فمثلاً: في كلامه عن مدار الكلمة «عبر» في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]: جعل لفظة «عرب» أصلاً، ثم انتقل إلى توليدها بانتظام. وفي كلامه على كلمة ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] جعل لفظة «صلو» أصلاً ثم قام بتوليدها إلى مشتقاتها، وكذلك لفظة «علو».

وهاك جدولاً يفصح عن الانتظام في توليده الألفاظ في الاشتقاق المسمى بـ«الأكبر»:

عرب[٤]	صلو[٥]	علو[٦]
١ـ ع ر ب	ص ل و	ع ل و
٢ـ ع ب ر	ص و ل	ع و ل
٣ـ ر ع ب	ل ص و	ل و ع
٤ـ ر ب ع	ل و ص	ل ع و
٥ـ ب ع ر	و ص ل	و ع ل
٦ـ ب ر ع	و ل ص	و ل ع

(١) نظم الدرر (٥: ١٨٢).

(٢) المصدر السابق (٥: ١٨٢-١٩٠).

(٣) المصدر السابق (٨: ٤٠٤-٤١٦).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٩٩).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٣٠٣-٣٠٤).

(٦) المصدر السابق (٥: ١٨٢).

وهو في أكثر الأحيان يتعرض للاشتقاق العام والمسمى «بالاشتقاق الصرفي»؛ لأنه الذي تتعرف الألفاظ عن طريقه، ويشتق بعضها من بعض، ومعنى هذا افتراض الأصالة في بعض الألفاظ والفرعية في بعضها الآخر(١).

ويقال طغا: كدعا، يطغو طغوى وطغواناً: بضمها، كطغى يطغى، وطغي كرضي طغياً وطغياناً: بالكسر والضم، فالطغوى بالفتح اسم، وبالضم مصدر، فقلبت الياء ـ على تقدير كونه يائياً ـ واواً للتفرقة بين الاسم والصفة(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] قال: (وأصلها من: نارَ، إذا نفر؛ لتحركها واضطرابها)(٣).

وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] أخذ اشتقاق الكلمة فقال: (فالصلاة وصلة بين العبد وربه، وصلوات اليهود: تعبداتهم، والصلا: وسط الظهر منا، أو من كل ذي أربع، أو ما انحدر من الوركين. وأصلت الناقة وصلت: إذا استرخى صلواها لقرب نتاجها، والمُصلِّي من خيل الحلبة: الذي يجيء على إثر السابق، فإنه يواصله، وصلى الحمارُ أُتنه: طردها وقحمها الطريق؛ وصال الرجل صولة: إذا سطا واستطال، وصال الفحل على الإبل: إذا قاتلها، والتصويل: إخراجك الشيء بالماء؛ لأن ذلك سبب الخلوص، والصيلة: عقدة العَذَبة لتواصل محل العقد).. إلخ(٤).

---

(١) فصول في فقه اللغة العربية: د. رمضان عبد التواب (٢٥٨). وينظر: الصاحبي: ابن فارس (٥٧)، المزهر في علوم اللغة: السيوطي (١: ٣٤٦، ٣٤٧).

(٢) نظم الدرر (٢٢: ٨١).

(٣) المصدر السابق (١: ٨: ١).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٣٠٤-٣١٠).

ثالثاً ـ اهتمامه بالنحو والصرف:

اهتم بالنحو والصرف أيضاً كاهتمامه بالجوانب اللغوية التي سبقت، ولذا تراه ينقل عن العلماء أقوالهم في إعراب الكلمات وتصريفاتها، ولبيان ذلك نجتزئ بعض الأمثلة:

النحو:

١ـ فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] قال: (ولما كان القول تحكى به الجمل فتكون مفعولاً بها، ويعمل في المفرد إذا كان مصدراً أو صفة لمصدر كقلت حقاً، أو معبراً به عن جملة كقلت شعراً، وما كان على غير هذا كان إسناداً لفظياً لا فائدة فيه، غير مجرد الامتثال رفع قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: عظيمة لذنوبها، قال في «الكشاف»: والأصل النصب إلا أنه رفع ليعطي معنى الثبات)[1].

٢ـ وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١] قال: (وانتصب ﴿أَرْبَعِينَ﴾ بوقوعه موقع المفعول الثاني لـ﴿وَٰعَدْنَا﴾، أي: انقضاء أربعين، أي: الكلامَ أو إنزال التوراةَ عند انقضاء الأربعين)[2].

٣ـ وعند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] يقول: (والواجب في الإعراب والبيان الإفصاح عن ترتيب معانيها، وعلى هذا يجب أن تكون: ﴿أَن﴾ اسماً والفعل صلتها، نحو مَنْ وما..)، ثم نقل قول سيبويه على كلمة «فأما» بقوله: (ولما تضمن «أما» معنى الشرط ـ كما فسره سيبويه ـ بمهما يكن من شيء ـ أجيب بالفاء في قوله: ﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ الآية [البقرة: ٢٦][3].

وكثيراً ما ينقل أقوال النحويين في كتبهم ويرجح ما يراه لائقاً في كثير من الأحيان،

---

(١) نظم الدرر (١: ٣٩٤).

(٢) المصدر السابق (١: ٢٦٢).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٠٤، ٢٠٥).

فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] يقول: (قالوا: ورفع «يكون» للاستئناف، أي فهو يكون، أو العطف على «يقول» لاقتضاء الفاء أن القول مع التكوين فيلزم قدم التكوين. وقال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب «الحجة»: إن ذلك لا يطّرد في مثل ثاني حرفي «آل عمران» وهو قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ لأنه لا يحسن تخالف الفعلين المتعاطفين بالمضي وغيره، وأوّلَ قولَه:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيتُ ثم أقول لا يعنيني

بأن معناه: مررت ماضياً، وطعن فيه أبو شامة: بأن «يكون» في الآية ماضٍ مثله، وقد صرح أبو علي ـ والحقُّ معه ـ[1] بأنه على بابه، يعني: وفائدة التعبير به مضارعاً، تصوير الحال والإرشاد إلى أن التقدير: كن فكان، لأنه متى قضى شيئاً قال له: «كن فيكون»، وجعل الأحسن عطفه على «كن» لأنه وإن كان بلفظ الأمر فمعناه الخبر، أي: يكون، وقال: إن ذلك أكثر اطراداً لانتظامه لمثل قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، وهذا الموضع مجمع على رفعه، وكذا قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾)[2]، ونقل أيضاً غير هذا[3].

وهذا دليل واضح على اهتمامه بالنحو والنقل بأمانة عن أئمته، وما يختاره هو من أقوال سديدة وآراء صائبة في هذا المجال مما يدل على طول باعه في هذا الميدان. وللمزيد من ذلك، تراجع مصادره النحوية الواردة في المبحث السادس في الفصل الثاني من الباب الثاني من بحثنا هذا، ليتضح مدى اهتمامه بأمور النحو، واعتنائه بالنقل عن أئمة النحاة، وترجيحاته وما يختاره هو من أقوال وآراء[4].

---

(١) وهذا من اختيارات البقاعي وترجيحاته.

(٢) نظم الدرر (٢: ١٢٩-١٣٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق (٨: ٤٠٤، ٤١٠-٤١٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق (١: ٤٦٨، ٤٨٣)، (٢: ١٣٠، ٢٣٨)، (٣: ٤٣١-٤٣٢)، (٤: ٤٣١-٤٣٢)، (٦: ٤٩، ١٢٤، ١٨٥، ٣٣٦)، (٨: ٧٥، ٢٩٨، ٥٠٩)، (١٠: ١٥).

الصرف:

كما اهتم البقاعي بأمور النحو اهتم أيضاً بقضايا التصريف ومسائله، فمثلاً: يعيد الكلمة إلى أصلها، كما فعل في مواضع كثيرة منها:

١ـ عند تفسيره قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٩] قال في كلامه على ﴿يُغَاثُ﴾: (من الغيث وهو المطر، أو من الغوث وهو الفرج، ففي الأول يجوز بناؤه من ثلاثي ومن رباعي، يقال: غاث الله الأرض وأغاثها: أمطرها، وفي الثاني من رباعي خاصة يقال: استغاث به فأغاثه من الغوث وهو واوي، ومعناه النفع يأتي على شدة حاجته بنفي المضرة، والغيث يائي وهو المطر الذي يأتي وقت الحاجة)[١].

٢ـ وعند قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٩٨] قال عن لفظة ﴿عَرَفَٰتٖ﴾: (وليست تاؤه للتأنيث فتمنعه الصرف بل هي علامة جمع المؤنث)[٢].

ويتكلم عن وزن الكلمة في مواضع كثيرة منها:

٣ـ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥] قال: (هي فعالة، تفهم فيها التاء للمبالغة والغلبة، وهو قيام أمر مستعظم)[٣].

٤ـ وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ [آل عمران: ٣] قال عن ميزان التوراة: (وهو: فوعلة، لو صرفت من الوَرْي وهو قدح النار في الزند، استثقل اجتماع الواوين فقلب أولهما تاء، كما في اتخاذ واتّلاج واتّزاز واتّزان ونحوه)[٤].

ويتعرض أيضاً للكلام على الإبدال:

---

(١) نظم الدرر (١٠: ١١٤-١١٥).

(٢) المصدر السابق (٣: ١٤٩).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٣).

(٤) المصدر السابق (٤: ٢٠٨). وينظر: (٦: ٢٠٠-٢٠٢)، (٨: ٢٤٤).

٥ـ فعند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩] قال: (أي: الميراث، أصله: وراث أبدلت الواو تاء)[1].

❊ ❊ ❊

(١) نظم الدرر (٢٢: ٣٦).

المبحث الثالث

إكثاره من الأسرار البلاغية في «تفسيره»

في أثناء مطالعتي لتفسير البقاعي وجدتـه يعني كثيراً بالأسرار البيانية واللطائف البلاغية ووجوه الإعجاز البياني في أسلوب القرآن الكريم، حيث نصَّ على ذلك بقوله: (عن الإمام الرازي أنه قال: ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلّا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأسرار)[1].

ففي بيانه لأسلوب القرآن الكريم يعرض مثلاً:

لأسباب تغيير السياق في النظم القرآني الكريم: فعند قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال: (وغيّر السياق فلم يقل: ولا تحسنون إلا إلى الوالدين[2]؛ إفهاماً لأن الإحسان إليهما يشركهما فيه من بعدهما، وجبر فوات هذا الحصر بتقديمها إيذاناً بالاهتمام)[3]. وأحياناً يتعرض لسبب إيراد الأسلوب بهذا الطريق دون غيره، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ..﴾ [البقرة: ٢١٠] قال: (أي: ينتظرون إذا زلوا، سائقاً له في أسلوب الإنكار وصيغة الغيبة مجردةً عن الافتعال، تنبيهاً على أن الزالّين في غاية البعد عن مواطن

---

(١) نظم الدرر (١: ٩).

(٢) وذلك لأنّ سياق الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

(٣) نظم الدرر (٢: ٢).

الرأفة، والاستحقاق بمظهر الكبر والنقمة بإعراض السيد عن خطابهم وإقباله من عذابهم على ما لم يكن في حسابهم)[١]. وأحياناً يتعرض لبيان أسرار أسلوب القرآن الكريم بمقابلته بألفاظ العرب وحكمهم، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] تعرض لعلو كلام الله جل جلاله وبلاغته وارتفاعه على غيره من كلام العرب في قولهم: القتل أنفى للقتل، وأن العرب استرشقوا هذه اللفظة وأطبقوا على استجادة معناها مع أن فيها من العيوب ما لا يخفى)[٢]. وفي بعض الأحيان يبين الدلالة القرآنية الخفية المناسبة لمعنى فيه مقتضى ظاهر تلك الدلالة، كما فعله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧٢] حيث أشار إلى إخفاء أمر القتل بصفة فيها معنى الإخفاء، فهو يقول: (ولما كانوا قد أنكروا القتل سبب عنه قوله مشيراً إلى إخفائه بالإدغام)[٣].

ويذكر أحياناً جمال أُسلوب القرآن المتجلّي بترتيب آيات متعددات، فهو يقول عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]: (ولقد استولى الترتيب والتعبير في هذه الآيات الثلاث على الأمد الأقصى من الحسن، فإنها بُدئت بمن أراد أن يخفي ما أوضحته البراهين من أمر الإلـه في الأحياء، بأن ادعى لنفسه المشاركة بإحياء مجازي بلفظ «إلى» الدال على بعده ولعنه وطرده ثم بمن استبعد إحياء القرية، فأراه الله سبحانه وتعالى كيفية الإحياء الحقيقي آية له، وتتميماً للرد على ذلك مع الإقبال عليه بالمخاطبة ولذة الملاطفة، ثم بمن سأل إكرام الله تعالى له، بأن يريه كيف يحيي الموتى فيثبت، ثم أثبتت ثم أكدت، ومناسبة الثلاث بكونها في إحياء الأشباح بالأرواح لما قبلها وهي في إحياء الأرواح بأسرار الصلاح أجل مناسبة)[٤].

---

(١) نظم الدرر (٣: ١٨٣).

(٢) المصدر السابق (٣: ٣٠-٣١).

(٣) المصدر السابق (١: ٤٧٥).

(٤) المصدر السابق (٤: ٦٢، ٦٣).

وأحياناً يُساق الكلام مساق جواب، فيقدر له البقاعي محذوفاً، مفرداً أو جملة أو جملاً متعددة، كفعله وتقديره عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] حيث قال: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾؛ أي: بآذاننا، ﴿وَعَصَيْنَا﴾، أي: عملنا بضد ما سمعنا، وساقه لغرابته مساق جواب سائل كأنه قال: رفع الطور فوقهم أمر هائل جداً مقتضٍ للمبادرة إلى إعطاء العهد ظاهراً وباطناً والثبات عليه، فما فعلوا، فقيل: بادروا إلى خلاف ذلك. وأُشربوا[1]..).

وهو في بعض الأحيان يبين سبب اختلاف التعبير في آيتين متقاربتين، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠] قال: (وما أنسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق لاجتماعهما في الخروج عن محيط، هذا خروج يُحيي، وذاك خروج يميت)، ثم قال: (ولأنَّ هذا سياق الامتنان عبر بالانفجار الذي يدل معناه على انشقاق فيه سيلان وانبعاث مع انتشار واتساع وكثرة، ولما لم يكن سياق الأعراف للامتنان عبر بالانبجاس الذي يدل معناه على مجرد الظهور والنبوع)[2].

وأحياناً يذكر السبب في إيراد اللفظة كذا مثلاً بدل كذا، فعند قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: ٢٠٢] قال: (ولو قال طلبوا ـ مثلاً، يعني بدل كسبوا ـ لم يعم جميع أفعالهم، ولو قال: فعلوا، لظن خروج القول، فعدل إلى قوله: ﴿كَسَبُوا۟﴾)[3].

وأحياناً يوضح أنَّ الظاهر يقتضي التعبير بكذا فيعبر بغيره لمقصود لطيف، كقوله عند قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] (أي: تتركون حملها على ذلك ترك الناسي، ولعله عبر به ـ أي عبر بالنسيان بدل الترك ـ زيادة في التنفير عن هذا

---

(١) نظم الدرر (٢: ٥٣، ٥٤)، وينظر: (١: ٤١٥)، (٢: ٦٠)، (٤: ٦١، ٧٦، ٨١، ٨٥)، (٥: ٣٣، ٨٢، ٨٥).

(٢) المصدر السابق (١: ٤٠٤-٤٠٥)، وينظر: (٣: ٢٣٢، ٢٣٣).

(٣) المصدر السابق (٣: ١٦١)، وينظر: (١: ١٢٤)، (٣: ١٧٣)، (٥: ٢٧١)، (١٠: ٨٤)، (٢٢: ٨١).

الأمر الفظيع)[١] وأحياناً يشير إلى تعبير القرآن بلفظ قد يكون غير مراد به حقيقته بل معنى آخر: وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١] فإنه أشار إلى أنَّ الأولية هنا خرجت مخرج المبالغة في الذنب فلا مفهوم له، ويقول: (وعبر به تنبيهاً على أنهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب كانوا ـ لما عندهم من العلم بصحته ـ في غاية اللجاجة فكان عملهم في كفرهم وإن تأخر عمل من سابق شخص إلى شيء... إلخ)[٢]، ومثل هذا في إيضاح ما يتعلق بأسلوب القرآن في «تفسيره» كثير غير ما ذكرناه[٣].

ومن جملة اعتناء البقاعي بجوانب القرآن الكريم إكثاره من التطبيقات البلاغية في فنونها الثلاثة البيان والمعاني والبديع، فلا تمر آية يجدها مناسبة للاستدلال على فرع من فروع البلاغة كالتشبيه والاستعارة والكناية والجناس والمطابقة إلا وقف عندها.

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

أولاً ـ البيان:

وقد أوضح ما يتعلق بفن البيان في آي القرآن، فمثلاً:

ـ تكلم عن المجاز: (وهو ما استعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح، مع قرينة عدم إرادة المعنى الموضوع له)[٤].

فعند قوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] قال: (فإسناد الجري إليها مجاز)[٥]، وهذا من إطلاق الجري على المحل وهو النهر وإرادة الحال وهو ماؤه.

---

(١) نظم الدرر (١: ٣٣٦).

(٢) المصدر السابق (١: ٣١٧).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٢٨، ٢٥٨، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٥، ٤٠٤، ٤٥٨)، (٤: ١٧٧).

(٤) مختصر المعاني (٥٣١).

(٥) نظم الدرر (١: ١٩٢).

وعند قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] يقول: (وإطلاق الموت على ما لم تحله حياة مجاز)[١].

وعند قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١٦٧] أوضح أن المجاز هنا إنما هو بإطلاق المسبب على السبب[٢] لأنه لا يريهم نفس الأعمال حسرات، وإنما الأعمال كانت هي سبب الحسرات فكانت كأنها هي، وهذا يسمى بالمجاز المرسل علاقته السببية والمسببية، وكذلك: قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] أطلق الكلمة عليه، وهذا من إطلاق السبب على المسبب[٣]، وهذا المثال على خلاف الذي قبله.

وقد يطلق المصدر ويريد به اسم المفعول، وهو من المجاز أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] أي بدم مكذوب، أطلق عليه المصدر مبالغة[٤]، وقد يطلق المصدر ويريد به غيره كقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣] فقال: (أي من الحق، إسناد مجازي، لأن البعيد أهل الضلال بميلهم عن الباقي إلى الفاني)[٥]. وقد يطلق الكل يريد به الجزء، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] أوضح ذلك بقوله: (فإطلاقهم ملتهم على السكوت عنهم من إطلاق اسم الكل على الجزء..)[٦].

وقد يتكلم عن استعمال لفظ في حقيقته ومجازه، وأنه يجوز حمله على الأمرين، فعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ

---

(١) نظم الدرر (١: ٢١٤).

(٢) المصدر السابق (٢: ٣١١)، وينظر: (٤: ٣٦٦)، (٥: ٥٥)، (٦: ٢٧٠)، (١٠: ٤٢٥).

(٣) المصدر السابق (٤: ٣٦٦)، وينظر: (٥: ١٩٦).

(٤) المصدر السابق (١٠: ٣١).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٣٧٤).

(٦) المصدر السابق (١٠: ٣٩٧).

مَنْ ءَامَنَ ﴾ [البقرة: ٦٢]، فقال: (﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾ أي: منهم بدوامه على الإيمان إن كان آمن قبل ذلك، ودخوله في الإيمان إن كان كافراً فيكون من الاستعمال في الحقيقة والمجاز)[١].

ـ وتكلم عن الكناية: وهي «لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته، كلفظ «طويل النجاد» فإن معناه طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة «طول النجاد» أيضاً[٢]، وقد عرفها البقاعي نفسه بقوله: (الكناية ذكر اللازم وإرادة الملزوم)[٣].

وقد ذكر ذلك البقاعي موضحاً لـها في آي الذكر الحكيم فمثلاً: عند قوله تعالى ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧] قال: (والمعنى: فلنجازينك، ولكنه كفى بالسبب عن المسبب إجلالاً له ﷺ وإفادة؛ لأن المؤاخذة تقع على الكل لأنه ينتفي بانتفاء الجزء)[٤]. وعند قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: ٢٣] قال: (أي: راجعته الخطاب ودارت عليه بالحيل. فهو كناية عن المخادعة التي هي لازم معنى «راد يرود» إذا جاء وذهب). وعند قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] قال: (فهو كناية عن أن يحصل له من الشدائد ما يميت من قضى بموته)[٥].

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] قال: (فهو كناية عن الضيق كما أنَّ العطاء بغير حساب كناية عن السعة)[٦]. وتكلم عن وجه الإعجاز في القرآن الكريم، فنقل في ذلك قول بدر الدين الزركشي في كتابه «البرهان» عن الإمام أبي سليمان الخطابي، ثم قال بعده: (وأول كلامه يميل إلى أنّ الإعجاز بمجرد النظم من غير نظر إلى

---

(١) نظم الدرر (١: ٤٥٧)، وينظر: (٥: ٢٩٦، ٥١٠)، (٦: ٢٨).

(٢) المطول: التفتازاني (٤٠٧)، تخليص المفتاح: الخطيب القزويني (٦٠١) ضمن مختصر المعاني.

(٣) نظم الدرر (٣: ٣٤٥).

(٤) المصدر السابق (٦: ٢٣٠).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٣٩٩).

(٦) المصدر السابق (٢٢: ٣٣).

المعنى، وآخره يميل إلى أنه بالنظر إلى النظم والمعنى معاً من الحيثية التي ذكرها، وهو الذي ينبغي أن يُعتقد، لكن في التحدي بسورة واحدة، وأما بالعشر فبالنظر إلى البلاغة في النظم فقط. نقله البغوي في تفسيره سورة هود عن المبرد، وقد مر آنفاً مثله في كلام الجاحظ)[١].

ثانياً ـ المعاني:

وقد تكلم في هذا مثلاً عن الحذف حيث أشار إلى أن الحذف قد يكون لأجل التعميم كحذف مفعول قوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] حيث قال: (حذف متعلق الإيمان تعمياً في السلب منهم لما ذكروا)[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال: (وحذف المفعول للتعميم)[٣].

وقد يكون حذفه للعلم به كقوله عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨]: (أي: أوقعتم الإفاضة، ترك مفعوله للعلم به)[٤]. وقد يحذف الجار والمجرور كحذفه لفظة «منهم» في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا﴾ [البقرة: ٥٩][٥] وقد يحذف ما يسمى بالعامل، فعند قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] قال: (ولذا قال مشيراً بحذف العامل إلى ضيق المجال عن ذكره لعظم الهول وسرعة التعذيب عند مسها بالأذى)[٦]، وكل هذا الحذف في القرآن الكريم لغرض لطيف.

وتكلم في علم المعاني أيضاً ببيان ما في القرآن من إظهار في موضع يقتضي الإضمار:

---

(١) نظم الدرر (١: ١٧٧-١٨١).

(٢) المصدر السابق (١: ١٠١).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٣٨). وينظر: (١: ١٢٥)، (٣: ١٢٣).

(٤) المصدر السابق (٣: ١٤٨).

(٥) المصدر السابق (١: ٣٩٩).

(٦) المصدر السابق (٢٢: ٨١).

فعند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] قال: (وأظهر موضع الإضمار لإعراضهم عن القرآن وسترهم لأنواره[١]، لأن الأصل أن يقال: والله محيط بهم لسبق ذكرهم). وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ [آل عمران: ٤] (أظهر موضع الإضمار لغرض تعليق الحكم بالوصف وهو الكفر، أي الستر لما تفضل عليهم به من الآيات)[٢]. وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣] ذكر أن الله تعالى أظهر الصلاة مع أنّ الأمر يقتضي إضمارها لسبق ذكرها تنبيهاً على عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده[٣]. وقد يكون الإظهار موضع الإضمار لغرض التعميم[٤] وذلك كقوله عند قوله تعالى: ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ [المائدة: ١٠٢]: (كرر «عنها» مع أن الأصل إضمارها لئلا يختص بما قبله)[٥].

ويتكلم أيضاً موضحاً ما في القرآن من الخبر أريد به النهي أو الأمر مثلاً[٦]، ويتكلم أيضاً عما يتعلق بلازم فائدة الخبر، لأن المقصود من الخبر إفادة المخاطب كون المخبر عالماً بالحكم، وإنما سموه بذلك لأنه كلما أفاد الحكم أفاد أنه عالم به[٧] فعند قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] يقول: (لأن المقصود بإخباره ليس مضمون الخبر، وإنما هو شيء من لوازمه، وهو هنا التحسر)[٨].

وأوضح أيضاً ما في القرآن الكريم من البلاغة مما يسمى بـ«الحصر»، وهو: تخصيص

(١) نظم الدرر (١: ١٢٣)، وينظر: (٢: ٤٣).

(٢) المصدر السابق (٤: ٢١٥).

(٣) المصدر السابق (٥: ٣٨٥).

(٤) المصدر السابق (٥: ٨٥، ٩٢، ٩٥، ٤٣٧)، (٦: ١٨٧).

(٥) المصدر السابق (٦: ٣١٧).

(٦) المصدر السابق (٢: ٢).

(٧) مختصر المعاني (٧٨، ٧٩).

(٨) نظم الدرر (٤: ٣٥٢).

أمر بآخر بطريق مخصوص، ويقال أيضاً: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه[١]. وتكلم أيضاً عما يسمى بـ«القصر» وهو: تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا تجاوزه إلى غيره أصلاً، وهذا هو المسمى بالحقيقي.

والإضافي: هو بالإضافة إلى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة[٢].

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١١٧] قال: (وهذا الحصر يصح أن يكون للقلب على أن ﴿دُونِ﴾ أي في قوله تعالى قبل هذا: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]ـ بمعنى غير، وللإفراد: على أنها بمعنى سفول المنزلة، وهو من بدائع الأمثلة)[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ﴾ [البقرة: ١٩٣] قال: (﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾: أي أوقعوا الإحسان على العموم بما أفهمه قصر الفعل)[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء: ١١٧] قال: (وإن هذا القصر قلب قصر، لاعتقادهم أنـها آلهة، ومعنى الحصـر: ما هي إلا غير آلـهة لما لها من النقص)[٥] وأوضح ما يسمى بالفصل والوصل[٦] فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] نقل عن الحرالي قوله: (ومن إفصاح العرب

---

(١) معترك الأقران، السيوطي (١: ١٨١).

(٢) التعريفات: السيد الشريف الجرجاني (١٥٣). وينظر: المطول: التفتازاني (٢٠٤).

(٣) نظم الدرر (٦: ٣٦٦).

(٤) المصدر السابق (٣: ١٢٢).

(٥) المصدر السابق (٥: ٤٠٥).

(٦) الفصل ترك عطف بعض الجمل على بعض، والوصل عطف بعضها على بعض. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: أحمد مطلوب (٣: ١١٨).

عطف الأوصاف المتكاملة فيقال: فلان كريمٌ وشُجاعٌ؛ إذا تم فيه الوصفان، فإذا نقصا عن التمام قيل: كريم شجاع، بالإتباع، فبذلك يقبل معنى هذه القراءة أن تكون ﴿ٱلْوُسْطَىٰ﴾ هي العصر عطفاً لوصفين ثابتين لأمر واحد) ثم قال: (ويوضح ما قاله رحمه الله تعالى قولهم في الرمان المز: حلو حامض، من غير عطف، وبرهانه أنهم قالوا: إن الجمل إذا تتابعت من غير عطف كان ذلك مؤذناً بتمام الاتصال، فتكون الثانية إما علة الأولى، وإما مستأنفة على تقدير سؤال سائل، ونحو ذلك مما قاله البيانيون في باب الفصل والوصل)[1].

ـ وعرض للكلام فيما خرج من الاستفهام عن حقيقته في آيات الذكر الحكيم، فعند قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ١٥٤] أوضح أن الاستفهام هنا مراد به النفي، فقال: (ولكون الاستفهام بمعنى النفي تثبت أداة الاستغراق في قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾)[2] كما أوضح أن الاستفهام قد يجيء للتوبيخ، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]، قال: (ومن جعل الهاء في ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ بدلاً عن همزة الاستفهام فالمراد عنده: أنتم يا هؤلاء الغرباء مني تحبونهم، فهو استفهام وإن كان من وادي التوبيخ، والمراد به التنبيه والتهييج المنقول من سافل الدركات إلى عالي الدرجات)[3] وقد يجيء الاستفهام أيضاً للإنكار[4] وللتعجب[5].

ثالثاً ـ البديع:

وقد تعرض البقاعي في «تفسيره» لإيضاح المحسنات اللفظية والمعنوية في آيات القرآن الكريم وألفاظه.

---

(١) نظم الدرر (٣: ٣٦٥، ٣٦٦).

(٢) المصدر السابق (٥: ٩٨).

(٣) المصدر السابق (٥: ٣٩). وينظر: (٥: ٢٢٦)، (١٠: ٢٤٠).

(٤) المصدر السابق (١: ٤٩٦)، (٢: ١٢، ٩٨)، (٤: ٢٩٧)، (٥: ٢٢٧).

(٥) المصدر السابق (٤: ٢٢٠، ٤٥٢).

هذا وقد تكلم فيما تكلم فيه من علم البديع: عن:

١ـ الاحتباك:

فمثلاً عند قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣] أشار إلى أن هذه الآية من الاحتباك حيث حذف لفظة «مؤمنة» من قوله «فئة» أي فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله بدليل أنه أثبت لفظة «كافرة» في غيرها. وأثبت لفظة «في سبيل الله» وحذف من مقابلها «في سبيل الشيطان»[(١)].

٢ـ الجناس:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] حيث قال: (وجناس الأسف مع يوسف مما لم يتعمد، فيكون مطبوعاً، فيَصل إلى نهاية الإبداع، وأمثاله في القرآن كثير)[(٢)].

٣ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [براءة: ٧٤] حيث قال: (فكان الأقعد في ذمهم تأخير قوله: من فضله، فهو من باب ولا عيب فيهم)[(٣)].

---

(١) عرف البقاعي نفسه الاحتباك بقوله: وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارة أخرى: وهو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازاً ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه. نظم الدرر (٤: ٢٦٣). وينظر أيضاً: المصدر السابق (١: ٢٢٤، ٢٥، ٣٠٢)، (٢: ١٤، ٢٨٨)، (٣: ٦٤، ١٧٤، ٢٢٢، ٢٢٩)، (٤: ٧٥، ٨١، ١٥٥، ٢٦٣)، (٥: ٢٢، ٨٣)، (١٠: ٤٩، ٨٦).

(٢) نظم الدرر (١٠: ١٩٦). والجناس: هو ما اختلف ركناه في الحركات والحروف بأن يوجد في كل من اللفظين جميع ما يوجد في الآخر من الحروف أو أكثر لكن لا يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق. ينظر: نفحات الأزهار: النابلسي (١٢-٣٩).

(٣) نظم الدرر (٨: ٥٥٠-٥٥١).

وهذا إشارة إلى البيت في تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم   بهن فلولٌ من قراع الكتائب

٤ـ اللف والنشر:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] حيث قال: (بدأ بهم: أي بالذين اسودت وجوههم، لأن النشر المشوش أفصح، ولأن المقام للترهيب وزيادة النكاية لأهله)[١].

ويذكر غير هذه أيضاً:

كالالتفات[٢] والمشاكلة[٣] والاحتراس[٤] والاستخدام[٥] والمقابلة[٦] والتكرار[٧] وأسلوب الحكيم[٨] والمذهب الكلامي[٩].

(١) نظم الدرر (٥: ٢٢). وينظر: (٥: ٨٩)، (١٠: ٣١٨). واللف والنشر: هو أن يؤتى بمتعدد على التفصيل والإجمال ثم يذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه». ينظر: مختصر المعاني: التفتازاني (٣٧٦).

(٢) نظم الدرر (١: ٣٢، ١٦١، ٢١٢، ٢٥٤)، (٤: ٢٤، ٣٠، ٢٢٠، ٢٥١، ٤٢٢)، (٨: ٣٧٨، ٣٧٩)، (١٠: ١٧٧).

(٣) المصدر السابق (٣: ١١٧)، (٥: ٤٤٨).

(٤) المصدر السابق (٢: ٣٥٠).

(٥) المصدر السابق (٣: ٩٢)، (٥: ٤٣٢)، (٨: ٤٧٢).

(٦) المصدر السابق (٨: ٢٢٢).

(٧) المصدر السابق (١: ٢٩٦)، (٤: ١٣٧، ١٧٩)، (٥: ٣٢، ٤٢٨)، (٦: ٢٩٤، ٣٤١).

(٨) المصدر السابق (٣: ٤٤٢).

(٩) المصدر السابق (١٠: ٢٣٦).

المبحث الرابع
عنايته بسبب النزول وزمانه ومكانه

لأسباب النزول فوائد جمة تسهم في فهم القرآن وتعين على تفسيره وإتقان حفظه، لأنّ ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث والأشخاص والأمكنة والأزمنة كل ذلك من وسائل فهم الآيات القرآنية على الوجه الصحيح ورسوخها في الأذهان. فجهل المفسرين بأسباب النزول كثيراً ما يوقعهم في اللبس والإيهام فيحيدون عن الصواب في تفسير الآيات وفهمها، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها، ويوضح ذلك الدكتور صبحي الصالح فيقول: «وإن التعبير عن سبب النزول بالقصة ليوحي بالحكمة البالغة في معرفة الأسباب التي دعت إلى تنزيل الوحي، ويجعل آيات القرآن تتلى في كل زمان ومكان بشغف وولوع ولطرد السآمة عن جميع القارئين بما توالى عرضه من حكايات أمثالهم وأقاصيص أسلافهم، كأنها حكاياتهم هم إذ يرتلون آيات الله أو أقاصيصهم ساعة يطربون لوحي السماء»[١].

ويقول الشيخ أبو الفتح القشيري: «بيان سبب النزول طريق قوي في فهم الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تختلف بالقضايا»[٢].

فهذا العلم موقوف على الصحابة الذين شاهدوا التنزيل فلا يصح فيه القول بالاجتهاد، كذلك اعتنى المفسرون عناية فائقة في كل العصور، ومنهم مفسرنا البقاعي،

---

(١) مباحث في علوم القرآن: صبحي الصالح (١٣٠).

(٢) البرهان: الزركشي (٢٣).

فقد اهتم به اهتماماً بالغاً، ومنحه في «تفسيره» مكانة سامية، فنقل الكثير من أسباب النزول عن الصحابة رضي الله عنهم من الكتب الأصيلة التي تضم أسباب النزول كصحيحي البخاري ومسلم، ومن الكتب المؤلّفة في هذا المجال خاصة كأسباب النزول للواحدي وغيره. وهذه جملة من الأمثلة على ذلك، فمثلاً:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] يذكر سبب النزول فيقول: (روى البخاري في التفسير عن البراء رضي الله عنه قال: «لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ .. ﴾ الآية». وروى البخاري والترمذي والنسائي عن البراء أيضاً رضي الله عنه قال: «كان الرجل إذا صام فنام لم يأكل إلى مثلها، وإنّ صرمة بن قيس الأنصاري رضي الله عنه، فذكر حديثه في نومه قبل الأكل وأنه غشي عليه قبل انتصاف النهار فنزلت الآية»[1].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] يذكر سبب النزول فيقول: (وقد روى أبو داود والترمذي، وهذا لفظه، وقال حسن صحيح، والنسائي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه: «إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، وقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت فلو أقمنا في أموالنا، فأنزل الله هذه الآية، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو»، وروى البخاري في التفسير عن حذيفة رضي الله عنه: «﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾» قال: نزلت في النفقة)[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن

---

(١) نظم الدرر (٣: ٧٩-٨٠).

(٢) المصدر السابق (٣: ١٢٢).

رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] يذكر سبب النزول فيقول: (وروى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه، قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم، فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج)[1] وذكر غير هذا[2].

ويذكر في بعض الأحيان أسماء من نزلت في حقهم الآيات: كالمنافق الأوسي نبتل بن الحارث وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل» وكان يأتي رسول الله ﷺ يتحدث إليه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أُذن[3]، وأوس بن قيظي الأوسي الذي قال يوم الخندق: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾[4] وبشير ابن أبيرق أبو طعيمة الأوسي، وهو سارق الدرعين الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٧][5]، وكالجد بن قيس الخزرجي الذي قال: ﴿ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ﴾ [التوبة: ٤٩]. وعبد الله بن أبي، رأس المنافقين وإليه كانوا يجتمعون وهو القائل: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨]. وفيه وديعة العوفي ومالك بن أبي نوفل وسويد وداعس وهم خزرجيون. من رهطه، نزل فيهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [الحشر: ١١][6].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] يقول: (إنها نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه؛ لأنه لما هجر أرادت

---

(١) نظم الدرر (٣: ١٤٨).

(٢) ينظر: (٤: ٨٨)، (٥: ٤٣، ٤٩، ٦١، ١٨٠).

(٣) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٤) المصدر السابق (١: ١٠٣).

(٥) المصدر السابق (١: ١٠٤).

(٦) المصدر السابق (١: ١٠٤-١٠٥).

قريش رده فجعل لهم ماله حتى خلوا سبيله فقال له النبي ﷺ: «ربح البيع» فعلى هذا يكون شرى بمعنى اشترى)[1]، وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [براءة: ٥٨] يذكر سبب النزول فيقول: (قيل إنها نزلت في ذي الخويصرة لما قال للنبي ﷺ وهو يقسم غنائم حنين: اعدل يا محمد فإني لم أرك تعدل، فقال له النبي ﷺ: «ويلك أومن يعدل إذا لم أعدل)[2].

وفي بعض الأحيان يذكر أكثر من سبب لنزول الآية ويذهب إلى جواز أن تتعدد الأسباب فمثلاً: يقول: (إنّ سبب إنزال فرائض الميراث في شريعتنا النساء، ففي «الصحيحين» وغيرهما عن جابر رضي الله عنه، قال: «مرضتُ فعادني رسول الله ﷺ فأتاني وقد أغمي علي»، وفي رواية البخاري في التفسير: «عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمه ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ، فصب علي وضوءه فأفقت، فقلت: يا رسول الله: كيف أصنع في مالي؟» وفي رواية لمسلم «إنما يرثني كلالة» فلم يجبني بشيء»، وفي رواية الترمذي: «وكانت لي تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث». وفي رواية البخاري: «فنزلت»، وفي رواية للترمذي: «حتى نزلت ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء: ١١]»، وفي رواية للترمذي: «حتى نزلت آية الميراث ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾ الآية [النساء: ١٧٦]» وقال: حديث صحيح. ولأبي داود والترمذي وابن ماجه والدار قطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً، ولا تنكحان إلا ولهما مال قال: يقضي الله عز وجل في ذلك، فنزلت آية الميراث» وفي رواية أبي داود: «ونزلت الآية في سورة النساء ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾»، وفي رواية الدارقطني: «فنزلت

(١) نظم الدرر (٣: ١٧٧).
(٢) المصدر السابق (٨: ٥٠٣).

سورة النساء، وفيها: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ...﴾ إلى آخر الآية [النساء: ١١]»). ونقل رواية أبي الشيخ أن سبب نزول الآية موت رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت. كما نقل أيضاً رواية الثعلبي والبغوي أن سبب نزولها موت أوس بن الصامت. كما نقل أيضاً أنّ سبب نزولها هو موت عبد الرحمن، أخي حسان الشاعر، ثم قال بعد هذا كله: (فجميع هذه الروايات ـ كما ترى ـ ناطقة بأن سبب نزول آيات الميراث النساء، ويمكن أن يكون المجموع سبباً، والله أعلم)[١].

وفي بعض الأحيان يذكر وقت نزول الآية، فذكر مثلاً: إن قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أنزلت يوم تمام الحج بعد عصر يوم عرفة والنبي ﷺ على ناقته يخطب[٢].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٧٢] يقول: (وأيضاً: فإن هذه السورة نزلت في أوائل الأمر بعد وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة)[٣].

(وإن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية [المائدة: ٢] نزل قبل نزول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة: ٢٨] سنة تسع)[٤].

كما أنه يذكر أول آية نزلت في القتال، وأنها: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠][٥].

---

(١) نظم الدرر (٥: ٢٤٢-٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (٢: ٢٦٤-٢٦٥).

(٣) المصدر السابق (٨: ٣٣٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٦: ١٠). وينظر أيضاً: (٦: ٣٨).

(٥) المصدر السابق (٣: ١٠٦).

ويذكر كذلك آخر آية نزلت مثلاً، يقول: (وروى البخاري في التفسير عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما أنزلت الآيات الأواخر ـ وفي رواية ـ من آخر سورة البقرة في الربا، قرأهنّ النبي ﷺ وفي رواية ـ على الناس في المسجد ـ ثم حرم التجارة في الخمر، وله عن ابن عباس رضي الله عنه قال آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا، ولأبي عبيد عن ابن شهاب قال: «آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين، وله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: «آخر آية نزلت من القرآن: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] قال: وزعموا أن رسول الله ﷺ مكث بعدها تسع ليال، وبُدئ به يوم السبت ومات يوم الاثنين، انتهى، ولا مخالفة لأنها من آية الربا والدين، وروى الحديث أبو عمرو الداني في كتاب «البيان في عدد آي القرآن» وقال فيه: «قال الملك اجعلها على رأس ثمانين ومئتين من البقرة»[1]) ويذكر أيضاً غير هذا: كالمدني والمكي[2] وتفصيل القرآن إلى سور وآيات[3] كما يذكر الوقوف[4].

❊ ❊ ❊

---

(١) نظم الدرر (٤: ١٤٢-١٤٣).

(٢) المصدر السابق (٣: ١٠٥)، (٥: ٤٣٨)، (٢٢: ١٨).

(٣) المصدر السابق (٨: ٣٥٥).

(٤) المصدر السابق (٥: ٥٩).

المبحث الخامس
موقفه من القراءات

المتتبع لتفسير البقاعي يجد أنه قد أولى اهتماماً بالغاً وعناية بمسألة القراءة القرآنية، ومعلوم أن معرفة القراءات يعين على فهم كتاب الله العزيز، ويظهر إعجازه برواياته. والمتواتر من ذلك سبع قراءات تسمى بالقراءات السبع، والآحاد منها ثلاث مكملات للعشر، والشاذ منها إلى الأربعة عشر.

ويمكن أن ينطوي هذا المبحث على ثلاثة أمور:

الأمر الأول ـ نقله للقراءات القرآنية:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] يقول: (أجمع القراء السبعة على بنائه؛ أي على بناء «جدال» مع «لا» على الفتح دون ما قبله: لأن البناء دال على نفي الماهية، ونفيها موجب لنفي جميع أفرادها. أما الرفع فإنما يدل على نفي فرد منكر من تلك الماهية وهو لا يوجب نفي جميع الأفراد)[١].

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢] يقول: (هذا على قراءة عاصم، و«كان» في قراءة غيره تامة)[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

(١) نظم الدرر (٣: ١٤١).
(٢) المصدر السابق (٤: ١٥٧).

قال: (ثم استأنف في قراءة حمزة وابن عامر بالكسر - أي بكسر همزة إنّ - لجواب مَنْ كأنه قال: بأي شيء نادته الملائكة؟ قوله: إنَّ الله يبشرك...)[١].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [براءة: ٣٧] أوضح أنَّ قراءة الجماعة ببناء لفظة «يضل» للفاعل: (أي يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله، والمعنى على قراءة حمزة والكسائي وحفص، بالبناء للمفعول: أي: يضلهم مضلّ من قبل الله، وعلى قراءة يعقوب بالضم: يضلهم الله)[٢].

الأمر الثاني - توجيهه للقراءات:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [البقرة: ١٩١] يقول: (وفي التعبير بالفعل في جواب المفاعلة في قراءة الجمهور، أو الفعل في قراءة حمزة والكسائي، بشارة بنصرة المبغي عليه وقوة إدالته)[٣].

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤] قال: (﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾: رفعه نافع على حكاية الحال في وقتها بمعنى أنّ الغاية والمغيا قد وجدا ومضيا فهما ماضيان، وكأنك تحكي ذلك حين وقوعه، مثل من يقول عن مريض يشاهده: مرض حتى لا يرجونه، فإن النصب بتقدير «أن» وهي علم الاستقبال، فهي لا تنصب إلا مضارعاً بمعناه، ونصبه الجماعة على حكاية الحال أيضاً: لكن بتقدير أن الزلزال مشاهد والقول منتظر حقق ذلك المتبين)[٤].

وعند قوله تعالى حكاية لقول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ

---

(١) نظم الدرر (٤: ٣٦٥).

(٢) المصدر السابق (٨: ٤٥٢-٤٥٣).

(٣) المصدر السابق (٣: ١١٢).

(٤) المصدر السابق (٣: ٢٠٨).

يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ [يوسف: ١١] يقول: (وأجمع القراء على حذف حركة الرفع في «تأمنُ»، وإدغام نونه بعد إسكانه تبعاً للرسم؛ بعضهم إدغاماً محضاً، وبعضهم مع الإشمام، وبعضهم مع الروم، دلالة علة نفي سكون قلبه عليه، عليهما الصلاة والسلام، بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون، ولو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فات هذا الإيماء إلى هذه النكتة البديعية)[1] وغير هذا من توجيهه للقراءات كثير في «تفسيره»[2].

الأمر الثالث ـ ذكره للقراءات الشاذة وتوجيهها:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] قال: (وقرأ سعيد بن جبير «إنْ» خفيفة و«عباداً أمثالكم»، بنصب الدال واللام، واتفق المفسرون على أنّ «إنْ» هي النافية أعملت عمل «ما» الحجازية فرفعت الاسم ونصبت الخبر، وإعمالها هذا العمل فيه خلاف، أجازه الكسائي وأكثر الكوفيين، ومن البصريين، ابن السراج والفارسي وابن جني، ومنع منه الفراء وأكثر البصريين، واختلف النقل عن سيبويه والمبرد، والصحيح أنّ إعمالها لغة ثبت ذلك في النظم والنثر؛ ذكر ذلك كله أبو حيان، وذكر أنه أشبع الكلام فيه في «شرح التسهيل»، واعترض على هذا التخريج بأنه يلزم منه منافاتها للقراءة المشهورة، وإنما يسلم له ذلك لتوارد النفي والإثبات على شيء واحد وليس الأمر هنا كذلك، فالإثبات لمماثلتها لهم في مطلق العجز، والنفي لمساواتها لهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش ونحوه، أو يكون الأمر كما قال الزمخشري: إنّ الإثبات على سبيل التنزل، والنفي على الحقيقة)[3].

---

(١) نظم الدرر (١٠: ٢٦).

(٢) المصدر السابق (١: ٣٩٥)، (٢: ١٢٦، ١٣٨، ١٥٣، ٢٣٣، ٢٧٠)، (٣: ٣٧٧)، (٤: ١٤٠، ٢٦١، ٢٩٢، ٤٠٩)، (٥: ٣٤، ٨٥، ٨٦، ١٣٩، ٢٠٣، ٢٣٣).

(٣) المصدر السابق (٨: ١٩٥-١٩٦).

وعند قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣] قال: (وقرئ شاذاً بالمثلثة، فيكون عظمه حينئذ مخصوصاً بالأنواع)[١].

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [براءة: ٣٧] يقول: (﴿زُيِّنَ﴾: أي زَيَّنَ مُزَيِّن، وقُرِئ شاذاً بإسناد الفعل إلى الله)[٢].

* * *

(١) نظم الدرر (٨: ٣٤٦).

(٢) المصدر السابق (٨: ٤٥٣).

المبحث السادس
اهتمامه بالتناسب بين الآيات والسور

لو تتبعنا التفاسير التي ألفت قبل تفسير البقاعي لوجدنا أن هذه الفكرة دارت بين العلماء أخذاً ورداً ابتداءً من أبي بكر النيسابوري والغزالي وأبي بكر بن العربي وابن تيمية حتى وصلت إلى ابن القيم، ثم مرت هذه الفكرة لدى الإمام الشاطبي، ثم جاء البقاعي فتحدث عنها حديثاً عظيماً، واهتم بها اهتماماً لا نظير له في كتابه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» في أسلوب لم يسبقه إليه غيره، وكيفية غطى بها كل آية وسورة في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، فلم يقتصر على آية دون آية أو سورة دون سورة كما فعل من سبق البقاعي، ولم يكتف بذلك بل وضع للتناسب أصولاً، وأسس له علماً يأتسي به من جاء بعده، ولذلك يعد البقاعي ـ في نظري ـ في هذا الباب الرائد الأول.

ومن خلال مطالعتي لتفسيره وجدت أنّ الكلام هنا عن التناسب يدور على أربعة أمور ذكر البقاعي بعضها واستنتجت البعض الآخر من مجمل ما جرى عليه في عمله للتناسب وهي:

الأمر الأول ـ تعريف المناسبة:

عرف البقاعي المناسبة فقال: هي علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب[1].

---

(١) نظم الدرر (١: ٥). ويمكن أن تعرف التناسب بأوضح من ذلك فتقول: «المناسبة هي العلاقة الرابطة بين =

الأمر الثاني ـ فائدة علم المناسبة:

هو: كشف طريقين من طرق الإعجاز، أحدهما نظام كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب. وبه يظهر كمال حسن المعنى واللفظ في كتاب الله العزيز، وبذلك يستقر الإيمان بالقلب ويرسخ في اللب[١].

الأمر الثالث ـ العمل للتناسب:

قال البقاعي: (والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم)[٢].

وأيضاً: فإنه يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلّا بربطٍ ركيكٍ يصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه[٣]. وقد أوضح هذه العلامة المشدالي بقوله: (الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين أجزاء القرآن)[٤].

= شيء وآخر بمقتض من عموم وخصوص وإطلاق وتقييد وإجمال وتفصيل وكلية وجزئية وتقابل وتماثل وتوافق وتفارق وما إلى ذلك في اللفظ والمعنى».

(١) نظم الدرر (١: ١١-١٣).

(٢) المصدر السابق (١: ٨).

(٣) المصدر السابق (١: ٧).

(٤) المصدر السابق (١: ١٨).

هذا والذي ينبغي أن يُعلم أيضاً: أنّ علم التناسب علم صعب يحتاج إلى تأمل شديد وإعمال فكر للوقوف على الرابط بين الجزء والجزء.

ولهذا فإن البقاعي نفسه يقول: (ولا تظنن أيها الناظر لكتابي هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها والرفع لستورها، فرب آية أقمت في تأملها شهوراً، منها: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٢١]، ومنها: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ومن أراد تصديق ذلك فليتأمل شيئاً من الآيات قبل أن ينظر إلى ما قلته ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت فيه وما حصل لي من قبل الله ومن العون، سواء ظهر له وجه لذلك عند تأمله أو لا)[1] ويقول أيضاً موضحاً صعوبة الأمر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] (وهذه الآية من المواضع المستعصية على الأفهام بدون توقيف على المراد بالفضل إلا عند من آتاه الله سبحانه وتعالى علماً بالمناسبات وفهماً ثاقباً بالسياقات، وفطنة في الأحوال والمقامات تقرب من الكشف)[2].

الأمر الرابع ـ نتيجة المناسبة:

هي أنَّ القرآن الكريم قطعة واحدة وسبيكة متحدة وحلقة مفرغة قد التحم أوله بآخره وآخره بأوله، ولهذا فإن البقاعي يوضح أن طرفي القرآن قد اتصلا فكان ختماً لا أول له ولا آخر، والفاتحة محيطة به، لا يقال هي أوله ولا آخره، ولذلك ختم بعض القرّاء بوصله حتى لا يتبين له طرف، كما قالت العربية، لما سئلت عن بنيها: «هم كالحلقة المفرغة

---

(١) نظم الدرر (١: ١٤-١٥).

(٢) المصدر السابق (٥: ٣٤٣).

لا يدرى أين طرفاها»[١]، وإن سورة الناس معلولة لسورة الفاتحة[٢] فتكون الفاتحة علتها، وأن السور التسع الأوائل قد اتحدت بالتسع السور الأواخر وهو مفيد غاية الالتحام[٣].

ومعنى كل هذا أن يكون الأمر كما أوضحه البقاعي بقوله: (وبه أيضاً يتضح أنه لا وقف تام في كتاب الله، ولا على آخر سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد)[٤].

الأمر الخامس ـ أنواع المناسبة: للمناسبة أنواع:

أحدها ـ مناسبة من حيث الظهور والخفاء:

إن المناسبة قد تكون ظاهرة جلية، كالمناسبة بين قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فإن الأولى قد تكون سبباً للثانية، لأن المالك ليوم الدين هو وحده المستحق للعبادة، فوجه المناسبة ظاهر، وكذلك مثلاً إذا قلنا: إن بين قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و﴿هُدًى﴾ [البقرة: ٢] مناسبة ظاهرة، لأنه كونه لا ريب فيه حقيق بأن يكون هدى للمتقين.

وقد تكون المناسبة خفية لا تظهر إلا بتعمل فكر أو تقدير مقدمات للوصول إلى السبب الرابط.

فمن المناسبة التي تحتاج إلى تعمل فكر ما ذكره البقاعي من أنه أقام في إظهار المناسبة والتعرف عليها. بالتأمل والتفكر شهوراً[٥].

---

(١) نظم الدرر (٢: ٣٤، ٣٥).

(٢) المصدر السابق (٢٢: ٤٢٣).

(٣) المصدر السابق (٢٢: ٢٦١).

(٤) المصدر السابق (١: ١٥).

(٥) المصدر السابق (١: ١٤-١٥).

وأما التي تحتاج إلى تقدير محذوفات وترتيب مقدمات فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] حيث ربطها بما بعدها بقوله: (ولما كان غالب هذه الأحكام التي ذكرت في الإنفاق من أجل المحاويج، وكان ما مضى شاملاً للمؤمن وغيره، بيّن أن محط القصد في الحث عليها المؤمن فقال: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلخ [البقرة: ٢٧٣])[1] وعند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤] قال في ربطها بما بعدها مقدماً لذلك عدة محذوفات: (ولما كان سبحانه وتعالى قد ذكر النفقة مما أفاض عليهم من الرزق من أول السورة إلى هنا في غير آية، ورغب بأنواع من الترغيب في فنون الأساليب وكان الرزق يشمل الحلال والحرام وكان مما يسترزقون به قبل الإسلام الربا، وهو أخذ مجاناً، وهو في الصورة زيادة وفي الحقيقة نقص وعيب، ضد ما تقدم الحث عليه من الإعطاء مجاناً، وهو في الظاهر نقص وفي الباطن زيادة وخير، نهاهم عن تعاطيه ونفرهم منه، وبين لهم حكمه وأنه خبيث لا يصلح لأكل ولا صدقة، وجعل ذلك في أسلوب الجواب لمن قال: «هل تكون النفقة المحبوبة المحثوث عليها من كل مال؟» فأجاب بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا ... ﴾ الآية) [البقرة: ٢٧٥])[2].

ثانيها ـ مناسبة من حيث ذات المتعلق والمتعلق به، وينقسم إلى عدة أقسام:

أ ـ مناسبة القرآن برمته:

واحتباكه بجملته حتى يكون كالحلقة المفرغة يلتقي فيها الطرفان:

١ ـ آخره لأوله:

وقد ذكر ذلك البقاعي في تفسيره لسورة الناس حيث قال: (ومقصود هذه السورة

---

(١) نظم الدرر (٤: ١٠٤).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٠٨-١٠٩)، وينظر: (٤: ٩٧، ٢٦٢، ٢٩٣)، (٥: ٦٣)، (٧: ٣٦)، (١٠: ٣٣٠).

معلول لمقصود سورة الفاتحة الذي هو المراقبة.. إلى أن قال: فقد اتصل الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول والدليل بالمدلول والمثل بالممثول)[١].

٢ـ آخر القرآن بأثنائه، وأوله كذلك:

وقد أوضح البقاعي ذلك بأن القرآن الكريم افتتح بسورة مشتملة على جميع معانيه، فهي على هذا مجملة والقرآن كله تفصيل لإجمالها، وأنه كذلك ختم بسورتين يدخل معناهما ـ وهو التعوذ ـ ويندب ذكره في جميع أجزائه ومبانيه فكأنه تناسب ملتحم[٢].

ب ـ مناسبة السور:

١ـ مناسبة السورة لسورة أخرى[٣]:

فمثلاً: يقول عند سورة الأعراف: (مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه الدليل في الأنعام)[٤].

وذكر أيضاً مناسبتها لسورة البقرة بقوله: (وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة)[٥] وكذلك عند تفسيره لسورة الأنفال قال: (ومناسبتها للأعراف، لأنه لما ذكر تعالى ـ كما تقدم

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٤٢٣).

(٢) المصدر السابق (٢٢: ٣٩٣، ٤٤٠).

(٣) أول من أفرد بهذا الموضوع العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه «البرهان في مناسبة سورة القرآن» ثم السيوطي في كتابه المسمى تناسق الدرر في تناسب السور، الإتقان: السيوطي (٢: ١٠٨)، البرهان (٢: ١٠٨)، وقد طبع الكتاب «التناسق» في بيروت وآخر من كتب فيه مصنفاً لطيفاً شيخنا العلامة المحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في كتاب أسماه «جواهر البيان في تناسب سور القرآن» وعليه تعليقات لمؤلفه.

(٤) نظم الدرر (٧: ٣٤٧).

(٥) المصدر السابق (٧: ٣٥٣).

ـ قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم في تلك، ناسب أن يذكر قصة هذا النبي الكريم ﷺ مع قومه)[١].

٢ـ مناسبة أول السورة الثانية لآخر الأولى:

مثال هذا ما ذكره البقاعي في مناسبة أول سورة آل عمران لآخر سورة البقرة بأنه: (لما كان آخر البقرة في الحقيقة آية الكرسي، وما بعدها إنما هو بيان، لأنها أوضحت أمر الدين... إلى أن قال: لما كان ذلك على هذا الوجه ناسب هذا الاختتام غاية المناسبة ابتداء هذه السورة بالذي وقع الإيمان به سبحانه)[٢].

وقال عند سورة القارعة: (لما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته فقال: ﴿ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢])[٣].

٣ـ مناسبة سورة لسورة أخرى مناظرة لها في العدد:

وفي رد المقطع على المطلع من أول القرآن وآخره: فمثلاً ـ يقول البقاعي: (وكما التقى آخر كل سورة مع أولها، فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله بالنسبة إلى تسع سور هذه أولها إذا عددت من الآخر إليها)[٤]، ثم ذهب يوفق بين أولى التسع من الآخر وفي الفيل، والأولى من التسع في الأول وهي الأنفال في المقاصد وفي رد المقطع على المطلع مع المناظرة في العدد، وهكذا فعل مع سورة الماعون بنظيرتها من الأول مستمراً على هذا النمط إلى نهاية السور البواقي)[٥].

---

(١) نظم الدرر (٨: ٢١٦)، وينظر: (١: ٧٧)، (١٠: ٣، ١٥).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٩٨).

(٣) المصدر السابق (٢٢: ٣٢٠). وينظر: (٥: ١٧٢، ٥٥٣)، (٨: ٢١٧، ٣٥٥)، (١٠: ٣)، (٢٢: ٢٢٥).

(٤) المصدر السابق (٢٢: ٢٦٧).

(٥) المصدر السابق (٢٢: ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٣، ٣٢١، ٣٢٢).

٤ـ مناسبة آخر السورة لأولها:

وانعطاف مفصلها على موصلها، والتقاء طرفيها والتئام بحريها، وهذا ما يسميه البقاعي «رد المقطع على المطلع»(١) أو رجوع المفصل على الموصل حيث يقول: (ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها، لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله، وآخرها يشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث بقرب الأرحام وإن اختلفت الأنصباء..»(٢)، وعند تفسيره لسورة الأعراف قال في آخرها: (وقد رجع آخر السورة في الأمر باتّباع القرآن إلى أولها أحسن رجوع..) إلى أن قال: (بل شرع في رد المقطع على المطلع)(٣).

وقال عند تفسير سورة قريش: (فعلم أن آخرها علة لأولها، ويجوز أن يكون إلفهم للبلد وقع أولاً فسماه الله لهم مما ذكر، فيكون ذلك مسبباً عن الإلف فيكون أولها علة لآخرها فقد التقى الطرفان والتأم البحران المفترقان..)(٤).

وقد يكون رد المقطع على المطلع مخصوصاً: كأن يكون آخر آية من السورة مناسباً لآخر أول آية منها: وذلك كمناسبة قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النساء: ١٧٦] لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١](٥).

---

(١) للإمام السيوطي كتاب اسمه «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» وهو يبحث عن مناسبة آخر السورة لأولها وقد ذكر السيوطي أول إتقانه حيث قال: «ومن هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته: مراصد...، الإتقان (٢: ١١١)، وينظر: جواهر البيان: الغماري (٢٠).

(٢) نظم الدرر (٥: ٢٣٥-٥٣٣).

(٣) المصدر السابق (٨: ٢٣١).

(٤) المصدر السابق (٢٢: ٢٦٧)، وينظر: (٤: ١٦٨)، (٨: ٣٤٩)، (٩: ٢٢٢)، (٢٢: ٢٤٨، ٢٦٧، ٢٨٣، ٣٢٠، ٤١٤، ٤٣٥، ٤٤٠).

(٥) المصدر السابق (٥: ٥٣٣).

٥ـ مناسبة ابتداء السورة لما في أثنائها:

وذلك مثل ما ذكره البقاعي بقوله في تفسيره لأوائل سورة آل عمران: (ومناسبة ابتدائها بالتوحيد لما في أثنائها أنه لما كان خلق عيسى عليه السلام من أنثى فقط وهي أدنى أسباب النماء كان وجوده إشارة إلى أن الزيادة قد انتهت، وأن الخلق أخذ في النقصان، وهذا العالم أشرف على الزوال، فلم يأت بعده من قومه نبي بل كان خاتم أنبياء بني إسرائيل، وكان هذا النبي الذي أتى بعده من غير قومه خاتم الأنبياء مطلقاً، وكان مبعوثاً مع نفس الساعة، وكان نزوله آخر الزمان علماً على الساعة.. إلخ)[١].

وقد تكون المناسبة هي الابتداء المخصوص في السورة لما في أثنائها مطلقاً، وهذا ما جرى عليه البقاعي في سائر «تفسيره» من فعله بالبسملة مع السورة حيث فسر البسملة تفسيراً يناسب المقصد الأصلي لكل سورة كما ذكر ذلك هو أيضاً[٢].

ج ـ مناسبة الآيات:

١ـ المناسبة بين آية وآية:

وذلك مثل ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦] ما نصه: (ولما أشير بالآية إلى انقراض الدنيا بأن الحادث لا ثبات له، وقام الدليل القطعي على المعاد، ناسب أن يعقبها بعيب من اطمأن إليها في سياق بين أن سبب الطمأنينة إنكار الطمأنينة اعتقاداً أو حالاً)[٣].

وكذلك عند قوله تعالى في سورة الهُمَزة: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٧] قال:

---

(١) نظم الدرر (٤: ٢١١-٢١٢).

(٢) المصدر السابق (١: ١٩).

(٣) المصدر السابق (٩: ٧٧).

(ولما وصف الهامز اللامز ـ يعني في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ـ وصف الحاطم فقال: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٧][(١)]).

٢ـ المناسبة بين ألفاظ وعبارات الآية الواحدة بعضها مع بعض:

فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ﴾ [يوسف: ٤١] قال: (﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ ولما كان في الجواب ما يسوء الخباز أبهم، ليجوز كل واحد أنه الفائز، فإن ألجأه إلى التعيين كان ذلك عذراً له في الخروج عن الألبق فقال: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾)[(٢)].

وعند قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] قال: (ولما كان ذكر الأجر لكل واحد بعينه أنص على المقصود وأنفى للتعنت أفرد الضمير فقال: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾) إلى أن قال: (ولما كان ربما ادعى أنه ما أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه، فلا يقدح في دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أوالنصارى جمع فقال: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾)[(٣)].

ثالثها ـ مناسبة من حيث الموضوع أو «الوحدة الموضوعية»[(٤)]:

١ـ الوحدة الموضوعية للسورة:

وهو البحث عن مقصود السورة العام بحيث تعطي مدلولاً واحداً مشتركاً أو

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٢٤٧).

(٢) المصدر السابق (١٠: ٩١).

(٣) المصدر السابق (٢: ١١٣-١١٤). وينظر: (٢٠: ٣٧، ٣٨).

(٤) تعرض لمثل هذا المبحث بكتاب مستقل الشيخ محمد محمود حجازي بكتاب أسماه «الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم» وكذلك الشيخ محمود شلتوت في كتابه «تفسير القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى» وقد طبع بمطابع دار العلم، بالقاهرة. راجع الكتاب نفسه (٣٥٠-٣٧٥).

متقارباً، وقد ألف البقاعي كتاباً في هذا الباب سماه «مصاعد النظر إلى الإشراف على مقاصد السور»(١).

هذا والبقاعي يذكر مقصود كل سورة قبل الدخول إلى تفسيرها، فيذكر مقصد سورة آل عمران مثلاً، فيقول بعد تفسيره للبسملة: (﴿الٓمٓ﴾ المقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله تعالى، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرها مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الإقبال عليه والمسارعة إليه)(٢).

وذكر أيضاً مقصود سورة النساء بقوله: (ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتوصل عادة الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت «النساء» لذلك، ولأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد)(٣) وكذلك ذكر مقصود سورة المائدة أوائل تفسيره لها(٤)، وهكذا بقية السور.

٢ـ الوحدة الموضوعية في أكثر من سورة:

مثال هذا: ما ذكره من أن سورة البقرة وسورة آل عمران قد دعتا إلى التوحيد(٥)، وهذا هو وحدة في الموضوع كما هو معلوم، وكذلك ما ذكره من أن سورة الفيل وما بعدها من السور قد شرحت سورة الفاتحة كلها، ثم من أول البقرة إلى آية التوحيد(٦).

---

(١) قد مضى الكلام على هذا الكتاب ضمن الكلام عن مؤلفاته فليراجع.

(٢) نظم الدرر (٤: ١٩٥).

(٣) المصدر السابق (٥: ١٦٠-١٧١).

(٤) المصدر السابق (٦: ١).

(٥) المصدر السابق (٥: ١٧٠).

(٦) المصدر السابق (٢٢: ٣٤٧).

٣ـ الوحدة الموضوعية بين سورة واحدة وآية فأكثر:

مثل ما ذكره عند تفسيره لسورة «ن» بقوله: (مقصودها إظهار ما استتر وبيان ما أبهم في آية ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩]، بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته حيازته العلم الذي هو النور الأعظم.. إلخ)[١] وكذلك فإنه ذكر (أن مقصود سورة الانشقاق الدلالة على آخر المطففين من أن الأولياء ينعمون والأعداء يعذبون لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث ولا بالعرض على الملك الذي أوجدهم ورباهم)[٢].

٤ـ الوحدة الموضوعية بالمناظرة المطلقة بين الآيات والسور:

ذلك أنه عند تفسيره لآية في القرآن الكريم يعرض لمناظرة تلك الآية لآية أخرى مثلها أو أكثر من آية في القرآن الكريم، فعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: ١٦٤] يقول: (والسياق هنا واضح في الكسب المقيد بالذنب؛ فإنه في دعاء غير الله، وآية البقرة للإيماء إلى الذنب الذي لا يقع إلا بشهوة شديدة من النفس له، لطبعها على التناقض، فهي لا تنافي هذه لأن ما كسبته من الذنوب قد علم من ثم أنه اكتساب)[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأعراف: ٦٠] حيث قال: (ولم يصف الملأ من قومه هنا بالذين كفروا، ووصفهم بذلك في سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى بإثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين إحداهما قبل أن يسلم أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم)[٤] وهذا الذي ذكرته هنا، إنما هو وحدة موضوعية بين آية وآية من سورتين، وهاتان الآيتان غير متتاليتين. وهناك وحدة موضوعية لعدة آيات متواليات، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى

---

(١) نظم الدرر (٢٠: ٢٧٢).

(٢) المصدر السابق (٢١: ٣٣٥).

(٣) المصدر السابق (٧: ٣٤٢).

(٤) المصدر السابق (٧: ٤٢٩)، وينظر: (٧: ٤٥٧)، (٨: ٣٣٧)، (٩: ٣٧، ٩٣، ٣٢٣).

﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٨-٢٦٠] حيث قال: (ولقد استولى الترتيب والتعبير في هذه الآيات على الأمد الأقصى من الحسن، فإنها بدئت بمن أراد أن يخفي ما أوضحته البراهين من أمر الإله في الإحياء، بأن ادعى لنفسه المشاركة بإحياء مجازي تلبيساً بلفظ «إلى» الدال على بعده ولعنه وطرده، ثم بمن استبعد إحياء القرية فأراه الله سبحانه وتعالى كيفية الإحياء الحقيقي آية له، وتتميماً للرد على ذلك مع الإقبال عليه بالمخاطبة ولذة الملاطفة، ثم بمن سأل إكرام الله تعالى: بأن يريه كيف يحيي فيثبت ثم أثبتت وأكدت.. إلخ)[1].

وكذلك في سورة الأنعام حيث أشار البقاعي إلى أن الله تعالى رتب الآيات أحسن ترتيب (فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك: إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل فأن التقية بالحمية قبل الدواء، وقرن به البر من باب شكر المنعم وتعظيماً لأمر العقوق، ثم أولاه القتل الذي هو أكبر الكبائر بعد الشرك، وبدأ بقتل الولد؛ لأنه أفحشه، وأفحش من مطلقه فعله خوف القلة)[2].

٥ـ الوحدة الموضوعية بالنسبة للقرآن بأسره[3]:

أو بالنسبة للمناظرة المقيدة فيه، أما بالنسبة للقرآن الكريم بأسره، فإنه يعرف بتتبع مقاصد السور في تفسير أوائل كل سورة، وبجملة ذلك يكون اتحاد عام بين المقاصد في السور، مما يؤدي ذلك إلى القول: بأن القرآن العظيم متصف بوحدة الموضوع، فهو سبيكة واحدة وحلقة مفرغة، متصل طرفاه، متحد بحراه، لا وقف تام عليه[4].

---

(١) نظم الدرر (٤: ٦٢).

(٢) المصدر السابق (٧: ٣١٦).

(٣) ويمكن أن نصطلح هنا اصطلاحاً نسميه «الوحدة العضوية» باعتبار أن القرآن كله عضو واحد وسبيكة متحدة كما ذكر ذلك البقاعي.

(٤) نظم الدرر (٢: ٣٤-٣٥)، (٢٢: ٢٦٧، ٣٩٣-٣٩٤، ٤٢٣).

وأما بالنسبة للمناظرة المقيدة، فإنه قد سلف الكلام في هذا المبحث على مناسبة السور، وأن هناك مناسبة تدعى «مناسبة سورة لسورة أخرى مناظرة لها في العدد» وما قيل هناك يقال هنا[١].

الأمر السادس ـ الطرق المؤدية إلى كشف المناسبة:

هذا: وهناك طرق مؤدية إلى كشف المناسبة: من أهمها ما يأتي:

١ـ العموم والخصوص:

قد ينبه البقاعي إلى عموم آية أو جزء آية فيربط بينها وبين ما بعدها ـ الخاص ـ مثل قوله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [المائدة: ٧٥] يقول: (ولما أبطل الكفر كله بإثبات أفعاله من إرساله وإنزاله وغير ذلك من كماله، وأثبت التوحيد على وجه عام، أتبع ذلك تخصيص ما كفر به المخاطبون بالإبطال، فكان ذلك دليلاً خاصاً بعد دليل عام)[٢] وقد ينبه للخصوص ثم يربط به ما بعده العام وذلك مثل فعله عند قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] حيث قال: (ولما خص أهل السماوات عم فقال: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾)[٣].

٢ـ الإجمال والتفصيل:

فهو حيناً يوضح أن المناسبة هي التفصيل بعد الإجمال، فمثلاً عند ذكره تعالى للطلاق المجمل، رجعيه وبائنه أخذ بتفصيل الأمر من بيان صفة الرجعة من الحل والحرمة، وبيان وقتها وتحديده، والإشارة إلى تصوير صور المضارة ترهيباً منها، فليست الآية مكررة، فقال:

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٢٦٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٣-٣٩٤، ٤٢٣).

(٢) المصدر السابق (٦: ٢٥٤)، وينظر: (١: ٣٤٩).

(٣) المصدر السابق (٤: ٢٩٠).

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١] فهذا تفصيل بعد إجمال[١] وحيناً يوضح أنَّ المناسبة هي الإجمال بعد التفصيل، وذلك قوله: (أجمل بقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ثم فصل ذلك بقوله: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ إلخ)[٢].

٣ـ العلية والمعلولية والسببية والمسببية والمقدمة والنتيجة:

فهو يوضح أن المناسبة مثلاً هي العلية لمعلول متقدم عليها، وذلك مثلاً عند قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩] يقول البقاعي: (ثم بين ـ تعالى ـ بالعلة الحاملة لهم على ذلك خساستهم وتراميهم إلى النجاسة ودناءتهم فقال: ﴿لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩])[٣]. وقد تكون المناسبة علية السورة برمتها لسورة معلولة قبلها[٤].

وقد يوضح أن المناسبة هي المسببية لسبب متقدم، وذلك مثلاً عند قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨] يقول: (ولما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب مقتضياً للعاقل المبادرة إلى الطاعة، بين أنه تسبب عنه أن بعضهم عصوا وكفروا هذه النعمة العظيمة ولم يقتصروا على ترك هذا الأمر بل بدلوه)[٥]. أو يذكر الثمرة والنتيجة والحكم لسببه المتقدم أيضاً[٦].

---

(١) نظم الدرر (٣: ٣١٧-٣١٨).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٧٠)، وينظر أيضاً: (١: ١٠٢)، (٥: ٣١٩).

(٣) المصدر السابق (١: ٤٩٢)، وينظر: (٢: ١٢٤، ١٢٨)، (٣: ٢٨، ٦١)، (٤: ٣٦٢)، (٥: ٢٣٣)، (٦: ٢٦٩)، (٨: ٢٧٨)، (١٠: ٣٢٧)، (٢٠: ٢٩، ٣١).

(٤) المصدر السابق (١٠: ١٥)، (٢٢: ٤٢٣).

(٥) المصدر السابق (١: ٣٩٨)، وينظر: (٢: ١٦)، (٣: ٧٥، ٣٣٦)، (٤: ٣٦٤)، (٧: ٢٠٨، ٣١٣).

(٦) المصدر السابق (١: ١٩٠، ١٩٩)، (٢: ٣٣٤)، (٦: ١٥)، (٧: ٤١٧)، (٨: ٣١١).

٤ـ الدليل والمدلول:

وتكون المناسبة الدليل المتأخر عن مدلوله، وذلك مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥] حيث قال: (ولما قرر سبحانه وتعالى شمول علمه أتبعه دليله من تمام قدرته تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦])[١]، وكذلك عند قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [براءة: ١٢٧] يقول: (وهذا دليل على ختام الآية قبلها)[٢].

٥ـ البدلية:

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] حيث يقول: (ولما انتهت هذه المحاورة وما أنتجته من بغيض الموالاة والمجاورة وكان حاصلها أنها موالاة من ضرت موالاته، أتبعها سبحانه بمحاورة أخرى حاصلها معاداة من ضرت معاداته، فقال مبدلاً من الأولى إتماماً للتقريع والتوبيخ والتشنيع)[٣].

٦ـ اللازمية:

مثل ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ [هود: ٢٤]، يقول: (ولما ذكر وصفهم ذكر جزاءهم عليه بقوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾)[٤].

٧ـ التأكيد:

فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧] قال: (ولما نفى عنه ﷺ

---

(١) نظم الدرر (٤: ٢١٩).

(٢) المصدر السابق (٩: ٥٥)، وينظر: (٩: ٣٠٦)، (١٠: ٤١٥).

(٣) المصدر السابق (٧: ٢٧١).

(٤) المصدر السابق (٩: ٢٦٣).

كل زيغ بعد أن نفى عنه أن يكون على ملة هو متقدم عن حدوثها، شرع في بيان ما يتم به نتيجة ما مضى ببيان من هو أقرب إليه ممن جاء بعده، فقرر أن الأولى به إنما هو من اتبعه في أصل الدين وهو التوحيد والتنزيه الذي لم يختلف فيه نبيّان أصلاً، وفي الانقياد للدليل وترك المألوف من غير تلعثم حتى صاروا أحقاء بالإسلام الذي هو وصفه بقوله سبحانه وتعالى مؤكداً رداً عليهم وتكذيباً لمحاجتهم: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [آل عمران: ٦٨][(١)]، وهناك أسباب عامة ينطوي تحتها تناسب كثير وعلاقات متعددات أهمها:

٨ ـ التباين:

يقول البقاعي عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ..﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]: (ولما أتم الخبر عن هذا القسم الذي هو شر الأقسام أتبعه خيرها ليكون ختاماً وبينهما تباين، فإن الأول من يهلك الناس لاستبقاء نفسه، وهذا يهلك نفسه لاستصلاح الناس، فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾)[(٢)].

٩ـ التنافي:

وهو مثل التباين إلا أنه أخص منه، وقد أشار لذلك البقاعي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ الآية [البقرة: ٢٣١] حيث قال: (ولما نهى عن الضرار في العصمة وفي أثرها الذي هو العدة، أتبعه النهي عما كان منه بعد انقضائها بالعضل من كل من يتصور منه عضل، لكن لما كان نهي الأولياء إذا كانوا أزواجاً نهياً لغيرهم بطريق الأولى أسنده إلى الأزواج وهم في غمارهم فقال: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ...﴾[(٣)].

---

(١) نظم الدرر (٤: ٤٥٣-٤٥٤)، وينظر: (١: ٤٦٤)، (٢: ٢٩٢، ٤٣٦).

(٢) المصدر السابق (٣: ١٧٦). وينظر: (٧: ٣٣٣).

(٣) المصدر السابق (٣: ٣٢٢). وينظر: (١: ٤٩٨).

١٠ـ التماثل:

فمن ذلك ما ذكره البقاعي عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٩١] بقوله: (ولما أقام سبحانه الدليل على استحقاقهم للخلود في النار بكفرهم بالكتاب الذي كانوا يستفتحون بالآتي به، أقام دليلاً آخر أبين منه وذلك بكفرهم بكتابهم نفسه فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟﴾)(١).

١١ـ التقابل:

فمثلاً: تفسيره لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] حيث قال: (ولما أخبر سبحانه وتعالى بفائدة العفو أخبر بفائدة مقابلة تتمة لتأنيب أهل الكتاب على عدوهم عن النص وعماهم عن الحكمة فقال: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ﴾ [البقرة: ١٧٩])(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [المعارج: ٢٤] قال: (ولما ذكر زكاة الروح أتبعه زكاة عديلها المال، فقال مبيناً للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو...)(٣).

١٢ـ التقارب:

مثال ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٣] قال: (ولما تقرر بما مضى أن الحق ما قاله الله أو فعله أو أذن فيه وأن الباطل ما كان على غير أمره مما ينسب إلى الشيطان أو غيره من قول أو فعل..) إلى أن قال: (وقص سبحانه كلام أوليائه الذي هو من كلامه فهو أثبت الأشياء وأطيبها وأعظمها ثمرة، وكلام أعدائه الذي هو من كلام

---

(١) نظم الدرر (٢: ٤٦). وينظر أيضاً: (٣: ٣٢٢)، (٤: ٢٥٨)، (٥: ٢٣٢، ٢٧٩)، (٧: ١٢٦، ١٣٥)، (٥: ٢١٠).

(٢) المصدر السابق (٣: ٢٩، ٣٠).

(٣) المصدر السابق (٢٠: ٤٠٣). وينظر أيضاً: (١: ١٨٩، ٣٦٠)، (٣: ٣٣٠)، (٥: ٢٠٠)، (٦: ٤٤)، (٧: ٣١٧، ٣٧٩)، (٩: ١٠٥، ٣٢٥)، (١٠: ٣٢٥)، (٢٠: ٤٠٣).

الشيطان فهو أبطل الأشياء وأخبثها، قرب سبحانه ذلك بمثل يتعارفه المخاطبون فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾) [إبراهيم: ٢٤][١].

١٣ـ التوافق:

مثاله ما ذكره من إتباعه النهي عن الضرار في العصمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ [البقرة: ٢٣١] بالنهي الذي يوافق ما سبق من كونه نهياً أيضاً، وهو النهي عما كان منها بعد انقضائها بالعضل من كل من يتصور منه عضل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢][٢] وكذلك أتبع الوصف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الأنعام: ١٥٠] بالوصف بعدم الإيمان وذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠][٣].

١٤ـ التفارق:

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] يقول: (ولما بين ما عليهم فيما ارتكبوه من المضار أتبعه ما في الإعراض عنه من المنافع فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ١٠٣])[٤] وكذلك عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧] قال: (ولما ذكر عباده الخلص ذكر عباد الشهوات فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ﴾) [البقرة: ٢٥٧])[٥].

---

(١) نظم الدرر (١٠: ٤١٠-٤١١). وينظر أيضاً: (٢٢: ٢٢٠).

(٢) المصدر السابق (٣: ٣٢٢-٣٢٣).

(٣) المصدر السابق (٧: ٣١٥). وينظر أيضاً: (٧: ٣١٦)، (٨: ٥٢٠).

(٤) المصدر السابق (٢: ٨١-٨٢).

(٥) المصدر السابق (٤: ٤٥-٤٦) وينظر: (٢: ٩٩، ١١٢)، (٤: ٨٩، ١٣٦)، (٥: ٢٢١، ٢٨٠، ٥٠٢)، (٦: ١٢١)، (٧: ٣٤٦)، (٨: ٤٨٩).

هذا: وهناك أمور أخرى تقتضي الذكر وعدم الإغفال كان للبقاعي الأثر الحميد في إبرازها وإظهارها في «تفسيره»، فمن ذلك:

١ـ استعمل البقاعي في تفسيره للتناسب بعض المصطلحات مثل «رد المقطع على المطلع»[١] و«رجوع المفصل للموصل»، و«انعطاف المفصل على الموصل»[٢]. والأول قد وجد عند غير البقاعي كالسيوطي مثلاً، إذ إن له كتاباً اسمه: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع»[٣] ولعله قد تأثر في ذلك بالبقاعي لأن البقاعي أسبق منه وأقعد.

٢ـ قد يذكر البقاعي أكثر من مناسبة واحدة لاتصال الآية بالآية أو السورة بأختها، ثم إذا به يرجح إحدى المناسبتين على الأخرى[٤] وفي بعض الأحيان يذكر أن المناسبة التي ظهرت له هي مناسبة لطيفة أو مناسبة جيدة أو هي من أحاسن المناسبات أو أنها أحسن من المناسبة التي ذكرها أولاً[٥].

فخلص من هذا كله: أن البقاعي عني في «تفسيره» بالمناسبة بين الآيات بعضها مع بعض والسور بعضها مع بعض عناية فائقة لا نظير لها، حتى بدا القرآن الكريم كما هو قطعة واحدة وسبيكة متحدة وحلقة مفرغة، قد التحم أوله بآخره وآخره بأوله كما يقول البقاعي. وفي هذا رد على المستشرقين والملحدين في كل زمان ومكان الذين طعنوا في القرآن الكريم وقالوا عنه: إنه في جملته أشتات من الأفكار المتنوعة عولجت بطريقة غير منتظمة وبدون أي ربط بينها[٦] أو أنه آيات متفرقات ومواضع مختلفات وسور متباينات

---

(١) نظم الدرر (٥: ١٦٨، ٣٨٢، ٥٣٣)، (٨: ٢١٣)، (٩: ٢٢٣، ٣٧٥) (٢٢: ٢٦٥، ٣٢٠).

(٢) المصدر السابق (٢٢: ٢٩٢، ٢٤٨).

(٣) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (٢: ١١١)، جواهر البيان: الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري (٢٠).

(٤) نظم الدرر (٢: ٢٧٥)، (٤: ١٩٨)، (٧: ٣٤٢، ٣٤٧).

(٥) المصدر السابق (١: ٤٤، ٤٧٣)، (٢: ٧٤، ٢٦٤)، (٣: ٣٩٣)، (٤: ٤٥٥)، (٥: ٣٨٧)، (٦: ٤٠)، (٧: ٣٢١، ٣٤٧).

(٦) مدخل إلى القرآن الكريم: د. محمد عبد الله دراز: ص ١١٨-١١٩.

لا يربطها رابط ولا يـجمعها جامع، ليغذوا نفوس الأوربيين بالشبهات والأباطيل عن الإسلام ودستوره لحجبهم عنه والحيلولة دون الإيمان به ونفاذه إلى قلوبهم[١].

وعلى الرغم من معارضة بعض المفسرين لمنحى البقاعي في «تفسيره»، فإنه يكفيه فخراً أن يكون هو الرائد الأول في وضع علم التناسب بين الآيات والسور قواعد ومنهجاً على نمط لم يسبق إليه، وأن يتأثر به معظم المفسرين الذين جاءوا بعده وتعرضوا إلى إعجاز القرآن الكريم كالعلامة السيوطي الذي ألف تفسيره في المناسبات وقد أسماه: «قطف الأزهار في كشف الأسرار»[٢] وأشار إليه هو بقوله: «وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة»[٣].

هذا وقد أخذ تفسير البقاعي دوراً بالغ الأهمية في العصر الحديث، ويتمثل هذا الدور في منهج الإمام محمد عبده في «تفسيره» ومناهج تلاميذه الذين حذوا حذوه، فمنهم من يذكر البقاعي نصاً ومنهم من لم يذكره.

فأول أساس يقوم عليه منهج الإمام محمد عبده في تفسيره هو اعتبار السورة وحدة متناسقة، وبتعبير آخر: اعتبار الوحدة الموضوعية للسورة من دون إشارة إلى أحد من السابقين في هذا الموضوع[٤].

ومنهم القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» فقد أشار إلى المناسبة بين الآيات

---

(١) أساليب الغزو الفكري للمستشار علي جريشة.

(٢) تناسق الدرر: السيوطي: المقدم لعبد الله محمد درويش (١٤)، جواهر البيان في تناسب سور القرآن: عبد الله الغماري (١٩٠).

(٣) الإتقان: السيوطي (٢: ١٠٨).

(٤) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير (٨٦).

والسور نقلاً عن البقاعي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢][١].

ومنهم الشيخ محمود شلتوت في تفسيره للأجزاء العشرة الأولى حيث أوضح الوحدة الموضوعية في السور وربط بين سورة وسورة عن طريق المقصد العام الذي سيقت له السورة[٢]، وكذلك الدكتور محمد عبد الله دراز أشار في كتابه «النبأ العظيم» إلى تناسب الآيات والسور قائلاً: «وقديماً قال الأئمة: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره ويترامى بجملته إلى غرض واحد كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وأنه لا غنى لتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية»[٣].

فهذا القول مأخوذ معظمه من تفسير البقاعي وإن اختلف اللفظ. يقول الدكتور عبد الغفار عبد الرحيم: «ثم جاء البقاعي وتحدث عنها حديثاً عظيماً في مخطوطه «نظم الدرر في تناسق الآي والسور» لم يسبقه إليه غيره بهذه الكيفية»[٤].

وهكذا تبوأ البقاعي مكانه اللائق به بين المفسرين قدامى ومعاصرين، وأسهم بنصيب وافر في فهم كتاب الله والكشف عن أسراره.

* * *

---

(١) تفسير القاسمي (٤: ١١٧).

(٢) تفسير القرآن: شلتوت: دار القلم (٣٥٠-٣٧٥).

(٣) النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز (١٣٨٩: ١٥٣-١٥٤).

(٤) الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير (٢١٣).

المبحث السابع
موقفه من الإسرائيليات والنقل من «التوراة والإنجيل»

المقصود بالإسرائيليات في اصطلاح علماء الإسلام هو لفظ يطلق على القصص والأساطير التي تنسب إلى أصل يهودي أو نصراني[١] وأكثر هذه القصص والأساطير تتعلق بما جرى للأولين وما حدث للأنبياء والمرسلين، وقد سرت معظم هذه الإسرائيليات إلى كتب المفسرين عن طريق من أسلم من أهل الكتاب مثل: عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وهؤلاء جميعاً كانوا من أهم المصادر التي دخلت عن طريقهم الإسرائيليات في المجتمع الإسلامي وفي ثقافة المسلمين.

وقد قسم العلماء هذه الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا بما يشهد له بالصدق فذلك صحيح ومقبول.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذلك باطل ومردود.

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من ذاك، فلا نؤمن به ولا نكذبه ولا تجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني[٢]. فالقسمان: الأول والثاني لا خلاف فيهما بين العلماء.

---

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث: د. محمد حسين الذهبي (١٩).

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية (٢٦-٢٧).

أما المسكوت عنه فقد اختلف فيه العلماء فذهب معظمهم إلى أنه تجوز حكايته لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(١).

ولكن لا يجوز لنا أن نصدقه ولا أن نكذبه استناداً إلى ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]»(٢).

الحديث الأول يبيح لنا رواية الإسرائيليات بشرط أن نعلم صدقها، والحديث الثاني يفيد أن الإسرائيليات التي لا يكون لها شاهد من ديننا بالصدق أو الكذب يكون حكمها التوقف فيها لأنها قد تكون صادقة فنكذبها أو تكون كاذبة فنصدقها.

ويرى بعض العلماء أنه لا يجوز ذكر هذه الإسرائيليات في مقام التفسير للقرآن الكريم لأن ذكر ما لا نعرف صدقه ولا كذبه لا يصح أن يفسر به كلام الله تعالى حتى لا يقع المفسر في الخطأ في تفصيل ما أجمل أو تقييد ما أطلق، وهذا الرأي وجيه وينبغي العمل به.

أما المفسرون بالنسبة للإسرائيليات على وجه العموم فهم قسمان:

قسم أكثر من رواية هذه الإسرائيليات، وفريق قلل من روايتها. ومن المفسرين الذين أكثروا من روايتها وتوسعوا في نقلها من الكتب القديمة مفسرنا البقاعي في تفسيره: «نظم الدرر» ولكن معظمه كان مما علمنا صحته مما بأيدينا بما يشهد له بالصدق، ظاهراً أو بتأويل يقر عليه تارة، ولا يوافق عليه في كثير منه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤: ٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩: ١٩٣).

أما غير هذا النوع فقد كان البقاعي ذا ملكة نقدية من أجل ذلك تناول في «تفسيره» كثيراً من الإسرائيليات بالنقل والتمحيص، بل كان يتعمد نقلها من كتبهم للرد عليها وإبطالها وبيان زيفها، فهو جمرة متقدة على المخالفين، ونار حامية على الظالمين.

وهذه بعض الأمثلة التي لا تخالف شرعنا:

١ـ ذكره لنسب سيدنا نوح عليه السلام، وأنه: نوح بن لمك بن متوشلخ بن خنوخ وهو إدريس عليه السلام وكان عند الإرسال ابن خمسين سنة[١].

٢ـ وأن اسم فرعون موسى عليه السلام كان قابوس، وقيل الوليد بن مصعب بن الريان[٢].

٣ـ وأن بني إسرائيل لما نتق الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم إن لم يأخذوا عهد التوراة، خر كل واحد منهم ساجداً على حاجبه الأيسر، وصار ينظر بعينه اليمنى فزعاً من سقوطه، وهي سنة لهم في سجودهم إلى الآن يقولون: هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة[٣].

٤ـ وأن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتيا في عبد نشأ في نعمة سيده فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه، فكتب فرعون: جزاء العبد الخارج عن طاعة سيده الكافر نعماءه أن يغرق في البحر، فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه[٤].

٥ـ وأن أسماء إخوة يوسف من أبيه عليهم السلام روبيل وشمعان ولاوي ويهوذا وزيلون وإيساخار ودان وجاد وآشير ونفتالي وشقيقه بنيامين[٥].

---

(١) نظم الدرر (٧: ٤٥٢-٤٢٦).

(٢) المصدر السابق (٨: ١٨).

(٣) المصدر السابق (٨: ١٥٠).

(٤) المصدر السابق (٩: ١٨٧).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٢١).

وأن يعقوب عليه السلام أخذ القميص منهم وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق قميصه[١].

وأن عدد الأبواب التي غلقتها امرأة العزيز كانت سبعة[٢] وأن يوسف أجاب أمر الملك بعد أن دعا لأهل السجن: «اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار»، وكتب على باب السجن: «هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وبيوت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء» ثم اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جدداً وقصد إليه[٣].

وأن الملك كان يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها فعرفها كلها ثم دعا الملك بالعبراني فلم يعرفه الملك فقال له: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي فعظم عنده جداً[٤].

وأن مصر كان لها أربعة أبواب[٥]، وأن يوسف أمر كل اثنين منهم أن يأكلوا على حدة، فبقي بنيامين بلا ثان، فقال: هذا يأكل معي، ثم جعل كل اثنين في بيت من خمسة أبيات وجعل بنيامين معه في بيته[٦]، وأنَّ خراب بيت المقدس كان على يد طيطوس بعد أن تملك أبوه أسفسيانوس[٧].

أما موقفه من الكتب السماوية وخاصة التوراة والإنجيل فقد أكثر النقل منها، ويبدو لي أن رواية الإسرائيليات والنقل من التوراة والإنجيل في عصر البقاعي كان شيئاً مهماً لدى

(١) نظم الدرر (١٠: ٣١).
(٢) المصدر السابق (١٠: ٦٠).
(٣) المصدر السابق (١٠: ١٣٠).
(٤) المصدر السابق (١٠: ١٣١).
(٥) المصدر السابق (١٠: ١٦٢).
(٦) المصدر السابق (١٠: ١٦٧).
(٧) المصدر السابق (١١: ٣٤٣-٣٤٤).

المفسرين لشرح القصص القرآني وبخاصة إذا لم يرد في تفسير هذه الآيات شيء صحيح عن الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فرواية الإسرائيليات والنقل من الكتب القديمة كان قدراً مشتركاً بين الجميع في عصر البقاعي.

وقد أشـار إلى ذلك البقاعي نفسه فقال: (وقد نبه على ذلك ـ النقل من الكتب القديمة ـ الإمام السمرقندي في الصحائف واستشهد بكثير من نصوص التوراة على كثير من مسائل أصول الدين، وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد والقاضي عياض في كتاب «الشفاء» وغيرهم)[١].

ولهذا فإننا نجد البقاعي يكثر النقل في «تفسيره» عن هذه الكتب القديمة حتى يجاوز النقل في بعض الأحيان العشر صفحات، ومع ذلك فإنه يعلل سبب النقل في مواضع من «تفسيره» فيقول: (وإنما كتبت هذا ـ أي المذكور من «الإنجيل» ـ مع كون ما نقل عن نبينا ﷺ كافياً لأنه لا يدفع أن يكون فيه إيناس ومصادقة تزيد الإيمان مع أن فيه دلائل رادة على النصارى في ادعائهم التثليث والاتحاد وأحسن ما رد على الإنسان من كلامه وبما يعتقده)[٢].

ويقول في موضع آخر معللاً للنقل من الأناجيل: (ولما كان الرد على كل طائفة بما تعتقد أولى، وجب ذكر ذلك من الأناجيل الأربعة[٣] الموجودة الآن بين أظهر النصارى)[٤].

---

(١) نظم الدرر (١: ٤٢٢).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٢٢-١٢٣).

(٣) للبقاعي تمكن غريب عجيب وقابلية فذة في حفظ ما تفرق في أناجيل النصارى وجمعها في مكان واحد عند حاجته للاستدلال بها، فهو حال الاستدلال يدخل كلام البعض بالبعض ويجمع ما تفرق في النسخ المتعددة من المعاني في سياقاتهم بحيث يصير الكل حديثاً واحداً، وكذلك القول في التوراة، نقل من نسخة قديمة جداً فيها نقص أكمله من نسخة السبعين. ينظر لذلك: نظم الدرر (٤: ٤٣٠-٤٤١)، (٨: ٤٨-٦٦) (٤٣٧).

(٤) المصدر السابق (٤: ٣٨٠).

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة من «التوراة» و«الإنجيل»:

أولاً ـ نقله من «التوراة»:

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣] يقول: (وفيه من المتشابه قوله: فم الله وإصبع الله، والأول ـ لكونه لا يجوز إطلاقه في شرعنا ـ مؤول بالكلام والثاني بالقدرة)[١].

وهذا من توجيه البقاعي لنص «التوراة» كما هو واضح.

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [براءة: ٣٠] حيث قال: (وعزير هذا هو المسمى عندهم في سفر الأنبياء «ملاخيا» ويسمى أيضاً «ألعازر» وهو الأصل، والعزير تعريبه)[٢].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ الآية [يوسف: ٦٥] قال: (أي نحفظه فلا يصيبه شيء مما يخشى عليه تأكيداً للوعد بحفظه وبياناً لعدم ضرر في سفره، ويدل على ما في «التوراة» ـ من أنه كان سجن أحدهم ليأتوا بأخيهم الأصغر ـ قوله: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥] أي فيكون جملة ما يأتي به بعد الرجوع اثني عشر حملاً، لكل منا حمل وللمسجون حملان، لكرته الأولى والثانية)[٣].

ونقل أيضاً شرح التوراة كما في القرآن من المن عليهم بالأرض المقدسة[٤]. وذكر ما يشهد للقرآن من «التوراة» عند قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وغير هذا[٥].

---

(١) نظم الدرر (٨: ٣٩-١٠٠).

(٢) المصدر السابق (٨: ٤٣٧).

(٣) المصدر السابق (١٠: ١٥٤-١٥٥).

(٤) المصدر السابق (٩: ١٩٠-٢٥٤).

(٥) المصدر السابق (٥: ٤٥٦-٤٦١، ٥٠١).

ثانياً ـ نقله من «الأناجيل»:

فمن ذلك مثلاً نقله بعض قصص الأنبياء وأخبارهم: كأول أمر المسيح عليه السلام، وكيف ولدته مريم، وأمر زكريا عليه السلام وولادة يحيى[١].

كما ينقل أموراً أخرى تتعلق بشرح ما ذكره القرآن الكريم، فمن ذلك:

في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٦] حيث يقول: (ذكر بعض ما يدل على ذلك في «الإنجيل» الذي بين ظهراني النصارى الآن)، وينقل عنه في ذلك اثني عشر صفحة[٢].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] حيث نقل عن «الأناجيل» ما وقعوا فيه من تحريف الكلم عن موضعه، وتغيير ما كتب في محكم أحكام التوراة من الحدود[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] يقول: (ذكر شيء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام أتي بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصاً من الأناجيل الأربعة وقد جمعت بين ألفاظها)[٤].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] حيث قال: (ذكر شيء مما في الإنجيل من بيناته وحكمه وآياته)[٥].

---

(١) نظم الدرر (٤: ٣٨٠-٣٩٣).

(٢) المصدر السابق (٦: ١٦١-١٧٣).

(٣) المصدر السابق (٦: ١٧٥-١٨٠).

(٤) المصدر السابق (٢: ٢١-٢٩).

(٥) المصدر السابق (٤: ٧-١٩).

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] قال: (وقد بين عيسى عليه السلام في «الإنجيل» الذي بين أظهرهم أنه لا يصح أن يكون الإله إلا واحداً)، ثم ذكر قول «الإنجيل»[١].

وبعد هذه النقول من الكتب المقدسة يتضح لنا أن البقاعي يعد من المكثرين من رواية الإسرائيليات في «تفسيره» ونقله من الكتب القديمة، وهذا من أشد المآخذ الموجهة إلى «تفسيره» ـ في نظري ـ على الرغم مما تعلل هو به كما مر، لأن «التوراة» و«الإنجيل» ـ كما نعلم ـ قد تطرق إليهما التبديل والتحريف، وتناول ذلك جانب العقيدة عند اليهود والنصارى وجانب الشريعة كذلك على حد سواء، فما في أيدي الناس منهما منذ زمن البقاعي وإلى يومنا هذا ليس هو «التوراة» المنزل على موسى عليه السلام، وليس هو الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، وفي «التوراة» و«الإنجيل» كليهما من التناقض والمناكير شواهد[٢] على ما نقول، فكان الأجدر به أن لا ينقل من كتبهم لأنهم قد نسوا قسطاً من كتابهم، والقسط الذي حفظوه قد حرفوه فلا ثقة بما جاء في كتبهم، لذلك لا يجوز النقل من هذه الكتب إلا ما علمنا صحته مما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ للأمور الآتية:

أولاً: نهى النبي ﷺ عن النقل من هذه الكتب في عدة أحاديث، ومن ذلك ما أخرجه الدارمي عن يحيى بن جعدة قال: «جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها، فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال عليه الصلاة والسلام: «كفى بقوم حمقاً أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم فنزلت الآية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]»[٣].

---

(١) نظم الدرر (٦: ٢٥٠-٢٥٢).

(٢) ولا ينفعنا ما يقوم به البقاعي رحمه الله من تأويل بعض ألفاظهم الشركية على أنها مجاز في كتبهم، ولا يضطرنا إلى مثل هذه التأويلات شيء، ويكفي ما أخبرنا الله عنهم من تحريفه، وما أعلمنا عنهم من تبديله.

(٣) سنن الدارمي (١: ١٠٢). وينظر: لباب النقول: السيوطي، مطبوع بحاشية تفسير الجلالين (٥١٦-٥١٧).

ثانياً: تحرج الصحابة في الرواية عن بني إسرائيل، وامتناعهم عن النقل من كتبهم:

فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتشدد على كل من يكتب شيئاً من الإسرائيليات أو يروي عنهم.

فقد روى الحافظ أبو يعلى بسنده عن خالد بن عرفطة قال: كنت جالساً عند عمر إذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس، فجلس، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ * نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣] فقرأ عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال[١] قال: مُرني بأمرك أتبعه، قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنك عقوبة، ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ ما هذا في يدك يا عمر؟ قلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا، فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نودي بـ«الصلاة جامعة»، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم؟ السلاح السلاح، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون»[٢]، قال عمر: فقمت فقلت: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبك

---

(١) دانيال: نبي من أنبياء بني إسرائيل.

(٢) المتهوك: الشاك، والمتهوكون: المتحيرون الشاكون.

رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ. فكانت مقالة النبي ﷺ درساً تعلم منه عمر وعلمه الناس واتخذه منهجاً أخذ الناس به طيلة حياته، وليت من جاء بعد عمر فعل هذا[١].

ثالثاً: إن هذه الكتب منسوخة بالقرآن، لأن الشريعة الإسلامية ناسخة لما قبلها باعتبارها خاتمة الشرائع، فهي ناسخة لما سبقها، وهي وحدها دون غيرها واجبة الإتباع، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]. أي أنزلنا إليك هذا القرآن الذي أكملنا به الدين فاحكم بين أهل الشرائع السابقة كما تحكم بين المسلمين، بما أنزل الله إليك من الأحكام، لا بما أنزله الله إلى الأمم السابقة من أحكام، لأن الشريعة الإسلامية ناسخة لشرائعهم[٢].

وشرائعهم منسوخة بقول الرسول ﷺ فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلّا كان من أصحاب النار» رواه مسلم.

ومعنى هذا: أن رسالته ناسخة لكل ما سبقها من الرسالات فيجب على كل من بلغته أن يأخذ بها ويترك ما عداها، أما من لم تبلغه فلا عليه لقيام عذره، ولقد خص رسول الله ﷺ اليهود والنصارى بالذكر لأنهم حرفوا وبدلوا وجحدوا الإسلام، فزعمت اليهود أنّ عزيراً ابن الله، وزعمت النصارى أنّ المسيح ابن الله، فكيف يصح النقل من كتبهم لتفسير آيات الله!

رابعاً: إنَّ الإسرائيليات التي ليس لها شاهد من ديننا بالصدق أو الكذب ينبغي أن

---

(١) تفسير ابن كثير (٤: ٤١٢-٤١٣). وينظر: جهود السلف في بيان الإسرائيليات والموضوعات لأستاذنا الدكتور عبد الستار حامد: مقبول للنشر في مجلة كلية الشريعة.

(٢) المدخل لدراسة الشريعة: الدكتور عبد الكريم زيدان (٧٢) نقلاً عن تفسير المنار (٦: ٤١٢).

نتوقف فيها، فلا يجوز أن تذكر في تفسير القرآن الكريم بياناً لآية، أو تفصيلاً لمجمل أو تقييداً لمطلق، لأن ذكر ذلك بجوار كلام الله يجعلنا نؤمن بها وبما هو كذب وافتراء. لذلك ذهب الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله إلى أن مثل هذه الإسرائيليات وإن جاز أن يتحدث بها فإنه لا يجوز أن تذكر في مقام التفسير للقرآن الكريم حيث قال: «إن إباحة التحدث عنهم ـ أي عن أهل الكتاب ـ فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه شيء، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر، لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لقول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وأن رسول الله ﷺ لما أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أكثر من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير أو البيان. اللهم غفراً»[(١)].

هذه هي أهم المباحث التي شملت أسس منهجه وأصول تفسيره، وهناك جملة أمور تعرض لها البقاعي في «تفسيره» لا تعد أصلاً منهجياً لورودها لماماً أو مجملة، لذلك أذكرها بإيجاز خشية الإطالة:

١ ـ تعرضه لعلم التوحيد:

ـ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] أوضح وحدة الله جل جلاله في ذاته وصفاته فقال: (ولما كان المراد أن الوحدة معتبرة في نفس الأمر في الإله الحق، فلا يصح أصلاً أن يكون الإله الحق منقسماً بالنوع ولا بالشخص ولا بالوصف ولا بالفعل ولا بغير ذلك بوجه من الوجوه، أعاد لفظ الإله فقال: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة ولا بغيرها)[(٢)].

---

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: اختصار المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر (١: ١٥).

(٢) نظم الدرر (٢: ٢٨٠). وينظر: (٢: ٢٩٩)، (٦: ٢٥٠)، (٨: ٧٧)، (١٠: ٣١٤).

ـ وكما أوضح وحدة الحق جل جلاله أوضح أيضاً أن لا تأثير إلا لله تعالى، فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ [البقرة: ١٦٤] قال: (أسند الجري إليها ومن المعلوم أنه لا جري لها حقيقة ولا فعل بوجه ترقية إلى اعتقاد مثل ذلك في النجوم إشارة إلى أنه لا فعل لها ولا تدبير كما يعتقد بعض الفلاسفة)[١].

ـ ويتكلم عن صفات الله جل جلاله، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: (والذي سمعه موسى عليه السلام ـ عند أهل السنة من الأشاعرة ـ هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف ولا بعد في ذلك، كما لا بعد في رؤية ذاته سبحانه، وهي ليست بجسم ولا عرض ولا جوهر، وليس كمثله شيء)[٢]. ويوضح أنه جل جلاله هو الجامع لصفات الكمال[٣] وذكر غير هذا[٤].

ـ وذكر مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة، وأنها جائزة لأن الباقي لا يرى بأبصار فانية[٥].

ـ وعرج للرد على المعتزلة تلميحاً وتصريحاً حسب اقتضاء المقام، فمن التلميح مثلاً كثرة ذكره أنه لا يجب على الله جل جلاله فعل ما هو الأصلح[٦]. لأن المعتزلة يقولون بأنه يجب على الله فعل ما هو الأصلح[٧] وذكر أن الجنة والنار مخلوقتان الآن[٨].

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢٩٢). وينظر: (٢: ٢٩٩)، (٦: ٢٥٠)، (٨: ٧٧)، (١٠: ٣١٤).

(٢) المصدر السابق (٨: ٧٧).

(٣) المصدر السابق (٥: ٢١٩).

(٤) المصدر السابق (٤: ٢٣٣-٢٣٤)، (٤٩٦)، (٥: ٤٩٦)، (٦: ٢١٨-٢١٩)، (٨: ٢٢٢).

(٥) المصدر السابق (٨: ٧٧-٧٨).

(٦) المصدر السابق (٥: ٦٢)، (١٦٠)، (٣٧٤)، (٦: ٧)، (١٢٧)، (٨: ٣)، (١٧٩)، (٤٣٣)، (١٠: ٨٦).

(٧) شرح نونية العرياني (٨٩). وينظر: نثر اللآليء: الألوسي (٨٦).

(٨) نظم الدرر (١: ١٨٨)، (٥: ٧٣).

ـ وأكثر من الرد عليهم صراحة في غضون «تفسيره»، فهو يرد عليهم قولهم: إن الحرام ليس برزق، فيقول كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤] (وصرف الأمر بالتبعيض إلى الحلال الطيب، فمنع احتجاج المعتزلة بها في أن الرزق لا يكون إلا حلالاً لكونه مأموراً به)[١].

ويرد على المعتزلة على وجه العموم ثم يخص منهم الزمخشري، فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] يقول: (وعبر عن ذلك بطريقة الكناية الإيمانية، فإن عصمته من قتل الكفار ملزومة للموت حتف الأنف. وأما قول الزمخشري: أي مستوفي أجلك ومعناه: إني عاصمك من أن يقتلك الكفار، ومؤخرك إلى أجل كتبته لك، ويميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم، يكون كناية تلويحية عن العصمة من القتل لأنها ملزومة لتأخيره إلى الأجل المكتوب والتأخير ملزوم للموت حتف الأنف، فلا ينبغي الاغترار به لأنه مبني على مذهب الاعتزال من أن القاتل قطع أجل المقتول المكتوب، وكان القاضي البيضاوي لم يتفطن له وترجم هذه العبارة بما يؤديها)[٢].

ـ ويعرج للرد على المعتزلة في قولهم: إن المَلَك أفضل من البشر، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] يقول: (وبهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الآية على أفضلية الملك على البشر بأن العادة في مثل هذا السياق الترقي من الأدنى إلى الأعلى بعد تسليم مدعاهم، لكن في الخلق لا في المخلوق)[٣].

٢ـ تعرضه لعلم أصول الفقه:

وقد تكلم فيه في غضون «تفسيره» في مسائل متعددة من جملتها:

---

(١) نظم الدرر (٤: ٢٣)، (٦: ٢٨٥).

(٢) المصدر السابق (٤: ٤٢٠-٤٢١).

(٣) المصدر السابق (٥: ٥٢٤).

ـ **الإجماع**: فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: ١١٥]، قال: (وهذه الآية دالة على أن الإجماع حجة لأنه لا يتوعد إلا على مخالفة الحق، وكذا حديث «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ـ وفي رواية: ظاهرين على الحق ـ حتى يأتي أمر الله» رواه عن النبي ﷺ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثوبان والمغيرة وجابر بن سمرة وجابر ابن عبد الله ومعاوية وأنس وأبو هريرة، بعض أحاديثهم في الصحيحين وبعضها في السنن وبعضها في المسانيد وبعضها في المعاجم وغير ذلك:

ووجه الدلالة: أن الطائفة التي شهد لها النبي ﷺ بالحق في جملة أهل الإجماع. والله سبحانه وتعالى الموفق)[١].

ـ **القياس**: فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. قال: (بالبحث عن آثار رسالته من نص في ذلك بعينه أو أولى قياس، ودلت الآية على ترتيب الأصول الأربعة، على ما هو فيها وعلى إبطال ما سواها)[٢].

وعند تفسيره للآية قبلها: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩] قال: (ولما أبان هذا الحكم الأصول الثلاثة[٣] أتبعها القياس، فسبب عما تقديره: هذا في الأمور البينة من الكتاب والسنة والتي وقع الإجماع عليها قوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ الآية[٤] كما ذكر أن القياس حجة وأن تقليد القاصر للعالم واجب، وأن الاستنباط واجب على العلماء)[٥]. وتكلم غير هذا[٦].

---

(١) نظم الدرر (٥: ٤٠٢-٤٠٣).

(٢) المصدر السابق (٥: ٣١١).

(٣) الأصول الثلاثة: هي الكتاب والسنة والإجماع.

(٤) نظم الدرر (٥: ٣١١).

(٥) المصدر السابق (٥: ٣٤٢).

(٦) المصدر السابق (١: ٢٢١، ٤٧٢)، (٢: ٩٤، ٩٠)، (٣: ٢٧٣، ٢١٦، ٣٤، ٣٤٣، ٢٣، ٢٧٠)، (٤: ١٥٠)، (٥: ١٧٩، ٢٠٠، ٢٠٥، ٦٩، ٣٨٠، ٨٦)، (٦: ٣٠٥)، (٨: ٣٣٣).

٣ـ ذكره لمسائل من علم الفقه:

فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] قال: (شطر: أي عين المسجد، كما استدل الشافعي رحمه الله في «الرسالة» على ذلك بجملة من أشعار العرب وقال: وهذا كله من أشعارهم يبين أن شطر الشيء قصد عين الشيء، إذا كان معايناً فبالصواب، وإن كان مغيباً فبالاجتهاد)(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] حيث قال: (ودل على وجوب تبييت النية وجواز تأخير الغسل إلى النهار بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ فإن في جعل تبين الفجر غاية لحل المفطرات إيجاباً لمراقبته للكف عنها، وذلك هو حقيقة النية، ومن استمر مباشراً إلى الفجر لم يمكنه الاغتسال ليلاً)(٢).

وقال أيضاً: (وأوضح دليل على إيجاب التبييت أمره بالإتمام فإنه لما وقع الشروع فيه فالتقدير: فإذا تبين الفجر الذي أمرتم بمراقبته لكونه غاية لما أحل لكم فصوموا؛ أي امسكوا عن المفطر)(٣). وتكلم في الفقه غير هذا الذي ذكرته(٤).

٤ـ تعرضه لعلم التصوف:

وقد تكلم البقاعي عن ذلك في «تفسيره»، ونقل عن الأولياء الفضلاء ما قالوه كل ذلك في موطنه اللائق به:

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢١٩).

(٢) المصدر السابق (٣: ٨٤، ٨٥).

(٣) المصدر السابق (٣: ٨٦، ٨٧).

(٤) المصدر السابق (٣: ٤٢، ١٦٣، ٣١٦، ٣٢٤)، (٤: ١٢٤، ٢٧١)، (٥: ٣٨١، ٢٠٩، ٢٣٦، ٢٨٨)، (٦: ١٢٩)، (٨: ٥٥٢).

فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]. يقول: (وخصهما هنا بالذكر إشارة إلى أن بركة الإقبال عليهما على ما شرع الله سبحانه وتعالى مفيداً لحياة القلوب بما أنزل على هذا الرسول الكريم ﷺ من الكتاب والحكمة الباقيين إلى آخر الدهر شفاء للقلوب وزكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر وتعليماً بصفة العلم، كما كان الإقبال على السعي بينهما تسليماً لأمر الله مفيداً لحياة أبيه إسماعيل عليه الصلاة والسلام، نفع من بعده بما أنبع له من ماء زمزم الباقي إلى قيام الساعة طعام طعم وشفاء سقم، وفي ذلك مع تقديم الصفا إشارة للبصراء من أرباب القلوب، إلى أن الصابر لله المبشر فيما قبلها ينبغي أن يكون قلبه جامعاً بين الصلابة والصفا، فيكون بصلابته الحجرية مانعاً من القواطع الشيطانية وبرقته الزجاجية جامعاً للوامع الرحمانية بعيداً عن القلب المائي بصلابته وعن الحجري بصفائه واستنارته)[١].

ـ ويتكلم عن اسم الله الأعظم ويصرح بأنه «الله» وأنه الجامع لمعاني الأسماء كلها أو الجامع لصفات الكمال[٢] وأن لفظة الجلالة «الله» أعلى الأسماء وأبطنها غيباً وأن الضمير «هو» أبطن منه)[٣].

فهو على هذا، يوافق قول القائلين بأن «هو» اسم من أسمائه جل جلاله، وقد تكلم أيضاً في أمور التصوف غير ما ذكرته[٤].

٥ـ تعرضه لعلم المنطق:

فمثلاً: يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]:

---

(١) نظم الدرر (٢: ٢٦٣)، وينظر: (٢: ١٢٥)، (١: ٢٣، ٢٤، ٢٨).

(٢) المصدر السابق (١: ٨٨: ٨٩)، (٢: ٣٥٤)، (٣: ٩٢)، (٨: ٢٠، ١٩٠).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٢٦).

(٤) المصدر السابق (٢: ١٢٣، ١٥٤، ٨٣)، (٣: ١٣٩، ١٠١)، (٥: ٣١، ٣٢١)، (٦: ١٤١).

(وهذا النفي من عموم السلب، وطريقه أنك تعتبر النفي أولاً، ثم تنسبه إلى الكل فيكون المعنى: انتفى عن كل فار أثيم حبه، وكذا كل ما ورد عليك من أشباهه، وإن اعتبرت النسبة إلى الكل أولاً ثم نفيت، فهو لسلب العموم، وإن اعتبرت النفي أولاً ثم نسبته إلى الكل فلعموم السلب، وكذلك جميع القيود، فالكلام المشتمل على نفي وقيد قد يكون بنفي التقييد، وقد يكون لتقييد النفي)[١].

ويقول عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: (والتقييد بالكثير يفيد أن المخلوق عاجز عن التحرز من النقص العظيم بنفسه، وإفهامه ـ عند استثناء نقيض التالي ـ وجود الاختلاف اليسير فيه تدفعه الصرائح)[٢].
وقد تعرض لجوانب أخرى من علم المنطق غير هذا[٣].

وذكر أيضاً أشياء يسيرة من علم الحكمة والمناظرة وعلم الوضع وعلم العروض[٤].

❊ ❊ ❊

---

(١) نظم الدرر (٤: ١٣٥)، وينظر: (٨: ١٨٧)، (١٠: ١١٠).

(٢) المصدر السابق (٥: ٣٤٠-٣٤١).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١: ٣١٨، ٤١٠)، (٢: ٢٣٥)، (٤: ١٦٦)، (٥: ٦٤، ١٧٤)، (١٢٠: ٦٩، ٧٥)، (٢٢: ٣٠).

(٤) المصدر السابق (١: ٢٨٥)، (٢: ٤٥)، (٤: ٢٩٥)، (٨: ٤٦١-٤٦٢)، (٢٢: ٨٨-٨٩).




الفصل الرابع
تفسير البقاعي في الميزان

وينطوي على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: أثر البقاعي في «تفسيره».

المبحث الثاني: المآخذ الموجهة إلى «تفسيره».




تـمهيـد

من المعلوم عند الناس: أن من صنّف وألف فقد استُهدف، أي نصب نفسه هدفاً للمدح أو الذم، وكل ذي عمل لا يخلو من ناقد ينقده على مواضع من عمله ذاك، وقد يكون الناقد محقاً في نقده لخلل حاصل في ذلك العمل، وقد يكون النقد في غير محله ويكون حينئذ أثراً من آثار الحقد والضغينة، وسبباً من أسباب اللؤم والحسد، أو نتيجة لتوهم من التوهمات التي لا يخلو منها إنسان.

هذا وقد كان للبقاعي أثر في التفسير ظاهر، لتذوقه المرهف لنصوص القرآن الكريم واجتهاد سديد في تفسير الآيات، لعلمه الواسع الذي ينبع من إيمانه العميق، وهناك أمور أخرى ليست مدعاة للنقد وإنما هي محض حسد وتحامل[1].

وكذلك لا يخلو «تفسيره» من مآخذ وهفوات توجب نقده ومعارضته.

ويمكننا أن نقسم الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: أثر البقاعي في التفسير.

المبحث الثاني: المآخذ الموجهة إلى «تفسيره».

---

(١) ومعلوم أن البقاعي قد حُسِد كثيراً بغض النظر عن أسبابه وقد ذكرت جملة من ذلك لدى المبحث الثالث من رسالتنا هذه في الكلام على مكانته العلمية، فلتراجع. وينظر: الكواكب السائرة: الغزي (١ : ٨).

المبحث الأول
أثر البقاعي في التفسير

لقد امتاز البقاعي ـ وكما يبدو للقارئ ـ في «تفسيره» بفكر ثاقب ونظر بعيد، لذلك نجده يسهم بنصيب وافر في ميدان التفسير، حتى جاء «تفسيره» درة من الدرر، فهو على الرغم من التقائه مع سائر المفسرين في اعتمادهم على ما ورد عن الرسول ﷺ وعن الصحابة والتابعين، فإنه لجأ إلى التفسير بالرأي عند عدم النص، فهو تفسير يجمع بين المنقول والمعقول كما سبق أن أوضحت ذلك في دراسة منهجه.

فمن المزايا التي امتاز بها البقاعي وانفرد بها عن المفسرين الذين سبقوه أو جاؤوا بعده عنايته الفائقة بالتناسب بين الآيات والسور[(١)]، فهو ينظر إلى السورة الواحدة كوحدة مؤتلفة تترابط آياتها وتتناسب معانيها في سياق واحد ذات موضوع واحد أو مواضيع شتى، ولكنها كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى هدف واحد. وكذلك تترابط سوره المختلفة، فكل سورة تترابط مع ما قبلها وبما بعدها برباط يظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع الذي يبحثه، لتحقق الهدف، وهو الوحدة الموضوعية المتكاملة في القرآن الكريم، وفي هذا رد على المستشرقين الذين يزعمون أنَّ القرآن سور متعددة وآيات مبعثرة، ومواضيع مختلفة، لا يربطها رابط ولا يضمها نظام.

---

(١) ولا يعترض على هذا الكلام بمصنف السيوطي المشهور لأنه لم يكن خاصة للتناسب أولاً، ولم يظهر للوجود بعد ثانياً، وقد كان عمله هذا تابعاً فيه للبقاعي لأنه قد سبقه إلى ذلك، فالبقاعي هو المتميز في هذا النمط.

وقد تأثر بالبقاعي أشهرُ مفسري العصر الحديث وحذوا حذوه، وفي طليعتهم: الشيخ محمد عبده وجمال الدين القاسمي والدكتور محمد عبد الله دراز كما ذكرنا ذلك فيما مضى.

ومما امتاز به البقاعي في «تفسيره» أيضاً: رده ما يراه غير موافق للصواب في نظره أو ما يجده مخالفاً أصلاً من أصول التفسير، فمثلاً: يرد على ابن عطية ترجيحه لقراءة أبي الفتح ابن جني: فعند قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] قال: (قال أبو حيان: وقرأ حميد بن قيس ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾ بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام، كذا قال عنه أبو عمرو الداني، وقال أبو الفتح ابن جني عن حميد بنصب الليل ورفع النهار، وقال ابن عطية: وأبو الفتح أثبت، وهذا الذي قاله ـ من أن أبا الفتح أثبت ـ كلام لا يصح إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءة ومعرفتها وضبط روايتها واختصاصه بذلك بالمكان الذي لا يدانيه أحد من أئمة القراءة، فضلاً عن النحاة الذين ليسوا مقرئين، ولا رووا القراءة عن أحد ولا روى عنهم القراءة أحد)[١].

وينتقد البيضاوي ويصحح ما وقع فيه من التباس، ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنفال: ١١] حيث قال: (ووقع في «البيضاوي» و«أصله» وكذا «تفسير أبي حيان» أن المشركين سبقوا إلى الماء وغلبوا عليه، وليس كذلك بل الذي سبق إلى بدر وغلب على مائها المؤمنون كما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره)[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤]. قال: (ومشى البيضاوي على أن الأمر بالسجود كان بعد الإنباء بالأسماء، ولم يذكر دليلاً يصرف عن هذا الظاهر، على أن المشي عليه أولى من جهة المعنى)[٣].

(١) نظم الدرر (٧: ٤١٤-٤١٥).

(٢) المصدر السابق (٨: ٢٣٥، ٢٨٦). وينظر أيضاً: (٤: ٤٢١)، (٥: ١٢٤)، (٨: ٣٢١).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٨٠).

ـ ويعترض على أبي حيان: فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] حيث قال: (وقرأ سعيد بن جبير «إن» خفيفة، «وعباداً أمثالكم» ـ بنصب الدال واللام ـ واتفق المفسرون على أن «إن» هي الناقية أعملت عمل «ما» الحجازية...) ثم قال: (ذكر ذلك كله أبو حيان وذكر أنه أشبع الكلام فيه في «شرح التسهيل» واعترض على هذا التخريج بأنه يلزم منه منافاتها للقراءة المشهورة...)[١].

ـ ويرد على «الكشاف» ويعترض عليه، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩] حيث نقل قول أبي البقاء في محل إعراب «عوجاً»: (وقول الكشاف...) ثم قال: (فالظاهر أن جعل ﴿عِوَجًا﴾ حالاً ـ كما قال أبو البقاء ـ أصوب من جعله مفعولاً ـ كما قال في «الكشاف»)[٢].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: ١١٣] قال: (وفسر الزمخشري الركون بالميل اليسير، وهو حسن من جهة المعنى لكني لم أره لغيره من أهل اللغة)[٣].

وعند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال: ٦٥] قال: (والتحريض: ترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة إليه مع الصبر عليه. انتهى فهذه حقيقته لا ما قال في «الكشاف» وتبعه عليه البيضاوي)[٤].

ـ ويرد أيضاً على الرماني بقوله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف: ١] (لم تعد ـ أي: ﴿الٓر﴾ ـ من الفواصل لأنها لا تشاكل رؤوس الآيات؛ لأنها على حرفين

---

(١) نظم الدرر (٨: ١٩٧). وينظر: المصدر السابق (٨: ٢٣٥).

(٢) المصدر السابق (٥: ١٢).

(٣) المصدر السابق (٩: ٣٩٣).

(٤) المصدر السابق (٨: ٣٢١). وينظر: (٤: ٤٢)، (٥: ١٢٤)، (٨: ٢٣٥، ٢٨٦).

فأجريت مجرى الأسماء الناقصة، وإنما يؤم بالفواصل التمام، وأما طه فيعد لأنه يشبه رؤوس آيها. انتهى)[١]. فرد عليه البقاعي بأن هذا قول من ذهب سهواً إلى أن السجع مقصود في القرآن وهو قول مردود غير معتد به[٢].

ـ ويرد أحياناً على قول يذكره المفسرون خطأ حيث قال: (وقول من قال إن يونس عليه السلام ليس من نسله ـ أي: إبراهيم عليه السلام ـ غير صحيح، بل هو من بني إسرائيل وهو أحد من ذكر في سفر الأنبياء)[٣]. ومن ذلك أيضاً قول بعض المفسرين بأن في الأرض خلقاً قبل آدم فيرد البقاعي هذا القول قائلاً: (وما يقال من أنه كان قبل آدم عليه السلام في الأرض خلق يعصون قاس عليهم الملائكة عليهم السلام حال آدم عليه السلام كلام لا أصل له، والذي يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى: أنه أول ساكني الأرض)[٤].

وكذلك عند قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ [يوسف: ٢٤] قال بعد تفسيره لها: (وأما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك فلم يصح منه شيء عن أحد منهم مع أن الأقوال التي رويت عنهم إذا جمعت تناقضت فتكاذبت..)[٥].

ـ وهو أحياناً يرد على القدرية: فعند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١١١] يقول: (فالآية دامغة لأهل القدر ولا مدخل لآية ولا غيرها في ذلك، فلا يطمع أحد في إيمانهم بغير ذلك)[٦].

---

(١) نظم الدرر (١٠: ٤).

(٢) المصدر السابق (١٠: ٤)، وينظر: (٩: ١٢٣).

(٣) المصدر السابق (٧: ١٧٢). وينظر: (٧: ١٥٩).

(٤) المصدر السابق (١: ٢٦٢-٢٦٣).

(٥) المصدر السابق (١٠: ٦٤). وينظر: (٢: ٥٣)، (٣: ٣٤٧، ٣٣٩)، (٥: ٤٥٤)، (٦: ٦١، ١١٦، ١١٧).

(٦) المصدر السابق (٧: ٢٣١).

ـ ويرد كذلك على الجبرية: فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١] قال: «قل: يا أشرف الخلق لهم غير مهتم بأمرهم ومنبهاً لهم على إبطال مذهب الجبر المتعلق أصحابه بنحو هذه الآية؛ لأن المشيئة مغيبة والعبد مأمور ببذل الجهد في الطاعة بماله من القدرة والاختيار..)[١].

ومن المحاسن التي تبرز واضحة في «تفسيره»، تحقيقه ما ينقله، فمن ذلك: تحقيقه للحديث الذي يورده: فمثلاً:

ذكر الحديث الشريف: «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف.. إلخ» ثم قال: (وهذا الحديث: رواه أبو بكر بن أبي شيبة في «مسنده»، وأبو يعلى الموصلي، ومن طريق ابن حبان في «صحيحه»، كلهم من طريق ابن وهب عن حيوة عن عقيل بن خالد عن سلمة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنهم)[٢].

وكذلك أيضاً قال: (وروى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة نُـزُلاً لأهل الجنة» إلى أن قال: وأما ما لا نصدقه ولا نكذبه: فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال: «حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»، ورواه مسلم والترمذي والنسائي عن أبي سعيد، وهو معنى ما في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه... إلخ)[٣].

ـ تحقيقه للمسائل الفقهية التي يذكرها، فمثلاً: عند قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام في حق فرعون وملئه: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، قال: (وهذه الآية منبهة على أن الرضا بكفر خاص لا

---

(١) نظم الدرر (٩: ٢١١). وينظر: (٢٢: ٤١٤).

(٢) المصدر السابق (١: ٥٩).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٧٢-٢٧٣). وينظر: (٢: ١٢٥)، (٤: ٤٠٨)، (٨: ٤٢٥).

يستلزم استحسان الكفر من حيث هو كفر، قال الإمام الحليمي في كتاب شعب الإيمان المسمى بالمنهاج: وإذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذا على وجهين:

أحدهما: أن يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشيء يستحسنه فيحب أن يكون فيه نصيب، فهذا كفر، لأن استحسان الكفر كفر.

والآخر: أن يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشيء يستفظعه، فيحب أن يقع فيه، فهذا ليس بكفر.

تمنى موسى صلوات الله عليه وسلامه بعد أن أجهده فرعون ألا يؤمن فرعون وملؤه ليحق عليهم العذاب، وزاد على ذلك أن دعا الله تبارك وتعالى فلم ينكر الله تعالى ذلك عليه لعلمه أن شدته على فرعون وغلظته عليه لما رآه من عتوه وتجبره هي التي حملته على ذلك، فمن كان في معناه فله حكمه، وقد نقل ذلك عنه الزركشي في حرف التاء من قواعده مرتضياً له.

ونقل عنه أيضاً أنه قال: لو كان في قلب مسلم على كافر فأسلم فحزن المسلم لذلك وتمنى لو عاد إلى الكفر لا يكفر، لأن استقباحه الكفر هو الذي حمله على تمنيه، واستحسانه الإسلام هو الحامل له على كراهته.

ونقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أنه لو قتل عدو للإنسان ظلماً ففرح هل يأثم؟ إنْ فرح بكونه عصى الله فيه فنعم، وإن فرح بكونه خلص من شره فلا بأس به لاختلاف سببي الفرح. انتهى.

ويؤيده ما روى البيهقي في «دلائل النبوة» بسنده عن مقسم مرسلاً: «أنّ النبي ﷺ دعا على عتبة ابن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ودمي وجهه فقال: اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافراً، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً إلى النار»، ومسألة أن الرضا بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولي وسكتا عليها، ولكن قال الشيخ محيي الدين في «شرح المهذب»: إنّ ذلك إفراط، فما تقدم من التفصيل عن الحليمي وابن عبد السلام

هو المعتمد، والمسألة في «أصل الروضة» فإنه قال: لو قال المسلم: سلبه الله الإيمان، أو لكافر: رزقه الله الإيمان، فليس بكفر، لأنه ليس رضى بالكفر، لكنه دعاء عليه بتشديد الأمر والعقوبة. قلت: ذكر القاضي حسين في «الفتاوى» وجهاً ضعيفاً إنه لو قال لمسلم: سلبه الله الإيمان كفر، والله أعلم. وحكى الوجهين عن القاضي في «الأذكار» وقال: إن الدعاء بذلك معصية)[١]. وقد تكلم عن مسألة إرساله ﷺ إلى الملائكة بما يقرب من كراس لم يترك في ذلك مجالاً للتحقيق[٢]. ومن المحاسن التي تتجلى في «تفسيره»:

ـ احتمالات يسوقها فمثلاً: عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥]. قال: (ويمكن أن يراد بالخوف الجهاد، وبالجوع الصوم، وبنقص الأموال زكاة الصامت من الأموال، وبالأنفس زكاة الحيوان، وبالثمرات زكاتها، لكن الأنسب لافتتاح الآية واختتامها ما تقدمها وتلاها أن تكون مقصورة على الجهاد)[٣]. ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩] قال: (ويحتمل أن تكون السرعة على بابها، والمراد أنه لا يتهيأ في حسابه ما يتهيأ في حساب غيره من المغالطة المقتضية للنجاة، أو المطاولة في مدة الحساب المقتضية لتأخر الجزاء في مدة المراوغة والله أعلم)[٤].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦]. قال: (ولعل نصارى نجران أشد قصداً بهذا الخطاب، فإنهم خافوا أن ينزع منهم ملوك الروم ما خولوهم فيه في الدنيا إن أخبروا بما يعلمون من أمر النبي الأمي ﷺ)[٥].

---

(١) نظم الدرر (٩: ١٨٠-١٨٢)، وينظر: (١: ٢٧٤-٢٧٨). وينظر: (٣: ٢٧٦، ٢٩٥، ٤٤٦)، (٢٠: ٦٤، ٧٠).

(٢) المصدر السابق (٧: ٦٣-٧٨).

(٣) المصدر السابق (٢: ٢٦١).

(٤) المصدر السابق (٣: ٢٩٤-٢٩٥).

(٥) المصدر السابق (٤: ٣١٦).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] قال: (ولعل هذا الكلام خطر لها ولم تلفظ به فعلم الملك عليه السلام أنه شغل فكرها فأجابها عنه لتفريغ الفهم بأن ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾)(١).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [النساء: ٧٥] قال: (ولعل السين ذكرت لتفيد مع تحقيق الوعد الحث على المثابرة والمداومة على العمل إشارة إلى عزة ما عنده سبحانه)(٢).

ومن جملة المحاسن في تفسيره: استنباطه وانفراداته، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ قال: (وفي هذا النهي دليل على أن هذه السكنى لا تدوم، لأن المخلد لا يناسب أن يعرض للحظر بأن يحظر عليه شيء، ولا أن يؤمر ولا ينهى، ولذلك دخل عليه الشيطان من جهة الخلد)(٣).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الأنفال: ١١] قال: (ويصح عندي نصبها ـ أي أمنةً ـ على الحال)(٤) وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨] يقول: (وهو ـ أي التابوت، والله أعلم ـ الصندوق الذي وُضِع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر الآيات التي نسبتها من «التوراة» نسبة فاتحة الكتاب من القرآن، وهو يسمى تابوت الشهادة كما تقدم ذكره في وصف قبة الزمان فيما مضى أول قصة بني إسرائيل، وكانوا إذا حاربوا حمله جماعة منهم موظفون لحمله ويتقدمون به أمام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم، وكان العمالقة أصحاب جالوت لما

---

(١) نظم الدرر (٤: ٤٠٠).

(٢) المصدر السابق (٥: ٥٢٧-٥٢٨). وينظر أيضاً: (٦: ١١٩)، (٩: ١٦٧، ١٧١).

(٣) المصدر السابق (١: ٢٨٦).

(٤) المصدر السابق (٨: ٢٣٥).

ظهروا عليهم أخذوه في جملة ما أخذوا من نفائسهم وأن عهدهم به كان قد طال فذكرهم بمآثره ترغيباً فيه وحملاً على الانقياد لطالوت)[١].

ومن جملة المحاسن الحاصلة في «تفسيره» أيضاً: اختياره وترجيحاته وتوجيهاته وهو كثير.

فمثلاً عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] قال: (والأظهر ما ذكرته أنهم إنما قالوا ذلك تفرساً بحكم ما ظهر لهم من صورته ونحو ذلك من إعلامهم بأنه يجمع فيه الشهوة والعقل، ومن المعلوم أن الشهوة حاملة على الفساد)[٢].

ومن ذلك أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ [النساء: ٧٥] قال: (﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي المطلوب من الكفار ضعفهم حتى صار موجوداً، ويجوز ـ وهو أقعد ـ أن يكون منصوباً على الاختصاص تنبيهاً على أنه من أجل ما في سبيل الله»)[٣].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. يقول: (﴿ضِعْفَيْنِ﴾: أي مثل ما كانت تخرجه لو أصابها دون الوابل، كذا قالوا: مثلين، والظاهر: أن المراد أربعة أمثاله، لأن المراد بالضعف قدر الشيء ومثله معه فيكون الضعفان أربعة، والله سبحانه وتعالى أعلم)[٤].

وعند قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) نظم الدرر (٣: ٤٢٠). وينظر لذلك: (١: ٢٧٥، ٣٥٨، ٣٦٢، ٤١٦)، (٢: ١٥، ١١٣، ٢٦٠)، (٣: ٨٤، ٣١٦، ٣٢٦، ٤٢٥)، (٤: ١٤٨، ٢٨٦، ٣٧٤)، (٥ ٢٥٩)، (٦: ٢٣)، (٨: ٩١)، (١٠: ١٣٤، ٢١٦)، (٢٢: ٢٩٢).

(٢) المصدر السابق (١: ٢٣٩-٢٤٠).

(٣) المصدر السابق (٥: ٣٢٧-٣٢٨).

(٤) المصدر السابق (٤: ٨٤).

ﵟضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡﵞ [البقرة: ٢٧٣] حيث فسر السيما بقوله: (وتلك العلامة ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ هي السكينة والوقار وضعف الصوت ورثاثة الحال مع علو الهمة والبراءة من الشماخة والكبر والبطر والخيلاء ونحو ذلك)(١).

وعند قوله تعالى: ﵟيَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗاﵞ [آل عمران: ٣٠] يتكلم في جوانب نحوية ويرجع، فيذهب إلى أن ﵟيَوۡمَﵞ معمول لعامل من معنى يحذر، ثم قال: (والذي يرشد إلى تعيين تقدير هذا العامل ـ إذا جعل العامل مقدراً ـ قوله سبحانه وتعالى: ﵟوَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥﵞ [آل عمران: ٢٨] سابقاً لها ولاحقاً، ويجوز أن يكون بدلاً من (يوم) في قوله: ﵟلِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِﵞ [آل عمران: ٩]، وتكون فتحته للبناء لإضافته إلى الجملة، والله سبحانه وتعالى أعلم)(٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﵟوَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاﵞ [الأنعام: ١٠٩] يقول: (ويقرب عندي وإن بعد المدى: أن يكون ﵟوَأَقۡسَمُواْﵞ معطوفاً على قوله تعالى: ﵟوَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦﵞ [الأنعام: ٣٧] وهذا من المتعارف في كلام البلغاء أن يحكي الإنسان جملة من كلام خفي، ثم يشرع في توهينها ويخرج إلى أمور ـ يجرها المقام ـ كثيرة الأنواع طويلة الذيول جداً، ثم يحكي جملة أخرى فيقول معجباً منه: وقال كذا وكذا، ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من الرد والنقد)(٣).

---

(١) نظم الدرر (٤: ١٠٥).

(٢) المصدر السابق (٤: ٣٢٩).

(٣) المصدر السابق (٧: ٢٣٠). وينظر: (١: ١٨)، (١٧٧) (٢٠٧)، (٢٣٦)، (٢٣٩)، (٢٤٥)، (٢٧٩)، (٢٨٦)، (٣٤٢)، (٣٦٧)، (٤٩١). (٢: ٩٤)، (١٢٩)، (١٣١)، (١٤٤)، (٢٨٢)، (٢٨٣). (٤: ١٩٦)، (٢٩٢)، (٣٧٣)، (٣٧٩). (٥: ١١١)، (٧: ٧٦)، (٢٣١)، (٤٤٨)، (٨: ٣٣)، (١٦٩)، (٣٠١)، (٣٧٥)، (٤٦٢)، (٤٧٠)، (٥٥٢).

المبحث الثاني

المآخذ الموجهة إلى «تفسيره»

من البدهي الواضح أن يكون كل إنسان إذا ما ألف وصنف اعتراه الذهول، وجرى عليه الخطأ، والبقاعي أيضاً، وقع في «تفسيره» أمور ـ أحسبها في نظري، والله أعلم ـ يجدر بتفسير كهذا أن يخلو منها: وأهمها:

١ـ نقله المفرط عن الكتب القديمة:

إن المطلع على تفسير البقاعي يجد أنه مكثور بالإسرائيليات[(١)] ناقلاً لها عن الكتب القديمة.

---

(١) الصحيح أن الإسرائيليات الموضوعات المشتملة على الخرافات والأباطيل نسب معظمها إلى الرسول ﷺ وإلى أصحابه وكبار التابعين، فهي إما موقوفة على الأصحاب وإما منسوبة إلى الرسول ﷺ صراحة، وهنا تتجلى الجناية الكبر ى على الإسلام، ويتضح التجني الآثم على نبيه ﷺ. ومن المعلوم أن الكثير من هذه الإسرائيليات و الموضوعات منقول من غير إسناد، ومن غير تحرّ عن الرواة مما يدل على أنه موضوع. أما ما قيل عنه أنه موقوف على الصحابة فله حكم المرفوع إلى النبي ﷺ وإن لم يكن مرفوعاً صراحة، فقد انبرى لهذا الكلام أئمة علم أصول الحديث والرواية الذين هم أبعد نظراً، وأجل تفكيراً وأوسع إطلاعاً، وأدق في تقعيدهم لقواعد النقد في الرواية من غيرهم فقالوا:

إن الموقوف على الصحابة لا يكون له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ إلا بشرطين:

الأول: أن يكون مما لا مجال فيه للرأي.

الثاني: أن لا يكون الراوي معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب الذين أسلموا، وبرواية الإسرائيليات.

ينظر: جهود السلف في بيان الإسرائيليات والموضوعات: الدكتور عبد الستار حامد: بحث تحت النشر في مجلة كلية الشريعة. وينظر: أضواء على التفسير في عصر التابعين (٨١-٨٣) من مجلة الرسالة الإسلامية، العدد (٢٦٤-٢٦٥).

فهو مثلاً يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] (وفي الإنجيل من ذلك كثير جداً، قال: في إنجيل متى ولوقا ومرقس يزيد أحدهم على الآخر وقد جمعت بين ألفاظهم: وجاء - يعني عيسى عليه السلام - إلى عبر البحر إلى كورة الجرجسيين، وقال في إنجيل لوقا: (التي) هي مقابل عبر الجليل، فلما خرج من السفينة استقبله مجنون. قال لوقا: من المدينة معه شياطين، وقال متى: مجنونان جائيان من المقابر رديئان جداً حتى أنه لم يقدر أحد أن يجتاز من تلك الطريق فصاحا قائلين: ما لنا ولك يا يسوع! جئت لتعذبنا قبل الزمان؛ قال لوقا: وكان يربط بالسلاسل والقيود ويحبس، وكان يقطع الرباط ويقوده الشيطان إلى البراري، فسأله يسوع: ما اسمك؟ فقال: لاجاون، لأنه دخل فيه شياطين كثيرة، وقال مرقص: فقال له: اخرج أيها الروح النجس! اخرج من الإنسان، ثم قال له: ما اسمك؟ فقال لاجاون: اسمي لأنا كثير، وطلب إليه أن لا يرسلهم خارجاً من الكورة؛ وكان هناك نحو الجبل قطيع خنازير كثيرة يرعى بعيداً منهم، فطلب إليه الشياطين قائلين: إن كنت تخرجنا فأرسلنا إلى قطيع الخنازير فقال لهم: اذهبوا، وقال مرقس: فأذن لهم يسوع، فللوقت خرجت الأرواح النجسة ودخلت الخنازير وقال متى: فلما خرجوا ومضوا مع الخنازير وإذا بقطيع خنازير قد وثب على جرف وتواقع في البحر ومات جميعه في المياه، وأن الرعاة هربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروهم بكل شيء وبالمجنونين، فخرج كل من في المدينة للقاء يسوع؛ قال مرقس: وأبصروا ذلك المجنون جالساً لابسا عفيفاً فخافوا، فلما أبصروه - يعني عيسى عليه السلام - طلبوا إليه أن يتحول عن تخومهم؛ قال لوقا: لأنهم خافوا عظيماً، وقال مرقس: فلما صعد السفينة طلب إليه المجنون أن يكون معه فلم يدعه يسوع لكن قال له: امض إلى بيتك وعرفهم صنع الرب بك ورحمته إياك، فذهب وكرز في العشرة مدن، وقال كل ما صنع به يسوع فتعجب جميعهم؛ وفي إنجيل لوقا معناه، وفي آخره: فذهب وكان ينادى في المدينة كلها بكل ما صنعه معه يسوع؛ وفي إنجيل متى: فلما خرج يسوع من هناك قدموا إليه

أخرس به شيطان، فلما خرج الشيطان وتكلم الأخرس، فتعجب الجميع قائلين: لم يظهر قط هكذا في بني إسرائيل، فقال الفريسيون: إنه باركون الشياطين يخرج الشياطين.

ثم قال: حينئذ أتى إليه بأعمى به شيطان أخرس، فأبرأه حتى أن الأخرس تكلم وأبصر، فبهت الجمع كلهم وقالوا لعل هذا ابن داود، فتسمع الفريسيون فقالوا: هذا لا يخرج الشياطين إلا بباعل زبول رئيس الشياطين. وفيه بعد ذلك: فلما جاء إلى الجمع جاء إليه إنسان ساجداً له قائلاً: يا رب! وفي إنجيل لوقا: يا معلم! ارحم ابني، فإنه يعذب في رؤوس الأهلة، ومراراً كثيرة يريد أن ينطلق في النار، ومراراً كثيرة في الماء، وفي إنجيل مرقس: قد أتيتك يا بني! وبه روح نجس وحيث ما أدركه صرعه وأزبده وضرر أسنانه فتركه يابساً؛ وفي إنجيل لوقا: أضرع إليك أن تنظر إلى ابني، لأنه وحيدي، وروح يأخذه فيصرخ بغتة ويلبطه بجهل، ويزبد عند انفصاله عنه ويرضضه، وضرعت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا؛ وفي إنجيل متى: وقدمته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يبرئوه، أجاب يسوع: أيها الجيل الأعوج الغير مؤمن! إلى متى أكون معكم! وحتى متى أحتملكم! قدمه إلى هنا؛ وفي إنجيل لوقا: وفيما هو جاء به طرحه الشيطان ولبطه؛ وفي إنجيل مرقس: فلما رأته الروح النجسة من ساعته صرعته وسقط على الأرض مضطرباً مزبداً؛ ثم قال لأبيه: من كم أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه، ثم قال ما معناه: افعل معه ما استطعت وتحنن علينا، فقال يسوع: كل شيء مستطاع للمؤمن، فصاح أبو الصبي وقال: أنا أؤمن فأعن ضعف إيماني، فلما رأى يسوع تكاثر الجمع انتهر الروح النجس وقال: يا أيها الروح الأصم الغير ناطق! أنا آمرك أن تخرج منه ولا تدخل فيه، فصرخ ولبطه كثيراً وخرج منه وصار كالميت، وقال كثير: إنه مات، فأمسك يسوع بيده وأقامه فوقف؛ وفي إنجيل متى: فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان وبرئ الفتى في تلك الساعة، حينئذ أتى التلامذة إلى يسوع منفردين وقالوا له: لماذا لم نقدر نحن نخرجه؟ فقال لهم يسوع: من أجل قلة إيمانكم، الحق أقول لكم أن لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل: انتقل من هاهنا إلى هناك،

فينتقل ولا يعسر عليكم شيء، وهذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة؛ وقال مرقس: لا يستطاع أن يخرج بشيء إلا بصلاة وصوم، وقال في إنجيل مرقس: إنه كان يعلم في كفر ناحوم مدينة في الجليل، قال: وكان في مجمعهم رجل فيه روح شيطان نجس فصاح بصوت عظيم قائلاً: ما لنا ولك يا يسوع الناصري أتيت لتهلكنا! قد عرفنا من أنت يا قدوس الله! فنهره يسوع قائلاً: اسدد فاك واخرج منه، فأقلقته! الروح النجسة وصاح بصوت عظيم وخرج منه؛ وفي إنجيل لوقا: فطرحه الشيطان في وسطهم وخرج منه ولم يؤلمه، وخاف الجمع مخاطبين بعضهم بعضاً قائلين: ما هو هذا العلم الجديد الذي سلطانه يأمر الأرواح النجسة فتطيعه! وخرج خبره في كل كورة الجليل؛ وفيه: ثم قام من هناك وذهب إلى تخوم صور وصيدا، ودخل إلى بيت فأراد أن لا يعلم أحد به، فلم يقدر أن يختفي، فلما سمعت امرأة ـ كانت بابنة لها روح نجس ـ جاءت إليه وسجدت قدام قدميه. وكانت يونانية صورية، وسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها، فقال لها: دعي البنين حتى يشبعوا أولاً، لا تحسبن أن يؤخذ خبز البنين يدفع للكلاب، وأجابت بنعم يا رب! والكلاب أيضاً تأخذ مما يسقط من المائدة من فتات الأطفال، فقال لها من أجل هذه الكلمة: اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتك، فذهبت إلى ابنتها فوجدت الصبية على السرير والشيطان قد خرج منها؛ وفي آخر إنجيل مرقس: أنه أخرج من مريم المجدلانية سبعة شياطين؛ وفي إنجيل لوقا: وكان بعد ذلك يسير إلى كل مدينة وقرية فيكرز ويكبر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر ونسوة كن أبرأهن من الأمراض والأرواح الخبيثة: مريم التي تدعى المجدلانية التي أخرج منها سبعة شياطين ومرثا امرأة خوزي خازن هين ودس وسوسنة وأخوات كثيرات؛ وفي إنجيل لوقا: وفيما هو يعلم في أحد المجامع في السبت فإذا امرأة معها روح مزمن منذ ثمان عشرة سنة وكانت منحنية لا تقدر أن تستوي البتة، فنظر إليها يسوع وقال: يا امرأة! أنت محلولة من مرضك ووضع يده عليها، فاستقامت للوقت ومجدت الله، فأجاب رئيس الجماعة وهو مغضب وقال للجميع: لكم ستة أيام ينبغي العمل فيها، وفيها تأتون وتستشفعون إلا

في السبت فقال: يا مراؤون واحد منكم يحل ثوره أو حماره من المدود في السبت ويذهب فيسقيه، وهذه ابنة إبراهيم كان الشيطان قد ربطها منذ ثمان عشرة سنة، أما كان يحل أن تطلق من هذا الرباط في يوم السبت؟ فلما قال هذا الكلام أخزى كل من كان يقاومه. وكل الشعب كانوا يفرحون بالأعمال الحسنة التي كانت منه. انتهى)[1].

٢ـ تفسيره لبعض الآيات تفسيراً رمزياً أو بالأعداد:

وهذا مما لا يتفق والمقصد الأصلي من إنزال القرآن الكريم باعتباره كتاب هداية وإرشاد، لا تفسير رموز وأعداد، فمثلاً:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] قال: (ثم إن هذه السورة عشر كلمات في الكتابة إشارة إلى أن تمام بتر شانئه يكون مع تمام السنة العاشرة من الهجرة وكذا الهجرة، وكذا كان، لم تمض السنة الحادية عشرة من الهجرة وفي جزيرة العرب إلا من يرى أشرف أحواله بذل نفسه وما له في حبه، وإذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت اثنتا عشرة، وفي السنة الثانية عشرة من النبوة بايعه ﷺ الأنصار على منابذة الكفار، وإذا أضيف إلى العشرة الضمائر البارزة الخمسة كانت خمس عشرة، فتكون إشارة إلى أنه ﷺ عند تمام السنة الخامسة عشرة من نبوته يبسط يده العالية لبتر أعدائه وكذا كان في وقعة بدر الرفيعة القدر، ففي ضمائر الاستتار كانت البيعة وهي مستترة، وفي الضمائر البارزة كانت بدر وهي مشتهرة، وإذا أضيف إلى ذلك الضميران المستتران كانت سبع عشرة، وفي السنة السابعة عشرة من نبوته كانت غزوة بدر الموعد.

وفيها وفى النبي ﷺ بالوعد في الإتيان إلى بدر للقاء قريش للقتال ومقارعة الأبطال، فآذنهم الله فلم يأتوا، وإنما اعتبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة عندما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها أقوى أحوال النبوة كما أن الكلمات الخطية أقوى من الضمائر وإن اشترك

---

(١) نظم الدرر (٤: ١١٤-١٢٢)، وينظر أيضاً: (٢: ٢١-٢٩)، (٤: ٧-١٩)، (١١: ٣١١-٣٤٠).

الكل في اسم الكلمات، فلذلك أخذ تمام البتر للشانئ وهو ما كان في السنة الحادية عشرة من هلاك أهل الردة وثبات العرب في صفة الإسلام. ولما ضمت الضمائر البارزة الخمسة ـ التي هي أقرب من المستترة ـ إلى الكلمات الخطية وأضعف من الكلمات الخطية اعتبر من أول السورة لمناسبة ما كان من ضعف الحال فيما كان قبل الهجرة، فوازى ذلك السنة الثانية من الهجرة التي كانت فيها غزوة بدر الكبرى، وهي وإن كانت من العظم على أمر بالغ جداً ولكنها كانت على وجه مخالف للقياس، فإن حال الصحابة رضي الله عنهم كان فيها في غاية الضعف، ولكونها أول ما وقع فيه النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مذعنة لأن ما بعدها يكون مثلها، فإذا ضم إلى ذلك الضميران المستتران ـ وهما أضعف من البارز ـ انطبق العدد على سنة غزوة بدر الموعد في سنة أربع، وهي وإن كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقاء لكن كان حالها أضعف من بدر التي وقع فيها القتال وأستر، وكون كلماتها الخطية والاصطلاحية التي هي أبعاض الكلمات الخطية سبع عشرة مؤذن بأن الأمر في فصل مصوب بالذات وبالقصد الأول إلى الصلوات الخمس التي هي سبع عشرة ركعة، وإنَّ من ثابر عليها كان مصلياً خارجاً من عهدة الأمر، فإذا قصدت في السفر بما اقتضته صفة التربية بالإحسان نقصت بقدر عدة الضمائر سوى الذي وفى الأمر بها لأن الأمر الناشئ عن مظهر العظمة لا يليق فيه التخفيف بنفس كلمة الأمر، وإذا أضفنا إليها كلمات البسملة الأربع كان لها أسرار كبرى من جهة أخرى، وذلك أن الكلمات الخطية تكون أربع عشرة إشارة إلى أن ابتداء البتر للأضداد يكون بالقوة القريبة من الفعل بالتهيئ له في السنة الرابعة عشرة من النبوة، وذلك عام الهجرة، فإذا أضفنا إليها الضمائر البارزة التي هي أقرب إلى الكلمات الخطية وهي خمسة وكانت تسع عشرة، وفي السنة التاسعة عشرة من النبوة وهي السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على الشانئين الذي أنزل الله فيه سورة الفتح فإذا أضفنا إليها الضميريين المستترين كانت إحدى وعشرين وهي سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الأكبر الذي عم العلم فيه بأن الشانئ هو الأبتر، وإذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت أربعة وأربعين حرفاً، فإذا ناظرتها بالسنين من أول حين النبوة كان آخرها

سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، وهي سنة البتر الأعظم لشانئه الأكبر الذي مزق كتابه، وكان مالكاً لبلاد اليمن، وهو قدر كبير من بلاد العرب وكذا لغيرهم مما قارب بلاده، وكانت قريش تجعله من عدادهم كما مضى بيانه في سورة الروم، وهو كسرى ملك الفرس ففيها كان انقراض ملكهم بقتل آخر ملوكهم يزدجرد، كما أنك إذا اعتبرت كلماتها الخطية مع الضمائر البارزة التي هي كلمات اصطلاحية دون ما استتر فإن وجوب استتاره منع من عده كانت تسع عشرة كلمة، فإذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة وازت وقت موت قيصر طاغية الروم في سنة تسع عشرة من الهجرة أهلكه الله، وقد تجهز إلى قتال العرب بالإسكندرية بنفسه، وأمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم فكسر الله بموته شوكة الروم، واستأسدت العرب عند ذلك، فكانت الأحرف مشيرة إلى بتر الشانئ من الفرس، والكلمات مشيرة إلى بتر الشانئ من الروم، والفرس أولى بإشارة الأحرف لأنهم ليسوا بذوي علم، والروم بالكلمات لأنهم أهل علم والكلمات أقرب إلى العلم، وإذا اعتبرت أحرف البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفاً، فإذا جعلتها سنين من أول النبوة كان آخرها سنة خمس من الهجرة، وفيها كانت غزوة الأحزاب، قال النبي ﷺ بعد انصرافهم منها: «الآن نغزوهم ولا يغزونا» فهو أول أخذ الشانئ في الانبتار، وإذا اعتبرت الأحرف بحسب الرسم كانت تسعة عشر أخرها سنة ست، وهي عمرة الحديبية سنة الفتح السببي وهو الصلح الذي نزلت فيه سورة الفتح وسماها الله فتحاً)[1].

وقد ينقل التفسير الرمزي لبعض الآيات ثم يسكت على ذلك، والسكوت عند النقل أمارة الرضا والقبول[2].

كما أنه في بعض الأحيان يفسر آيات القرآن تفسيراً إشارياً[3].

---

(١) نظم الدرر (٢٩٣-٢٩٧). وينظر: (١: ٢٣)، (٢٤)، (٢٨)، (٥٢)، (٦٣-٦٧)، (٤: ٣٦١)، (٥: ١٠١) (٢٢: ١٨٢-١٨٣)، (٣٩٨)، (٤٠٤)، (٣٤٠).

(٢) المصدر السابق (٤: ١٨٨)، (١٨٩)، (٢٠١)، (٢٥١).

(٣) المصدر السابق (٢: ١٢٥)، (٢٦٣)، (٤: ٤٢).

٣- إطالته في النقل من غير داع إلى ذلك ولا ضرورة:

فتراه مثلاً ينقل نقلاً مفرطاً عن الحرالي، فعند قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال: (قال الإمام أبو الحسن الحرالي في «العروة»: وجه إنزال هذا الحرف حمل الخلق على صدق التذلل لله سبحانه وتعالى إثر التطهير من رجزهم ليعود بذلك وصل ما انقطع وكشف ما انحجب وهو حرف العبادة المتلقاة بالإيمان المثابر عليها بسابق الخوف المبادر لها تشوقاً بصدق المحبة، فالعابد من ساقه الخوف إليها، والعارف من قاده الحب لها وهو بناء ذو عمود وأركان، وله حظيرة تحوطه، فأما عموده فإفراد التذلل لله سبحانه وتعالى توحيداً وطليعته آية ما كان نحو قوله سبحانه وتعالى ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] طهرهم حرف الزجر من رجز عبادة إله آخر فأثبت لهم حرف الأمر التفريد حتى لا يشركوا معه في التذلل شيئاً، أي شيء كان آخر، وهو أول ما أقام الله من بناء الدين ولم يفرض غيره نحو العشر من السنين في إنزال ما أنزل بمكة وسن مع فرضه الركن الأول وهو الصلاة، وبدئت بالوضوء عملاً من حذو تطهير القلب والنفس بحرف النهي وأعقب بالصلاة عملاً من حذو طهور القلب بالتوحيد بين يدي الرب سبحانه وتعالى: فالوضوء وجه عمل حرف الزجر، والصلاة وجه عمل حرف الأمر، وسن على تأسيس بدار الحب لتبدو قوة الإيمان في مشهود ملازمة خدمة الأبدان، فكان أقواهم إيماناً أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتاً، من أحب ملكاً خدمه ولازمه، ولا تخدم الملوك بالكسل والتهاون وإنما تخدم بالجهد والتذلل، فكانت الصلاة علم الإيمان تكثر بقوته وتقل بضعفه، لأنها لو فرضت لم يظهر فيها تفاوت قوة الإيمان وصدق الحب كما لا يظهر بعد فرضها إلا في النوافل، ولإجهاد النبي ﷺ نفسه وبدنه في ذلك أنزل عليه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٢-٨] هذا التوحيد وإظهاره هو كان يومئذ المقصود الأول وذلك

قبل إسلام عمر رضي الله تعالى عنه، وعمر موفي أربعين من عدد المؤمنين، فلما دخل الإسلام من لا يبعثه الحب والاستراحة على الصلاة بعد عشر أو نحوها فرضت الصلاة فاستوى في فرضها المحب والخائف، وسن رسول الله ﷺ التطوع على ما كان أصلها، وذلك صبيحة ليلة الإسراء وأول منزل هذا الحرف والله سبحانه وتعالى أعلم في فرض هذا الركن ومن أول منزله قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨] اختص لهم بها أوقات الرحمة، وجنبهم بها أوقات الفتنة، ومنه جميع آي إقامة الصلاة وإتمامها. الركن الآخر الصوم وهو إذلال النفس لله سبحانه وتعالى بإمساكها عن كل ما تتشوف إليه من خاص أمرها، نهاراً للمقتصد ودواماً للمعتكف، وهو صلة بين العبد وبين نفسه، ووصل لشتاته في ذاته، وأول ما أنزل هذا الركن من هذا الحرف بالمدينة بعد مدة من الهجرة، وأول منزله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] وإنما فرض - والله سبحانه وتعالى أعلم - بالمدينة، لأنهم لما آمنوا من عداوة الأمثال والأغيار، وعام الفتنة بالمدينة عادت الفتنة خاصة في الأنفس بالتبسط في الشهوات وذلك لا يليق بالمؤمنين المؤثرين للدين على الدنيا، ثم أنزل الله سبحانه وتعالى إتمامه بقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] إلى ما يختص من الآي بأحكام الصيام. الركن الآخر الزكاة وهو كسر نفس الغني بما يؤخذ بأخذه منه من حق أصنافها إظهاراً، لأن المشتغلين بالدين آثر عند الله سبحانه وتعالى من المقيمين على الأموال، وليميز بها الذين آمنوا من المنافقين لتمكنهم من الرياء في العمود والركنين. ولم يشهد الله سبحانه وتعالى بالنفاق جهراً أعظم من شهادته على مانع الزكاة. ومن منع زكاة المال عن الخلق كان كمن امتنع عن زكاة قواه بالصلاة من الحق، فلذلك لا صلاة لمن لا زكاة له، وكما كانت الزكاة حباً قبل فرضها كذلك كان الإنفاق لما زاد على الفضل عزماً مشهوراً عندهم لا يعرفون غيره ولا يشعرون في الإسلام بسواه، فلما شمل الإسلام أخلاطاً وشحت النفوس فرضت الزكاة وعين أصنافها. وذلك بالمدينة حين اتسعت أموالهم وكثر خير الله عندهم، وحين عم نفاق قوم بها أنفة من حط

رئاستهم بتذلل الإسلام لله، والنصفة بخلق الله، وتبين فيها الخطاب مرة لأرباب الأموال بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] لتكون لهم قربة إذا آتوها سماحاً، ومرة للقائم بالأمر بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] حين يؤنس من نفوسهم شح. وشدد الله سبحانه وتعالى فيها الوعيد في القرآن جبراً لضعف أصنافها. ونسق لذلك جميع ما أنزل في بيان النفقات والصدقات بداراً عن حب أو ائتمار عن خوف. الركن الآخر الحج وهو حشر الخلق من أقطار الأرض للوقوف بين يدي ربهم في خاتم منيتهم، ومشارفة وفاتهم ليكون لهم أمنة من حشر ما بعد مماتهم، فكمل به بناء الدين وذلك في أواخر سني الهجرة ومن آخر المنزل بالمدينة، وأول خطابه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] بتنبيهه على أذان إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: ٢٧] إلى ما أنزل في أمر الحج وأحكامه الحظيرة الحائط وهي الجهاد، ولم تزل مصاحبة الأركان كلها إما مع ضعف كما بمكة، أو مع قوة كما في المدينة، من أول تصريح منزله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] إلى قوله: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦] ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] إلى قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣] إلى انتهاء قتال أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩] إلى تمام المنزل في شأنه في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] وهذا تمام حرف الأمر؛ ولكل في ذلك الظاهر في الإسلام موقع حدوده في الإيمان، وموقع في الإحسان لدى ثلاثتها الذي هو كمال الدين كله، ذلك من تنزل القرآن من بين إفصاح وإفهام في هذا الحرف وهو وفاء الدين والتعبد لله رب العالمين.

ثم قال فيما به تحصل قراءة حرف الأمر: اعلم أن الوفاء بقراءة حرف النهي تماماً يفرغ لقراءة حرف الأمر، لأن المقتنع في معاش الدنيا يتيسر له التوسع في عمل الأخرى، والمتوسع في متاع الدنيا لا يمكنه التوسع في عمل الأخرى، لما بينهما من التضار والتضاد، والذي تحصل به قراءة هذا الحرف.

أما من جهة القلب فالتوحيد والإخلاص، وأعم ذلك البراءة من الشرك العظيم لئلا يتخذ مع الله إلهاً آخر، لأن المشرك في الإلهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [إبراهيم: ١٨] وأخص منه الإخلاص بالبراءة من الشرك الجلي بأن لا يرى لله سبحانه وتعالى شريكاً في شيء من أسمائه الظاهرة، لأنَّ المشرك في سائر أسمائه الظاهرة لا يصلح له القبول، والذي يحلف به عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنه: «لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»، ولكل عمل من المأمورات خصوص اسم في الإخلاص كإخلاص النفق بأن الإنعام من الله سبحانه وتعالى لا من العبد المنفق، وكإخلاص المجاهد بأن النصر من الله سبحانه وتعالى لا من العبد المجاهد: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] وكذلك سائر الأعمال يخصها الإخلاص في اسم من الأسماء يكون أملك بذلك العمل. أما من جهة أحوال النفس فأولها وأساسها طمأنينة النفس بربها في قوامها من غير طمأنينة لشيء سواه، فمتى اطمأنت النفس بما تقدر عليه وما لها من منة أو بما تملكه من مملوك أوبما تستند إليه من غير، ردت جميع عباداتها لما اطمأنت إليه، وكتب اسمها على وجهه، وكانت أمته لا أمة ربها، وكان المرء عبده لا عبد ربه «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة» وهذا هو الذي أحبط عمل العاملين من حيث لا يشعرون؛ وأما من جهة ما يخص كل واحد من الأوامر في أحوال النفس، فما يناسبه من أحوالها وأخلاقها، كاجتماعها في الصلاة، بأن لا تصغي لوسواس الشيطان، وأن لا تتحدث في تسويلها، وكسماحها وسخائها في الإنفاق وإيتاء الزكاة، وكصبرها في الصوم، والصوم الصبر كله، ويصحبها كل ذلك في الحج مع زيادة اليقين، ويصحبها الجميع في الجهاد مع غريزة الشجاعة؛ هذا من جهة حال النفس، وأما من جهة العمل وأحوال الجوارح فإن أدب الناطق بكلمة الشهادة أن يجمع حواسه إلى قلبه ويحضر في قلبه كل جارحة فيه، وينطق بلسانه عن جميع ذاته، أحوال نفس وجوارح بدن حتى يأخذ كل عضو منه وكل جارحة فيه وكل حال لنفسه قسطه منها. كما أشار إليه رسول الله ﷺ

وأعلم أن بذلك تتحات عنه الذنوب كما يتحات الورق عن الشجر، فلم يقرأ تهليل القرآن من لم يكن ذلك حاله فيه، وكذلك في تشهد الأذان وبذلك يهدم التهليل سيئاته في الإسلام كما هدم من المخلص به جرائم الكفران، سمع النبي ﷺ رجلاً يؤذن فلما قال: «الله أكبر الله أكبر، قال: على الفطرة، فلما قال: لا إله إلا الله، قال: خرجت من النار»؛ وأما أدب الصلاة فخشوع الجوارح والهدوء في الأركان، وإتمام كل ركن بأذكاره المخصوصة به، وجمع الحواس إلى القلب كحاله في الشهادة، حتى لا يحقق مدرك حاسة غفلة؛ وأما أدب الإنفاق فحسن المناولة، كان النبي ﷺ يناول السائل بيده ولا يكله إلى غيره والإسرار أتمّ: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١] وينفق من كل شيء بحسب ما رزقه، مياومةً أو مشاهرةً أو مسانهة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

وأما أدب الصوم فالسحور مؤخراً والفطر معجَّلاً وصوم الأعضاء كلها عن العدل فأحرى عن الجور. وترك العناية بما يفطر عليه إلى ما بعد الزوال والأخذ فيه لشهوة العيال: وأما أدب الحج فاستطابة الزاد والاعتماد على ما بيد الله لا على حاصل ما بيد العبد، وهو تزود التقوى، والرفع مع الرفيق، والرفق بالظهر، وتحسين الأخلاق والإنفاق في الهدي، وهو الثجّ، والإعلان بالتلبية وهو العجّ، وتتبع أركانه على ما تقتضيه أحكامه، وإقامة شعائره على معلوم السنة لا على معهود العادة؛ وأما أدب الجهاد فاستطابة الزاد، وإصلاح العدة ومياسرة الخلطاء، وحسن القيام على الخيل، وتطييب علفها تصفية وورعاً وتناوله بيده «كان رسول الله ﷺ يتناول علف فرسه بيده ويمسحه بردائه» والتزام ما يجد معه المُنَّة من أن يكون فارساً أو راجلاً أو رامحاً أو نابلاً. من تكلف غير ما يجد منته فقد ضيع الحق وعمل بالتكليف، والصمت عند اللقاء، وغض البصر عن النظر إلى الأعداء وقال ﷺ: «إذا أكثبوكم فارموهم ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم» وكف اليد عما للغير فيه حق وهو الغلول، وأن لا يدعوا للبراز، وأن يجيب إذا دُعي، وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل: عبدي كل عبدي الذي يذكر الله وهو ملاق قرنه»؛ ولكل أمر وتلبس بمأمور أدب يخصه على ما ستقرأ من السنن النبوية وآثار الخلفاء وصالحي الأمراء. فهذه الأمور من إخلاص القلب وطيب

النفس وأدب الجوارح، فيصح قراءة حرف الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ونقل عنه في غير هذا.

أو ينقل النقول المتعددة المتكاثرة في تفسير معنى كلمة لا تمس الحاجة إلى مثل هذا الإكثار فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] قال: (وبيان المراد من الميسر عزيز الوجود مجتمعاً، وقد استقصيت ما قدرت عليه منه إتماماً للفائدة.

قال المجد الفيروز أبادي في قاموسه: «والميسر اللعب بالقداح، يسر ييسر، أو الجزور التي كانوا يتقامرون عليها، أو النرد، أو كل قمار. انتهى.

وقال صاحب كتاب «الزينة»: وجمع الياسر يسر، وجمع اليسر أيسار فهو جمع الجمع مثل حارس وحُرس وأحراس. انتهى. والقامر كل مراهنة على غرر محض وكأنه مأخوذ من القمر آية الليل، لأنه يزيد مال المقامر تارة وينقصه أخرى كما يزيد القمر وينقص.

وقال أبو عبيد الهروي في «الغريبين» وعبد الحق الأشبيلي في كتابه «الواعي»: قال مجاهد: كل شيء فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز.

وفي تفسير الأصبهاني عن الشافعي: «إنَّ الميسر ما يوجب دفع المال أو أخذ مال، فإذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن ميسراً».

وقال الأزهري: الميسر الجزور الذي كانوا يتقامرون عليه، سمي ميسراً لأنه يجزأ أجزاء فكأنه موضع التجزئة، وكل شيء جزأته فقد يسرته، والياسر الجازر لأنه يجزء لحم الجزور، قال: وهذا الأصل في الياسر ثم يقال للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور: ياسرون، لأنهم جازرون إذ كانوا سبباً لذلك، ويقال يسر القوم: إذا قامروا، ورجل يسر وياسر والجمع أيسار؛ القزاز: فأنت ياسر وهو ميسور برجع والمفعول ميسور، يعني الجزور، وأيسار جمع يُسُر، ويُسُر جمع ياسر.

وقال القزاز: واليُسُر القوم الذين يتقامرون على الجزور، وأحدهم ياسر كما تقول غائب وغيُب، ثم يجمع أيسر فيقال: أيسار، فيكون الأيسار جمع الجمع، ويقال للضارب بالقداح يسر، والجمع أيسار. ويقال للنرد: ميسر، لأنه يضرب عليها كما يضرب على الجزور. ولا يقال ذلك في الشطرنج لمفارقتها ذلك المعنى.

وقال عبد الحق في «الواعي»: والميسر موضع التجزئة.

وقال أبو عبد الله كان أمر الميسر أنهم كانوا يشترون جزوراً فينحرونها ثم يجزئونها أجزاء.

قال أبو عمرو: على عشرة أجزاء.

وقال الأصمعي: على ثمانية وعشرين جزءاً، ثم يسهمون عليها بعشرة قداح، لسبعة منها أنصباء وهي الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى وثلاثة منها ليس لها أنصباء: وهي المنيح والسفيح والوغد، ثم يجعلونها على يد رجل عدل عنده يجيلها لهم باسم رجل رجل، ثم يقسمونها على قدر ما يخرج لهم السهام، فمن خرج سهمه من هذه السبعة أخذ من الأجزاء بحصة ذلك، ومن خرج له واحد من الثلاثة، فقد اختلف الناس في هذا الموضع.

فقال بعضهم: من خرجت باسمه لم يأخذ شيئاً ولم يغرم ولكن تعاد الثانية ولا يكون له نصيب ويكون لغواً.

وقال بعضهم: بل يصير ثمن الجزور كله على أصحاب هؤلاء الثلاثة فيكونون مقمورين ويأخذ أصحاب السبعة أنصباء على ما خرج لهم فهؤلاء الياسرون.

قال أبو عبيد: ولم أجد علماءنا يستقصون علم معرفة هذا ولا يدعونه، ورأيت أبا عبيدة أقلهم ادعاء له.

قال أبو عبيدة: وقد سألت عنه الأعراب فقالوا: لا علم لنا بهذا، هذا شيء قد قطعه الإسلام منذ جاء فلسنا ندري كيف كانوا ييسرون.

قال أبو عبيد: وإنما كان هذا منهم في أهل الشرف والثروة والجدة. انتهى. ولعل هذا سبب تسميته ميسراً.

وقال صاحب «الزينة»: فالتي لها الغنم وعليها الغرم أي من السهام يقال لها: موسومة، لأجل الفروض فإنها بمنزلة السمة، ويكون عدد الأيسار سبعة أنفس يأخذ كل رجل قدحاً، وربما نقص عدد الرجال عن السبعة فيأخذ الرجل منهم قدحين، فإذا فعل ذلك مدح به وسمي مثنى الأيادي، قال النابغة:

إنـي أتـمـم إيثـاري وأمنحـهـم مثنى الأيادي وأكسوا الحفنة الأدمـى

وقال: ويقال للذي يضرب بالقداح: حرضة، وإنما سمي بذلك لأنه رجل يجيل لا يدخل مع الأيسار، ولا يأخذ نصيباً ولذلك يختارونه لأنه لا غنم له ولا غرم عليه، والذي لا يضرب بالقداح ولا يدخل مع الأيسار في شيء من أمورهم يقال له: البرم. وتجمع القداح في جلدة، وقال بعضهم: في خرقة، وتسمى تلك الجلدة الرِّبابة، أي بكسر الراء المهملة وموحدتين، ثم تجمع أطرافها ويعدل بينها وتكسى يده أديما لكي لا يجد مس قدح له فيه رأي وتُشدّ عيناه، فيجمع أصابعه عليها ويضمها كهيئة الضغث ثم يضرب رؤوسها بحاق راحته فأيها طلع من الربابة كان فائزاً، قال: وقال غيره: تكون الربابة شبه الخريطة تجمع فيها القداح ثم يؤمر الحرضة أن يجيلها، فمنها ما يعترض في الربابة فلا يخرج ومنها ما لا يعترض فيطلع، فذاك يكون فائزاً، ويقعد رجل أمين على الحرضة يقال له: الرقيب، ويقال للذي يضرب بالقداح: مفيض، والإفاضة الدفع، وهو أن يدفعها دفعة واحدة إلى قدام ويجيلها ليخرج منها قدح، وكذلك الإفاضة من عرفة هو الدفع منها إلى جمع. انتهى. وقال في «القاموس»: كانوا إذا أرادوا أن ييسروا اشتروا جزوراً نسيئة ونحروه قبل أن

يسروا وقسموه ثمانية وعشرين سهماً أو عشرة أقسام، فإذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الأنصباء وغرم من خرج له الغفل. انتهى.

وقال عبد الغافر الفارسي في «مجمع الغرائب»: الياسر هو الضارب في القداح، وهو من الميسر وهو القمار الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، وكانوا يتقامرون على الجزور أو غيره ويجزئونه أجزاء ويسهمون عليها مثلاً بعشرة، لسبعة منها أنصباء وهي الفذّ ـ إلى آخره ـ ثم يخرجون ذلك، فمن خرج سهمه من السبعة أخذ بحصته، ومن خرج له واحد من الثلاثة لم يأخذ شيئاً؛ ولهم في ذلك مذاهب ما عرفها أهل الإسلام ولم يكن أحد من أهل اللغة على ثبت في كيفية ذلك. انتهى. هذا ما قالوه في مادة «يسر».

وقد نظمت أسماء القداح تسهيلاً لحفظها في قولي:

الفــذ والتـــوأم والـرقيــب والحلس والنافس يا ضريــب
ومسبـــل مـع المعلى عـــدواً ثـم منيــح وسفيـــه وغـــد

وأما ما قالوه في مادة كل اسم منها فقال في «القاموس»: الفذ ـ أي بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة ـ: أول سهام الميسر، والتوأم ـ أي بفتح الفوقانية المبدلة من الواو وإسكان الواو وفتح الهمزة وزن كوكب ـ: سهم من سهام الميسر أو ثانيها، والرقيب أمين أصحاب الميسر أو الأمين على الضريب والثالث من قداح الميسر، وقال في مادة «ضرب»: والضريب الموكل بالقداح أو الذي يضرب بها كالضارب والقدح الثالث؛ وقال في الجمع بين العباب والمحكم: والرقيب الحافظ ورقيب القداح الأمين على الضريب، وقيل: هو أمين أصحاب الميسر، وقيل: هو الرجل الذي يقوم خلف الحرضة في الميسر، ومعناه كله سواء، وإنما قيل للعيّوق: رقيب الثريا، تشبيهاً برقيب الميسر، والرقيب الثالث من قداح الميسر، وفيه ثلاثة فروض، وله غنم ثلاثة أنصباء إن فاز، وعليه غرم ثلاثة إن لم يفز؛ وقال في مادة «ضرب»: وضرب بالقداح والضريب الموكل بالقداح، وقيل: الذي يضرب بها،

قال سيبويه: فعيل بمعنى فاعل، والضريب القدح الثالث من قداح الميسر، قال اللحياني: وهو الذي يسمى الرقيب، قال: وفيه ثلاثة فروض إلى آخر ما في الرقيب؛ وقال في «القاموس»: والحرضة ـ أي بضم المهملة وإسكان المهملة ثم مجمعة ـ: أمين المقامرين، والحلس ـ بكسر المهملة وإسكان اللام ثم مهملة وككتف ـ: الرابع من سهام الميسر، والنافس ـ بنون وفاء مكسورة ومهملة اسم فاعل ـ: خامس سهام الميسر، ومسبل ـ أي بسين مهملة وموحدة ـ قال: بوزن مُحسن، السادس أو الخامس من قداح الميسر؛ وقال في «مجمع البحرين»: وهو المصفح أيضاً يعني بفتح الفاء، والمعلّى كمعظم؛ سابع سهام الميسر، والمنيح كأمير ـ أي بنون وآخره مهملة ـ قدح بلا نصيب، والسفيح أي بوزنه وبمهملة ثم فاء وآخره مهملة قدح من الميسر لا نصيب له، والوغد ـ أي بفتح ثم سكون المعجمة ثم مهملة ـ: الأحمق الضعيف الرذل الدنيء وقدح لا نصيب له؛ وقال صاحب «الزينة»: وكانوا يبتاعون الجزور ويتضمنون ثمنه ثم يضربون بالقداح عليه ثم ينحرونه ويقسمونه عشرة أجزاء ـ على ما حكاه أكثر علماء اللغة ـ ثم يجيلون عليها القداح فإن خرج المعلى أخذ صاحبه سبعة أنصباء ونجا من الغرم، ثم يجيلون عليها ثانياً فإن خرج الرقيب أخذ صاحبه ثلاثة أنصباء ونجا من الغرم ونفذت أجزاء الجزور، وغرم الباقون على عدد أنصبائهم فغرم صاحب الفذ نصيباً واحداً وصاحب التوأم نصيبين، فعلى ذلك يقسمون الغرم بينهم. وذكر عن الأصمعي أنه قال: كانوا يقسمون الجزور على ثمانية وعشرين جزءاً: للفذ جزء، وللتوأم جزءان، وللرقيب ثلاثة أجزاء، فعلى هذا حتى تبلغ ثمانية وعشرين جزءاً، وخالفه في ذلك أكثر العلماء وخطّؤوه وقالوا: إذا كان ذلك كذلك وأخذ كل قدح نصيبه لم يبق هنالك غرم، فلا يكون إذاً قامر ولا مقمور. ومن أجل ذلك قالوا لأجزاء الجزور: أعشار، لأنها عشرة أجزاء، قال امرؤ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

جعل القلب بدلاً لأعشار الجزور وجعل العينين مثلاً للقدحين أي سبت قلبه ففازت به كما يفوز صاحب المعلى والرقيب، وقال القزاز في التاء الفوقانية من «ديوانه»: والتوأم أحد أقداح الميسر وهو الثاني منها، وإنما سمي توأماً بما عليه من الحظوظ، وعليه حظان وله من أنصباء الجزور نصيبان، وإن قمرت أنصباء الجزور غرم من خرج له التوأم نصيبين، وذلك أنها عشرة قداح أولها: الفذ وعليه فرض وله نصيب، والثاني: التوأم وعليه فرضان وله نصيبان، والثالث: الرقيب وعليه ثلاثة فروض وله ثلاثة أنصباء، والرابع: الحلس وعليه أربعة فروض وله أربعة أنصباء، والخامس: النافس وعليه خمسة فروض وله خمسة أنصباء، والسادس: المسبل وعليه ستة فروض وله ستة أنصباء، والسابع: المعلى وعليه سبعة فروض وله سبعة أنصباء، ومنها ثلاثة لا حظوظ لها وهي السفيح والمنيح والوغد، وربما سموها بأسماء غير هذه لكن ذكرنا المستعمل منها هاهنا ونذكرها بأسمائها في مواضعها من الكتاب إن شاء الله تعالى، وهذه التي لا حظوظ لها ليس عليها فرض، ولذلك تدعى أغفالاً لأن الغفل من الدواب الذي لا سمة له.

وهيئة ما يفعلون في القمار هو أن تنحر الناقة وتقسم عشرة أجزاء فتجعل إحدى الوركين جزءاً، والورك الأخرى جزء وعجزها جزء، والكاهل جزء والزور ـ وهو الصدر ـ جزء، والملحا ـ أي ما بين الكاهل والعجز من الصلب ـ جزء، والكتفان ـ وفيهما العضدان ـ جزءان، والفخذان جزءان، وتقسم الرقبة والطفاطف بالسواء على تلك الأجزاء، وما بقي من عظم أو بضعة فهو الريم، وأصله من الزيادة على الحمل، وهي التي تسمى علاوة فيأخذها الجازر، وربما استثنى بائع الناقة منها شيئاً لنفسه، وأكثر ما يستثنى الأطراف والرأس، فإذا صارت الجزور على هذه الهيئة أحضروا رجلاً يضرب بها بينهم يقال له الحرضة، فتشد عيناه، ويجعل على يديه ثوب لئلا يحس القداح، ثم يؤتى بخريطة فيها القداح واسعة الأسفل ضيقة الفم قدر ما يخرج منها سهم أو سهمان، والقداح فيها كفصوص النرد الطوال غير أنها مستديرة، فتجعل الخريطة على يدي الحربة، ويؤتى برجل يجعل أميناً عليه، يقال له

الرقيب فيقال له: جلجل القداح، فيجلجلها في الخريطة مرتين أو ثلاثاً، فإذا فعل ذلك أفاض بها وهو أن يدفعها دفعة واحدة فتندر من مخرجها ذلك الضيق، فإذا خرج قدح أخذه الرقيب. فإن كان من الثلاثة التي لا فروض عليها رده إلى الخريطة وقال: أعد، وإن كان من السبعة ذوات الحظوظ دفعه إلى صاحبه وقال له: اعتزل القوم، وذاك أن الذين يتقامرون قد أخذ لك واحد منهم قدحاً على ما يحب، فإن كان الذي خرج الفذ أخذ صاحبه جزءاً وسلم من الغرم، وأعاد الحرضة الإفاضة، وإن كان الذي خرج التوأم أخذ صاحبه نصيبين واعتزل القوم وسلم من الغرم أيضاً، وكذا كل واحد منهم يأخذ ما خرج له ويعتزل القوم ويسلم من الغرم، فإذا خرج في الثانية قدح أخذ صاحبه ما خرج له وكذا الثالث يأخذ ما خرج له ويعتزل القوم ما لم يستغرق الأول والثاني أنصباء الجزور، مثل أن يخرج للأول الرقيب فيأخذ ثلاثة أنصباء، ثم يخرج للثاني المعلى فيأخذ سبعة أنصباء ويغرم الباقون ثمن الجزور، أو يخرج في الأول الفذ وفي الثاني التوأم وفي الثالث المعلى فيذهب أيضاً سائر الأنصباء ويغرم باقي القوم ثمن الجزور، وكذا ما كان مثل هذا، فإن زادت سهام من خرج له قدح على ما بقي من الجزور غرم له من بقي ما زاد سهمه، وذلك مثل أن يخرج للأول المعلى فيأخذ سبعة أنصباء ثم يخرج للثاني المنافس حظه خمسة وإنّ ما بقي من الجزور ثلاثة فيأخذها ويغرم له الباقون خمسي الجزور، وكذا لو خرج للأول النافس وأخذ خمسة أنصباء ثم خرج للثاني الحلس وأخذ أربعة أنصباء وخرج للثالث المعلى أخذ النصيب الذي بقي وغرم له الباقون ثلاثة أخماس الجزور، وعلى هذا سائر قمارهم.

إذا تدبرته علمت كيف يجري جميعه ويغرم القوم ما يلزمهم على قدر سهامهم الباقية، يفرضون ما يلزمهم على عدد ما في أنصبائهم من الفرض، وقد ذكر أن الجزور تجزأ على عدد ما في القداح من الفروض وهي ثمانية وعشرون جزءاً، ولا معنى لهذا القول لأنه يلزم أن لا يكون في هذا قمار ولا فوز ولا خيبة، إذ كل واحد يختار لنفسه ما أحب من السهام ثم يأخذ ما خرج له ثم لا تفرغ أجزاء الجروز إلا بفراغ القداح، فلا معنى للتقامر عليها

والأول أصح، ويدل عليه شعر العرب وذلك لأن الرجل إذا أخذ في الميسر قدحين فيفوز بأجزاء الجزور، مثل أن يأخذ المعلى والرقيب فإذا ضرب له الحرضة خرج له أحدهما ففاز بحظه ثم إذا ضرب الثانية خرج له الآخر فيفوز بسائر الجزور، ولو كان السهام والأنصباء على ما ذكروا لم يفز صاحب سهمين بسائر الأنصباء إذ لا تذهب الأنصباء إلا بفراغ القداح، ومما يدل على فوك صاحب السهمين بالكل قول امرئ القيس:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي   بسهميك في أعشار قلب مقتل

يقول: تضرب بسهميها المعلى والرقيب فتحوز القلب كله، ومن هذا قول كثير ووصف ناقة هزلها السير حتى أذهب لحمها:

وتؤبن من نص الهواجر والسرى   بقدحين فازا من قداح المقعقع

يقول: هذه الناقة هزلها السير حتى لم يبق من لحمها شيء فكأنه ضرب عليها بالقداح ففاز منها قدحان فاستوليا على أعشارها وهو الرقيب والمعلى. انتهى. وهكذا ذكر شرح قول كثير ورأيت على حاشية نسخة من كتابه ما لعله أليق، وذلك لأنه قال أي يظن بها فضل على الإبل في سيرها بعد نص الهواجر والسرى لصبرها وكرمها وشدتها كفضل رجل فاز قدحه مرتين على قداح أصحابه؛ والمقعقع هو الذي يجيل القداح. انتهى.

وهو أقرب مما قاله لأن قوله: تؤبن بقدحين فازا، ظاهر في أن القدحين لها وأنها هي الفائزة؛ والله سبحانه وتعالى الموفق. وقوله: لا معنى للتقامر عليها، على تقدير التجزئة بثمانية وعشرين ليس كذلك بل تظهر ثمرته في التفاوت في الأنصباء، وذلك بأن تكون السهام وهي القداح عشرة، فإنه لما قال: إن الأجزاء تكون ثمانية وعشرين، لم يقل: إنها على عدد السهام حتى تكون السهام ثمانية وعشرين، بل قال: إنها على عدد الفروض التي في السهام، وقد علم أنها عشرة؛ وقد صرح صاحب الزينة وغيره عن الأصمعي كما مضى وهو ممن قال بهذا القول، فحينئذ من خرج له المعلى مثلاً أخذ سبعة أنصباء من ثمانية وعشرين

فيكون أكثر حظاً ممن خرج له ما عليه ستة فروض فما دونها للضربات؛ وقوله: إن الرجل ربما أخذ قدحين إلى آخره، يبين وجهاً آخر من التفاوت، وهو أن الرجل ربما خرج له سهم واحد لاعتراض السهام وتحرفها عن سنن الاستقامة حال الخروج، وربما خرج له سهمان أو ثلاثة في إفاضة واحدة لاستقامة السهام واعتدالها للخروج ففاز بمعظم الجزور، وذلك بأن يكون الرجال أقل من السهام، وربما خرج له أكثر من ذلك مع الوفاء للثمن بينهم على السواء، وهذا الوجه يتأتى أيضاً بتقدير أن تكون السهام والرجال على عدد الأجزاء لانحصار العد فيمن خرج له سهام سواء كانت على عددهم أو أكثر وانحصار الغرم فيمن لم يخرج له سهم على تقدير أن يخرج لغيره عدد من السهام، وبتقدير أن لا يخرج لكل واحد واحد يكون قماراً أيضاً، لأنَّ كل واحد منهم غير واثق بالفوز ويكون فائدة ذلك حينئذ للفقراء، ومن قال: إن من خرج له شيء من السهام الثلاثة الأغفال يغرم، كان القمار عنده لازماً في كل صورة بكل تقدير. وقال في «الكشاف»: إنهم كانوا يعطون الأنصباء للفقراء ولا يأخذون منها شيئاً، وقد تقدم نقل ذلك عن صاحب «الزينة» والله سبحانه وتعالى أعلم)[١] ونقل عنه غير هذا أيضاً[٢].

٤ـ نقله لرواية الكلبي:

عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهذه الرواية هي أضعف الأسانيد في بيان طرق ابن عباس رضي الله عنهما[٣].

---

(١) نظم الدرر (٣: ٢٤٢-٢٥٩).

(٢) المصدر السابق (١: ١٠٢).

(٣) يقول السيوطي ـ رحمه الله ـ «وأوهى طرقه طريق الكلبي عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد ابن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب وكثيراً ما يخرج منها الثعلبي والواحدي، لكن قال ابن عدي في الكامل: للكلبي أحاديث صالحة وخاصة عن أبي صالح وهو معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع، وبعده مقاتل ابن سليمان، إلا أن الكلبي يفضل عليه لما في مقاتل من المذاهب الردية، الإتقان: السيوطي (٢: ١٨٩).

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [براءة: ٧٤] قال البقاعي: (وقال الكلبي: نزلت في الجُلاس بن سويد) وذكر تمام سبب النزول[١].

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] قال: (وهذه الآية سبب تسمية عمر رضي الله عنه بالفاروق لضربه عنق منافق لم يرض بحكم رسول الله ﷺ في قصة ذكرها الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما)[٢].

٥ـ ومن المآخذ على البقاعي في «تفسيره»:

إغفاله في بعض الأحيان ذكر بعض أسماء الراوين، وإهماله لأسماء بعض التابعين، فهو يقول مثلاً: «وفي بعض الآثار»[٣] ويقول «قال بعض التابعين»[٤].

٦ـ ومن المآخذ عليه أيضاً:

عدم ذكره في بعض الأحيان لإسناد الحديث وطرقه ورواته ودرجته كما اعتاد أن يفعله حينما يورد حديثاً فيكون هذا مأخذاً عليه، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: (كما ورد في الحديث: الحج من سبيل الله)[٥]، وقال: (كما قال ﷺ يوم عرض نفسه الشريفة على أهل الطائف ومسه منهم من

---

(١) نظم الدرر (٨: ٥٥١).

(٢) المصدر السابق (٥: ٣١٣).

(٣) المصدر السابق (٣: ٢١١).

(٤) المصدر السابق (٣: ٢١٩، ٣٧٩).

(٥) المصدر السابق (٣: ١٢٤).

عظيم الأذى ما مسه: إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، لكن عافيتك هي أوسع لي)[١] وفعل مثل هذا في غير ما ذكرته[٢].

٧ـ ومما يؤاخذ عليه أيضاً:

ذكره لبعض القراءات الشاذة وتوجيه أمرها، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤] قال: (وقرأ سعيد بن جبير: «إن» خفيفة و«عباداً أمثالكم»؛ بنصب الدال واللام)[٣]. ثم أورد بعد هذا اتفاق المفسرين على تخريجها بوجه ذكره، وأنه اعترض على هذا التخريج لمخالفته القراءة المشهورة، ثم عاد فعقب بما عنَّ له من ذلك، وهذا مما لا يزيد في التفسير إلّا طولاً مع عدم الحاجة إلى ذكره، والقراءة كما هو معروف تؤخذ بالتلقي لا بمجرد موافقتها للغة ومقابلتها عليها.

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٧٣] قال: (وقرئ شاذاً بالمثلثة)[٤] وذكر غير هذا[٥].

٨ ـ ومما يؤاخذ عليه أيضاً:

إيراده في «تفسيره» بعض الأسجاع المتكلفة المطولة التي لا يعنى بها من يريد التفسير، ومثل هذا كما هو معلوم محل نقد وموطن أخذ، فمثلاً: عند قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥] قال: (ولما أقسم بالخيل التي هي أشرف الحيوان، كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف منه بالبيان، وتجري به أفكاره كخيل الرهان، وتقدح المعاني تارة مقترنة

---

(١) نظم الدرر (٣: ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) المصدر السابق (١: ٣٠، ٤٩، ١١١)، (٢: ١٥٦)، (٣: ١٤٤)، (٤: ٧٢)، (٥: ٢٣٣).

(٣) المصدر السابق (٨: ١٩٦).

(٤) المصدر السابق (٨: ٣٤٦).

(٥) المصدر السابق (٨: ٢٦٧، ٤٥٣)، (٧: ٢١٦).

بأشرف اللمعان، وأخرى بأخس ما يقع به الاقتران، من الزور والبهتان، والإلحاد والطغيان، وتغير منه ثواقب الأذهان تارة على شبه الخصوم بالبرهان، وأخرى بها يغير به من الشبه الملتبسة في وجوه المعاني الحسان، وينثر تارة المعاني الصحيحة على أهل الطغيان من ذوي البدع والكفران، وأخرى فاسدة على حزب الملك الديان، وتتوسط تارة جمع أولي الطغيان، وأخرى جمع أولي الإيمان)[(١)].

٩ـ ومما يؤخذ على البقاعي أيضاً:

تكفيره ابن عربي وابن الفارض، فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ الآية: [هود: ٥٩-٦٠] يقول: (وفيه من أدلة النبوة وأعلام الرسالة الرد على طائفة قد حدثت بالقرب من زماننا يصوبون جميع الملل، وخصوا عاداً هذه لكونها أغناهم بأن قالوا: إنهم من المقربين إلى الله، وأنهم بعين الرضا منه، فالله المسؤول في الإدالة عليهم وشفاء الصدور منهم، وهم أتباع ابن عربي الكافر العنيد، أهل الاتحاد، المجاهرون بعظيم الإلحاد، المستخفون برب العباد)[(٢)].

وهذا التكفير لهما منه أمر لا موجب له ولا داعي إليه لما سلفت فتوى شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري وإن كلامهما محمول على رموز وإضافات مبنية على اصطلاحات هي عندهم معروفة[(٣)]، ولا يضيرهما ذلك لأن أهل كل شأن مبني شأنهم وأمرهم على مصطلح يتداولونه بينهم يكون حقيقة عندهم مجازاً عند غيرهم.

وأعجب العجب أن البقاعي رحمه الله حينما يعرض للنقل عن الكتب القديمة،

---

(١) نظم الدرر (٢٢: ٢١٣-٢١٤). وينظر: (٤: ٣٠٨)، (٢٢: ٢٩٨).

(٢) المصدر السابق (٩: ٣١٦). وينظر: (٩: ٣٧٠).

(٣) ينظر ص٦٩، وينظر: ابن عربي بين القادح والمادح.

يوجه ما يرد فيها من ألفاظ مخالفة للشرع مقتضية للتكفير ويحملها على مجازات تقتضي ذلك، فهو مثلاً، يقول بعد نقله عنهم: (وفيه من الألفاظ التي لا يجوز إطلاقها في شرعنا مثل: الله الأب، وقوله: بني الله، وسيأتي إن شاء الله تعالى في «آل عمران» تأويل مثل هذا على تقدير صحته وأنه يرد إلى المحكم على أوضح وجه، مثل الألفاظ التي وردت في شرعنا ورددناها إلى المحكم، وضلَّ بها من حملها على ظاهرها ممن يدعي الإسلام)(١). ويقول أيضاً بعد نقله: (وفيه مما يمتنع إطلاقه في شرعنا لفظ الأب والابن وسيأتي في «آل عمران»(٢) ما يشفي الغليل في تأويل مثل ذلك على تقدير صحته)(٣).

وحسب علمي إن هذا محل نقد عليه بتبرئة ساحة من وضحت مخالفته وظهرت مناقضته ـ لأن الكتب كلها منسوخة أولاً، ولا يضرنا بعد هذا صح التعبير أم لا، وثانياً: إن توجيه مثل هذه الألفاظ صعب المرتقى وعر المنال ـ وتجريح من أمرنا بالبحث له عن المخارج الحسنة، كيف وتكفير المسلم أمر صعب لا يقدم عليه بحال، وما دس على ابن عربي من قبل معاديه ومناوئيه الشيء الكثير، فلا ينبغي تكفير من تحقق إيمانه وإسلامه بتوهمات منسوبة إليه فضلاً عن أن لذلك توجيهات ذكرها العلماء رضي الله عنهم، وليس هذا مجال الإطالة في ذلك، ويكفي أن ابن عربي أحد مشايخه العلامة ابن الجوزي أجازه بعلم الحديث، وأن له القدم الراسخ في العلوم، وكتبه على علو كعبه شاهدة.



(١) نظم الدرر (٢: ٢٩).

(٢) ينظر: (٤: ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢).

(٣) المصدر السابق (٤: ١٩). وينظر أيضاً: (١١: ٣١٨).

ملخص رسالة
البقاعي ومنهجه في «تفسيره»

١ـ إن البقاعي: هو إبراهيم بن عمر الخرباوي البقاعي من بلاد الشام، توفي سنة (٨٨٥)هـ، درس العلوم وبرز في الفهوم، وطوف في البلاد، وشارك بالغزو والجهاد، واستفاد وأفاد حتى نال الشهرة، وضرب به المثل في الذكاء والفطنة، بحيث وصف: «بأنه جمعة متقدة وأنه من جملة الأذكياء المفرطين في الذكاء».

٢ـ وإنه حسد حسداً عظيماً، بحيث كاد ذلك الحسد أن يودي بحياته ولكن الله تعالى سلمه من ذلك.

٣ـ وإنه كان حاد الطبع، عصبي المزاج، بحيث كان يؤلف المؤلفات المتعددة في الرد على مسائل قد لا تقتضي ذلك. كرده مثلاً على السيوطي بكتابه المسمى «السيف المسنون اللماع على المفتي المفتون بالابتداع» حينما أفتى السيوطي بلزوم قراءة سورة الفاتحة عقب الصلوات.

٤ـ وإن «تفسيره» هذا جاء فريداً في بابه، حيث لم يصنف قبله مثله على نمطه، فكان البقاعي هو الرائد الأول في هذا الميدان.

٥ـ ولم يقتصر هذا التفسير على التناسب فحسب، بل تعداه إلى تجلية أسرار القرآن الكريم عن طريق البلاغة العربية، وأسرار اللغة العربية نفسها.

٦ـ وقد اعتمد البقاعي في «تفسيره» على مصادر مهمة في جوانب مختلفة، عقلية ونقلية، فجاء «تفسيره» هذا تفسيراً مهماً يجمع المعقول إلى المنقول ويضم الرأي إلى المأثور وهذا ـ كما هو معروف ـ خير ما عرف من ألوان التفسير.

٧ـ للبقاعي في «تفسيره» آراء خاصة كثيرة متعددة، منها في النحو واللغة، ومنها في التفسير، حتى دعاه ذلك للتعقيب على القاضي البيضاوي وابن حيان وغيرهما، والرد على «الكشاف» وغيره.

٨ـ وإذا أورد قولاً نسبه إلى صاحبه، وذكر المصدر الذي نقله منه، مما جعل لهذا العمل قيمة أساسية في موضوع أصول البحث الحديث وطرقه.

٩ـ وقد اعتمد البقاعي في «تفسيره» هذا على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين، ثم بيان أسباب النزول وبيان القراءات، وكشف عقيدة أهل السنة والجماعة بالرد على من خالفهم.

١٠ـ وإذا تعرض لمسألة فقهية أشبع القول فيها لأهميتها، ثم نقل أقوال العلماء، ورجح لذلك منحى الشافعية ومذهبهم.

١١ـ وقد أخذ على البقاعي جملة أمور كان الأجدر به أن يخلو عنها «تفسيره»، منها: نقله عن الكتب القديمة «التوراة» و«الإنجيل» والإطالة في ذلك، وتوجيه عباراتها العقيمة الشركية إلى ما يوافق الصواب بحملها على أنها أمور مجازية، وكذلك الإطالة في بين مسائل فقه اللغة وتقليب الألفاظ مما يتبادر للقارئ لأول وهلة أنه يقرأ في كتاب لغوي لا في تفسر لآيات الذكر الحكيم، وكذلك رده على ابن عربي وتكفيره له، وخليق بالتفسير أن يخلو من هذه الأمور، بل خليق بمثل البقاعي أن يجد له أحسن المخارج ويبحث له عن أحسن التأويلات، مع أن الإقدام على التكفير مزلة أقدام.

١٢ـ ولعل من يريد إكمال هذا البحث ليظهر التناسب في أجلى صوره أن يبحث عن مختصر البقاعي المسمى «دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن العظيم» وهو مختصر لتفسيره، جمع فيه البقاعي مناسبة الآي والسور.

لو أعـد هذا للطبع، وطبع وأخرج بصورته التي ينبغي أن يكون بها، لكان لأمر المناسبة ـ الذي نبحث عن استجلائه ـ شأن عظيم.

المصادر

- ابن دقيق العيد حياته وديوانه، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.
- ابن عربي بين القادح والمادح: أكرم عبد الوهاب: مديرية دار الكتب بالموصل ١٤٠٧هـ.
- ابن الفارض والحب الإلهي: محمد مصطفى حلمي: دار المعارف بمصر ١٣٦٦هـ.
- أبو السعود ومنهجه في التفسير: عبد الستار فاضل: رسالة ماجستير تقدم بها إلى مجلس كلية الشريعة في جامعة بغداد ١٤٠٩هـ.
- الآثار الخطية في المكتبة القادرية.
- الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم: دار الكتب العلمية: بيروت ١٤٠٥هـ.
- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي: مصطفى البابي الحلبي بمصر: الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ.
- أضواء البيان، الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.
- الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام: مطبعة الشرقي: دمشق ١٣٥٥هـ.
- إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون: إسماعيل باشا: مكتبة المثنى ببغداد.
- الأعلام: الزركلي: الطبعة الثالثة: بيروت.
- أساليب الغزو الفكري: المستشار علي جريشة: الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧م.
- الإسرائيليات في التفسير والحديث: د. محمد علي حسين الذهبي.
- أضواء على التفسير في عصر الناسبين: د. عبد الستار حامد: مجلة الرسالة الإسلامية.
- الأشباه والنظائر في النحو: السيوطي.
- الإلمام بأحاديث الأحكام: ابن دقيق العيد: دار الثقافة الإسلامية: الرياضي ١٣٨٣هـ.
- الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: د. عبد الغفار عبد الرحيم.

- الإمداد شرح منظومة الإسناد: أكرم عبد الوهاب: مديرية دار الكتب بالموصل ١٣٩٧هـ.
- إنباء الهصر في أبناء العصر: الجوهري الصريفي: دار الفكر: بيروت ١٩٧٠م.
- إيضاح المكنون: إسماعيل باشا: منشورات مكتبة المثنى بغداد.
١- بدائع الزهور في وقائع الدهور محمد بن إياس الحنفي: الطبعة الأولى بمصر ١٣١١هـ.
٢- البدر الطالع: الشوكاني: مطبعة السعادة في القاهرة ١٣٤٨هـ.
٣- البرهان في علوم القرآن: الزركشي: دار المعرفة للطباعة بيروت.
- تاج العروس شرح القاموس: محمد مرتضى الزبيدي: منشورات دار الحياة: بيروت.
- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان: مطبعة الفجالة بمصر ١٩١٣م.
- البيان في إعراب القرآن: الطبري: مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٩٦هـ.
- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان: مطبعة الفجالة بمصر ١٩١٣م.
- تحفة السفرة إلى حضرة البررة: ابن عربي: دار الكتاب اللبناني.
- التبيان في إعراب القرآن: العكبري: عيسى البابي الحلبي ١٣٩٦هـ.
- تحفة الأنجاب بمسألة السنجاب: السيوطي: ضمن الحاوي للفتاوي: مكتبة القدس بمصر ١٣٥١هـ.
- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد: البقاعي: دار الكتب العلمية.
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي: مطبعة الفجالة بمصر ١٣٨٧هـ.
- تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج: ابن الملقن: دار حراء للنشر والتوزيع: تدريب الراوي: السيوطي: دار الكتب الحديثة: الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.
- تدريب الراوي: دار الكتب الحديثة: ط٢ ١٣٨٥هـ.
- تفسير ابن كثير: مطبعة مصطفى محمد بمصر ١٣٥٦هـ.
- تفسير الشنقيطي «أضواء البيان»: عالم الكتب: بيروت.
- تفسير البقاعي «نظم الدرر» مطبعة حيدر آباد الدكن: تفسير الأجزاء الأولى: محمود شلتوت: دار العلم القاهرة.

- تفسير جمال الدين القاسمي: «محاسن التأويل».
- تفسير البيضاوي: دار الكتب العلمية: بيروت ١٤٠٨هـ.
- تفسير الرازي: دار الفكر ١٤٠٥هـ.
- تفسير الألوسي: «روح المعاني»: دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- تفسير أحمد محمد شاكر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٦هـ.
- تفسير الكشاف: الزمخشري: دار الفكر ١٣٩٧هـ.
- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي: دار الكتب الحديثة: الطبعة الثانية ١٣٩٦ هـ.
- التعريفات: الجرجاني: مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات: النووي: الطباعة المنيرية: القسم الأول.
- تهذيب التهذيب: ابن حجر: دار صادر: بيروت.
- تهذيب التهذيب: العسقلاني: دائرة المعارف النظامية: حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ.
- توشيح الديباج: بدر الدين القرافي: دار المغرب الإسلامي ١٤٠٣هـ.
- توضيح الأفكار لمعاني تفتح الأنظار: الصفاني: مطبعة السعادة ١٣٦٦هـ.
- تهذيب الكمال: المزي: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.
- التلويح على التوضيح: التفتازاني: المطبعة الخيرية بمصر.
- تناسق الدرر في تناسب السور: السيوطي.
- ثبت الكزبري: الفاداني المكي: دار البصائر: سوريا ١٤٠٣هـ.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني وغيره: دار المعارف بمصر.
- الجبال والأمكنة والمياه: الزمخشري: المطبعة الحيدرية: النجف ١٣٨١هـ.
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: الأحمدنكري: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت ١٣٩٥هـ.
- الجامع للإمام الترمذي: مطبعة الفجالة الحديثة بمصر ١٣٨٧هـ.
- جواهر البيان في تناسب سور القرآن: الغماري.

- جهود السلف في بيان الإسرائيليات والموضوعات: د. عبد الستار حامد بحث مقبول للنشر في مجلة كلية الشريعة.
- حلية الأولياء: الأصبهاني: مطبعة السعادة بمصر: الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.
- ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأسواق: ابن عربي: مطبعة السعادة ١٣٨٨هـ.
- ذخائر التراث العربي الإسلامي: عبد الجبار عبد الرحمن: جامعة البصرة.
- الرحلة في طلب الحديث: الخطيب البغدادي: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩هـ.
- الرسالة المستطرفة: الكتاني: كراجي ١٣٧٩هـ.
- رمضان أفندي: شرح العقائد النسفية: در سعادات ١٣٢٣هـ.
- الروض الأنف: السهيلي: دار النصر للطباعة بمصر ١٣٨٧هـ.
- الرازي مفسراً: د. محسن عبد الحميد: دار الحرية للطباعة: بغداد ١٣٩٤هـ.
- سفيان الثوري حياته العلمية والعملية: أبو الفتح البيانوني: مطبعة البلاغة ١٩٧٢م.
- سنن أبي داود: دار الحديث: حمص: سورية ١٩٧٣م، ومعه شرح معالم السنن.
- سنن ابن ماجه: عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ.
- سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون: ابن نباتة: مطبعة المدني ١٣٨٣هـ.
- شذرات الذهب: ابن العماد: المكتبة التجارية: بيروت.
- شرح ديوان ابن الفارض: البوريني والنابلسي: بولاق ١٢٨٩هـ.
- شرح المحلي على ورقات الجويني: دار إحياء الكتب العربية بمصر.
- الشاطبية في القراءات: الشاطبي: دار الكتب العربية ١٣٢٩هـ.
- شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام: مطبعة مصطفى محمد بمصر: تحقيق محمد محيي الدين.
- شرح نونية العرياني في التوحيد: المطبعة العثمانية.
- الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار: أحمد محمد العليمي: دار الكتب العلمية: لبنان.
- صحيح البخاري: مطبعة البابي الحلبي ١٣٧٧هـ.

- **صحيح مسلم**: مطبعة محمد علي صبيح ١٣٤٤هـ.
- **الصاحبي**: ابن فارس: مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٧٧م.
- **الضوء اللامع**: السخاوي: دار مكتبة الحياة.
- **طبقات الشافعية**: السبكي: المطبعة الحسينية ١٣٤٤هـ.
- **طرح التثريب**: أبو زرعة: دار المعارف حلب.
- **طبقات ابن سعد**: ليدن ١٣٢٨هـ.
- **طبقات الشافعية**: الحسيني: مطبعة بغداد ١٣٥٦هـ.
- **طبقات المفسرين**: الداودي: مطبعة الاستقلال الكبرى ١٣٩٢هـ.
- **طبقات المفسرين**: السيوطي: مطبعة الحضارة العربية ١٣٩٦هـ.
- **طبقات الشافعية**: الإسنوي: دار الكتب العلمية: بيروت ١٤٠٧هـ.
- **طبقات الشافعية**: السبكي: المطبعة الحسينية ١٣٢٤هـ.
- **طبقات الحفاظ**: السيوطي: دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ.
- **عصر السلاطين المماليك**: محمود رزق سليم: المطبعة النموذجية: الطبعة الثانية ١٣٨١هـ.
- **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**: اختصار المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر: دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٦هـ.
- **غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام**: ياسين العمري: مطبعة دار البصري ١٣٨٨هـ.
- **الفتوحات الإسلامية**: أحمد زيني دحلان: مطبعة مصطفى محمد.
- **الفتوحات المكية**: محيي الدين ابن عربي: تحقيق د. عثمان هويدي: مصر.
- **فقه سعيد بن المسيب**: د. هاشم جميل: رئاسة ديوان الأوقاف: بغداد ١٣٩٤هـ.
- **فهرس الفهارس**: الكتاني: دار الغرب الإسلامي.
- **الفتاوي الحديثة**: ابن حجر المكي: مطبعة الجمالية ١٣٢٧هـ.
- فهرس المخطوطات في مكتبة أوقاف بغداد.
- **فتح الباري العسقلاني**: شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٩٨هـ.

ـ فهرس مخطوطات كوبريلي: رمضان ششن ورفاقه: استانبول ١٤٠٦هـ.

ـ الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد بن حنبل: البنا: مطبعة الفتح الرباني بمصر ١٣٥٨هـ.

ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية: اللكنوي: مطبعة السعادة ١٣٢٤هـ.

ـ الفهرست: ابن النديم: دار المعرفة: بيروت ١٣٩٨هـ.

ـ فصول في فقه اللغة العربية: د. رمضان عبد التواب: الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

ـ القاموس المحيط: الفيروز أبادي: مطبعة مصطفى محمد.

ـ كشف الظنون: حاجي خليفة: مكتبة المثنى بغداد.

ـ كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار: الحصين الشافعي: دار الطباعة المنيرية ١٣٤٧هـ.

ـ الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة: نجم الدين الغزي: دار الآفاق الجديدة: بيروت.

ـ الكتاب: سيبويه: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

ـ كتاب الفرائض: ابن ماجه: عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢هـ.

ـ لباب النقول في أسباب النزول: السيوطي: هامش تفسير الجلالين: طباعة مكتبة النهضة بغداد.

ـ معجم المؤلفين: محمد رضا كحالة: بيروت.

ـ معجم المفسرين: عادل نويهض: مؤسسة نويهض ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ـ المختار من حسن المحاضرة للسيوطي: محمد محمود صبيح: دار القاهرة للطباعة.

ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني: عيسى البابي الحلبي بمصر: الطبعة الثالثة.

ـ مفتاح السعادة ومصباح السعادة طاش كبرى زاده: دار الكتب الحديثة: مطبعة الاستقلال ١٩٦٨م.

ـ المناهل السلسة في الأحاديث المسلسلة: محمد عبد الباقي الأيوبي: دار الكتب العلمية: بيروت.

ـ المواهب الجزيلة بمسلسلات ابن عقيل: مخطوط بخط عيسى صفاء الدين البندنيجي.

ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف سركيس.

ـ مصرع التصوف: عبد الرحمن الوكيل: دار الكتب العلمية.

ـ مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية ـ بغداد.

- **مخطوطات دار صدام**: قسم الحديث: أسامة النقشبندي.
- **منهاج الطالبين**: النووي: المقدمة.
- **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**: البقاعي: خ: نسخة مصورة لدى الأستاذ صبحي السامرائي.
- **موطأ مالك**: هامش المنتقى للباجي: مطبعة السعادة بمصر ١٣٣١هـ.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: الذهبي: مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ.
- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي: مطبوعات دار المأمون بمصر: الطبعة الأخيرة.
- **مرآة الجنان**: اليافعي: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت ١٩٧٠م.
- **المنتظم**: ابن الجوزي: مطبعة دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد الدكن: الطبعة الأولى ١٣٥٨.
- **المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة**: محيسن: دار الجيل: بيروت ١٤٠٨هـ.
- **معجم البلدان**: ياقوت الحموي: دار صادر: بيروت ١٣٩٧هـ.
- **معجم مقاييس اللغة**: ابن فارس: مطبعة مصطفى البابي الحلبي: الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: ابن هشام: تقديم محمد محيي الدين عبد الحميد.
- **معاني القرآن**: الزجاج: عالم الكتب ١٤٠٨هـ.
- **مباحث في علوم التفسير**: الدكتور عبد الستار حامد: الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- **مقدمة ابن خلدون**: عبد الرحمن بن خلدون: محمود الملاح: مطبعة أسعد ١٣٧٦هـ.
- **معترك الأقران**: السيوطي: دار الفكر العربي ١٩٧٣م.
- **مقدمة في أصول التفسير**: ابن تيمية: مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥٥هـ.
- **المزهر في علوم اللغة**: السيوطي: عيسى البابي الحلبي.
- **مختصر المعاني**: التفتازاني: طبع إيران ١٤٠٩هـ.
- **تلخيص المفتاح**: القزويني: ضمن مختصر المعاني: إيران ١٤٠٩هـ.
- **المطول**: التفتازاني: مطبعة أحمد كامل ١٣٣٠هـ.
- **معجم المصطلحات البلاغية**: الدكتور أحمد مطلوب.

ـ مباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح: الطبعة السادسة.
ـ مدخل إلى القرآن الكريم: الدكتور محمد عبد الله دراز: دار العلم: الكويت.
ـ المدخل لدراسة الشريعة: د. عبد الكريم زيدان.
ـ نظم العقيان في أعيان الأعيان: السيوطي: المطبعة الأمريكية: نيويورك ١٩٢٧م.
ـ نظرة ثانية في مقدمة ابن خلدون: محمود الملاح: مطبعة أسعد ١٣٧٦هـ.
ـ النكت الوفية بما في شرح الألفية: البقاعي: خ: مكتبة الأوقاف المركزية: بغداد ١٥٧٠م.
ـ نسخة أخرى دار صدام للمخطوطات: قسم الحديث.
ـ نظم الدرر في تناسب الآي والسور: البقاعي: مطبعة حيدر آباد الدكن.
ـ الناقد الحديث في علوم الحديث: محمد المبارك: مطبعة محمد علي صبيح ١٣٨١هـ.
ـ النور السافر في أعيان القرن العاشر: العيدروسي: مطبعة الفرات: بغداد ١٣٠٣هـ.
ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء: الأنباري: مكتبة المنار: الأردن: الزرقاء ١٩٨٥م.
ـ نفحات الأزهار: النابلسي: بولاق ١٢٩٩هـ.
ـ النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز ١٣٨٩هـ.
ـ نثر اللآلي على بدء الأماني: الألوسي: مطبعة الشابندر: بغداد ١٣٣٠هـ.
ـ هدية العارفين: ذيل على كشف الظنون: البغدادي: بيروت.
ـ الوافي: الصفدي: النشريات الإسلامية: مطبعة وزارة المعارف: إستانبول ١٩٤٩م.
ـ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: الدكتور محمد محمود حجازي.
ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب الشعراني: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

❊ ❊ ❊

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

❊ ❊ ❊